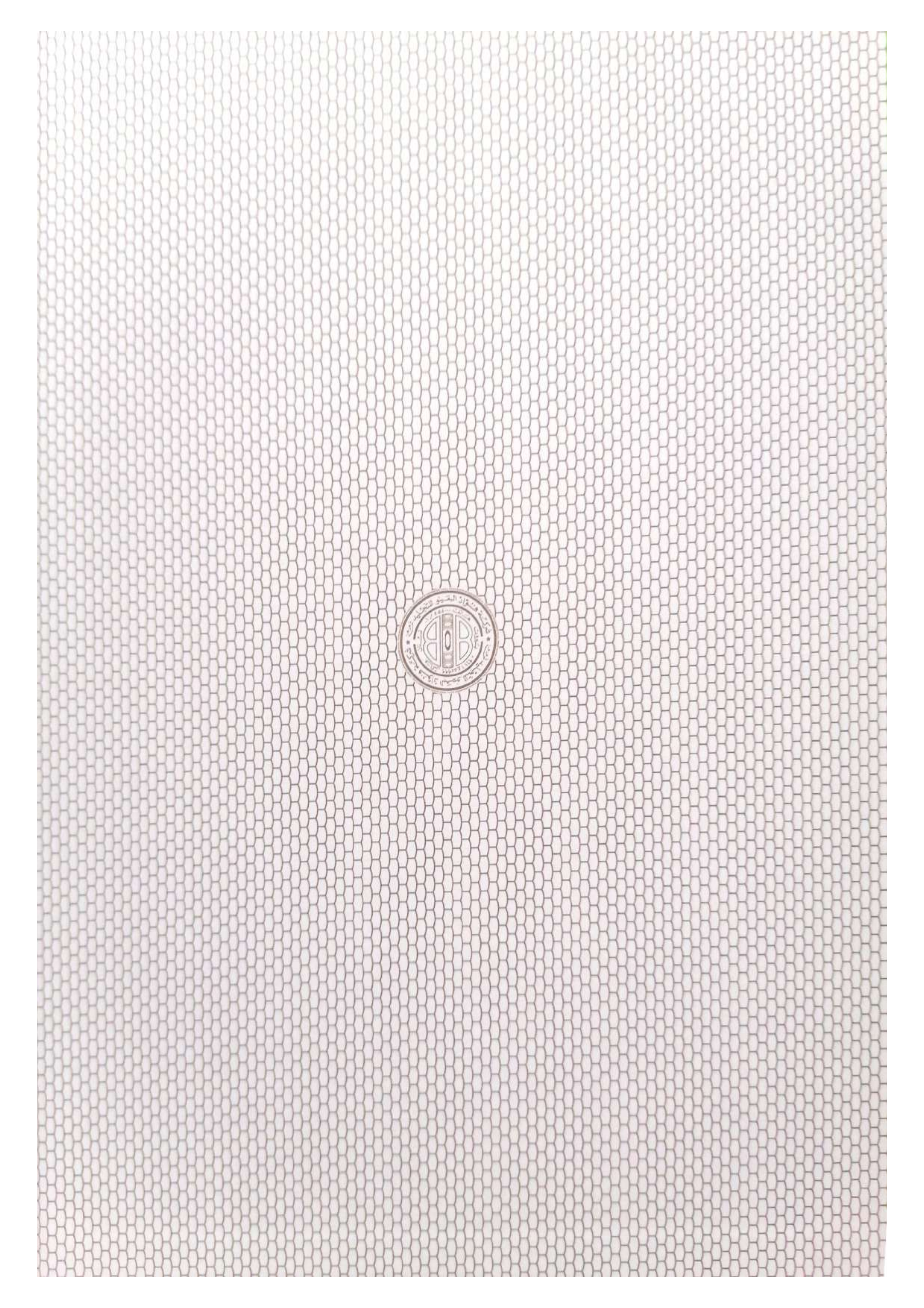
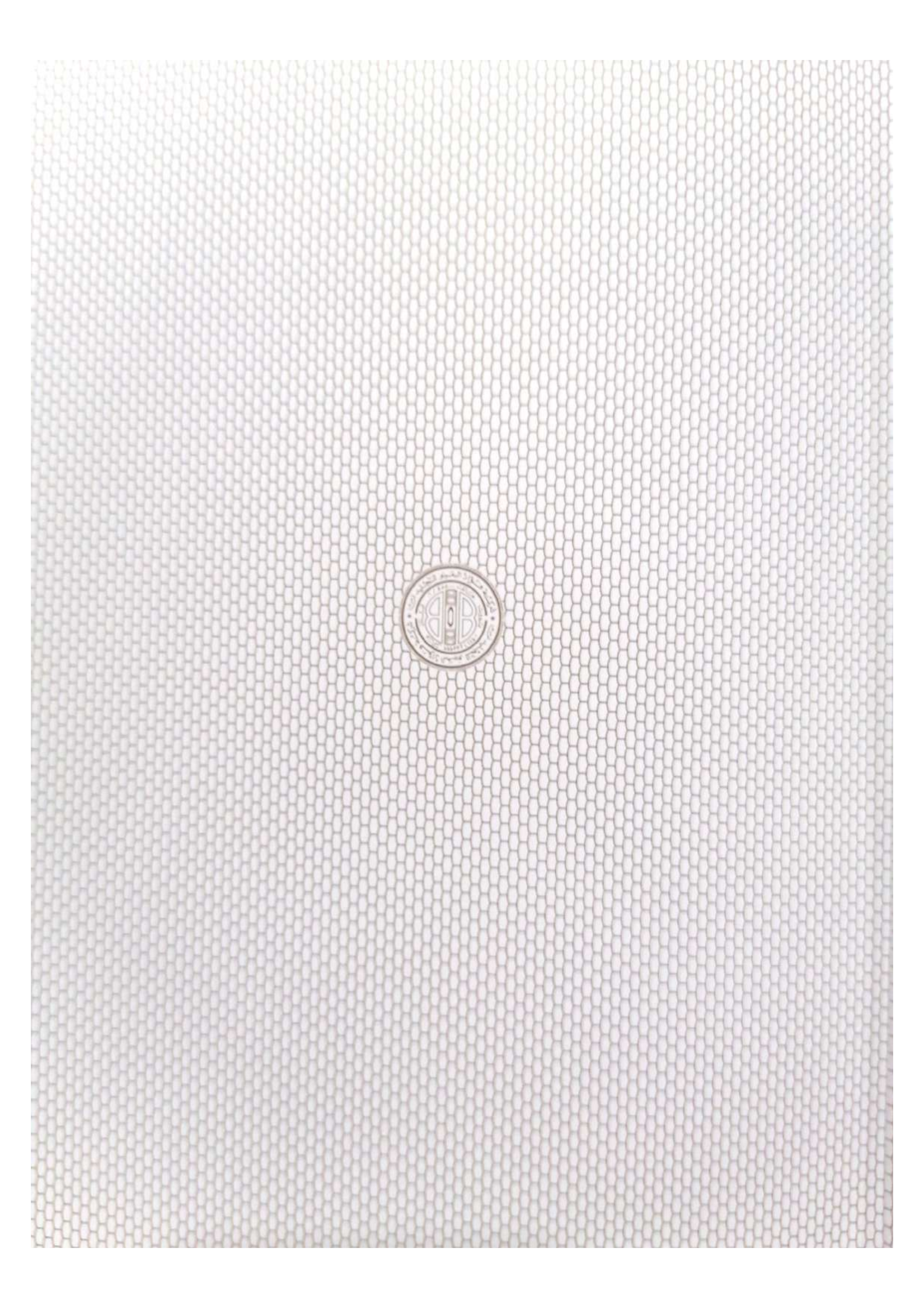
اليهـــود
في العصور الإسلامية

د. فتحي سالم حميدي









اليهـــود
في العصور
الإسلامية

الإهداء

إلى أسرتي.

والدي الحبيب..

والدتي الحنونة...

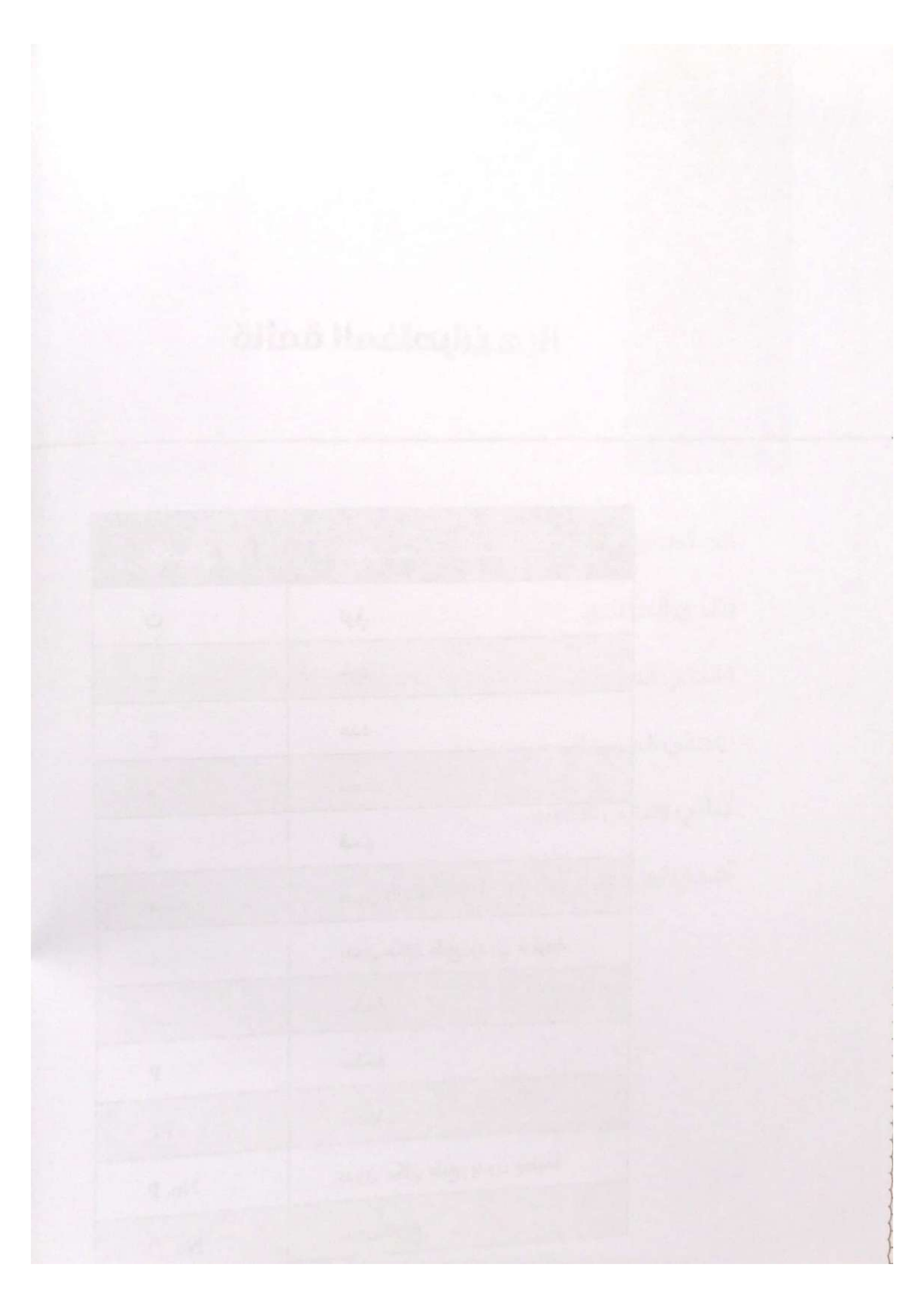
زوجتي الكريمة...

أبنائي وبناتي الأعزاء....

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع....

قائمة المختصرات

المختصر	دلالتـــه
ت	توفي
ج	جزء
ع	عدد
م	مجلد
ق	قسم
د.ت.	بدون تاريخ
د.م.	بدون مكان طبع، بدون مطبعة
ص	صفحة
P	صفحة
PP	صفحات
No. P	بدون مكان طبع، بدون مطبعة
No. D	بدون تاريخ





المقدمة

إن الحاجة إلى مثل هذه الدراسة هي ما دفعتنا إلى الكتابة في هذا الجانب، لما له من أهمية في توضيح مدى الارتباط بين اليهود والمجتمعات العربية التي عاشوا فيها سواء قبل الإسلام أو بعد ظهوره، إذ كان لكل منهما دور كبير في التأثير والتأثر بالطرف الآخر، وقد كان بعضها واضحًا بشكل جلي، بينما اكتنف الغموض البعض الآخر منها، وقد جاءت هذه الدراسة لإماطة اللثام عن الجوانب الغامضة التي لم تُعالج بسبب ندرة الدراسات التي تناولتها وجاء تركيزنا في هذه الدراسة على يهود البلدان العربية خلال العصور الإسلامية.

يختلف اليهود الذين عاشوا في البلدان العربية اختلافًا كبيرًا عن اليهود الذين عاشوا في الغرب الأوربي، من حيث طبائعهم وطقوسهم الدينية، كما تميزوا بأنهم أكثر اندماجًا في المجتمعات التي عاشوا فيها، فإنهم أتقنوا اللغة العربية وآدابها، بل وأسهم بعض منهم في مجالاتها المتعددة، وتأثروا في ذات الوقت بالعادات والتقاليد العربية السائدة في المجتمع آنذاك، فضلاً عن معرفتهم الكبيرة بمعتقدات وأفكار جيرانهم العرب المسلمين، إلا أن قوة الدين في المجتمع الإسلامي من جهة، واستقرار الأسس المحافظة في النظم العائلية وطرق المعيشة من جهة أخرى، وقفا حائلاً أمام انصهار اليهود في المجتمع الإسلامي.

أما فيما يتعلق بالاندماج السياسي لليهود في البلدان التي عاشوا فيها، فلم يكتب له النجاح بشكل كبير، بسبب معارضة رجال الدين من كلا الطرفين، وظهور الحركة القومية العربية وتبلورها قبيل ظهور الإسلام وبعده، مما أسهم في ازدياد حدة التوتر بين اليهود والمسلمين، وأدى إلى انعزال يهود البلاد العربية في مجتمعات مغلقة إلى جانب العرب، وأصبحت لهم أحياؤهم الخاصة، التي أطلق عليه الجيتو.

إن عيش اليهود في المجتمعات العربية جعلهم جزءًا منها رغم انعزاليتهم، فأصبح من الضروري دراسة أوضاعهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية في هذه البلدان، لاسيما في العصور الإسلامية، فضلاً عن توضيح مدى تأثيرهم وتأثرهم بالأوضاع السائدة آنذاك، ودورهم في الحياة العلمية.

في الحقيقة إن حالة التأثير والتأثر بين اليهود وأبناء المجتمع العربي الإسلامي، كان نتيجة للتسامح الإسلامي الذي كان له دورٌ كبيرٌ في أن يحيا اليهود حياة حرة، بفضل المبادئ الإسلامية التي تدعو إلى الرحمة والمودة والتسامح مع أتباع الديانات الأخرى، إذ احتضنتهم وعاملتهم معاملة المسلمين في الحفاظ على حياتهم وممتلكاتهم وصيانة كرامتهم، وهذا ما لم يمنحه لهم أي دين أو أمة عاشوا في كنفها، ودانوا بغير دينها عبر العصور، فقد ترك لهم الإسلام حرية ممارسة شعائرهم الدينية، وممارسة مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، فلم يجدوا أمامهم أي عائق في امتهان أي عمل يرغبون به، فمارسوا شتى الأعمال والوظائف الرسمية الحساسة، دون أي مضايقة أو حساسية تجاههم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن بعض الوظائف والمهن أصبحت حكرًا عليهم، وكان ذلك موضع قبول من أبناء المجتمع العربي في العصور الإسلامية وعلى المستويين الرسمي والشعبي، وهذا ما أكدته المصادر العربية الإسلامية، من خلال إيرادها للكثير من الروايات التي تبين دورهم في مختلف جوانب الحياة.

إن ما أوردناه في هذه الدراسة يفند الافتراءات التي أطلقها ولا يزال أعداء الإسلام والعروبة والحاقدين عليهما، ويدحض الروايات القائلة بهتانًا بمصادرة الإسلام لحرية أتباع الديانات الاخرى، وسلب حقوقهم في ظل المجتمع العربي الإسلامي، لذلك آمل أن تكون لهذه الدراسة دورها في الرد على هذه الهجمة الحاقدة والادعاءات الزائفة.

ومن أجل اكتمال الدراسة والإلمام بجميع الجوانب التي تتعلق بحياة اليهود في المجتمعات العربية في العصور الإسلامية، فقد تم بناء خطتها وفق المنهج الأكاديمي القائم على الاستقراء والبحث الدقيق في جميع الروايات التاريخية، التي أوردتها المصادر والمراجع المختلفة الاتجاهات سواءً كانت عربية إسلامية أم غيرها، فجاءت الخطة على مقدمة وتمهيد وثمانية فصول.

تناول التمهيد أصل اليهود والتسميات التي أطلقت عليهم، وأهم فرقهم الدينية واخترنا الحديث عن أربعة من أبرزها: السامريون والصدوقيون والفريسيون والآسينيون، لأن الحديث يطول في هذا الجانب من جهة، ويخرج عن مسار خطة الدراسة وتخصصها من جهة أخرى.

في حين تطرق الفصل الأول من الدراسة إلى التاريخ المبكر لليهود وأهم مناطق استيطانهم في البلاد العربية قبل الإسلام وحسب التسلسل التاريخي، مبتدئًا ببدايات الوجود اليهودي في بلاد الشام، ومن ثم مصر خلال العصر البطليمي والروماني، والعراق من العصر البابلي وحتى ظهور الإسلام، والجزيرة العربية واليمن، وانتهاءً بالبدايات الأولى لاستقرارهم في بلاد المغرب وأسبانيا.

وعرج الفصل الثاني إلى تناول حقبة مهمة مثلت نقطة فاصلة في تاريخ العالم أجمع بما فيه أوضاع اليهود خلالها، ألا وهي ظهور الإسلام، كما تم الحديث خلال هذه الفصل عن القبائل اليهودية التي استوطنت في الحجاز في عصر النبوة، كبني النضير وبني قريظة وبني قينقاع وانتهاءً بيهود خيبر، وموقفها من الدعوة الإسلامية في المرحلة المكية والمدنية، وكيفية التعامل الإسلامي معها في دولة المدينة.

أما الفصل الثالث فقد انتقل إلى الحديث عن مرحلة الصدام المسلح بين القبائل اليهودية والمسلمين في العهد النبوي، وموقف الرسول ﷺ من الاعتداءات اليهودية ومواقفهم الخيانية المتكررة التي انتهت بإجلائهم عن الجزيرة العربية نهائيًا، كما تطرقنا في المبحث الأخير من هذا الفصل إلى سماحة التعامل النبوي مع اليهود على الرغم من الدور العدائي الذي قاموا به.

تركز البحث في الفصل الرابع على دراسة أوضاع اليهود في العصر الراشدي والأموي والعباسي، وقد تم تخصيص مبحث مستقل لأوضاع اليهود ودورهم في الحياة العامة في المجتمع الإسلامي في كل عصر من هذه العصور.

وجاء الفصل الخامس من الدراسة ليتناول أوضاع اليهود في عصر الحروب الصليبية، وقد ارتأينا ضرورة تخصيص مبحث مستقل عن أوضاعهم في أوربا خلال هذه الحقبة، وذلك من أجل فهم دورهم في الحروب الصليبية وحملاتها المتعددة، وما تعرضوا له من مذابح على أيدي رجالها، كما بينا موقفهم من الجانبين الإسلامي والصليبي خلال هذه الحروب، إذ اتسم بالتذبذب، وذلك حسبما تتطلبه مصالحهم الخاصة، فهذا طبعهم الذي جبلوا عليه وعرف عنهم خلال حياتهم في ظل الدول التي خضعوا لسلطتها عبر التاريخ.

وكان الفصل السادس من بين الفصول التي تناولت حقبة مهمة من حياة اليهود في مصر في العصور الإسلامية ابتداءً بالعصر الفاطمي وانتهاءً بالعصر المملوكي، وما قاموا به من دور على مختلف الأصعدة، لاسيما الجانب الإداري والعلمي الذي برزت فيه العديد من الشخصيات اليهودية التي تولت مناصب حساسة كالوزارة وغيرها، ويعد الوزير يعقوب بن كلس من أبرز هذه الشخصيات، مما دفعنا إلى إفراد مبحث خاص للحديث عنه.

اختص الفصل السابع بتناول أوضاع اليهود ودورهم في الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية في بلاد المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي وحتى سقوط الأندلس بيد الأسبان، كما تطرقت مباحثه إلى أهم مراكز وجودهم في كلا البلدين، وعرجنا في المباحث الأخرى من الفصل إلى الحديث عن شخصيات يهودية كان لها دورٌ كبيرٌ في الأحداث السياسية والحركة العلمية والاقتصادية.

وأخيرًا تناول الفصل الثامن موضوعًا من أهم المواضيع القديمة الحديثة في ذات الوقت، إذ تأتي أهميتها من جانبين، الأول في كونها لازالت تحرك الأحداث إلى يومنا هذا، أما الجانب الثاني فيرجع إلى ارتباطها بواقعنا المعاصر، ألا وهي الحركة الصهيونية التي احتلت أراضينا العربية في فلسطين وشردت شعبها، وقد تطرق المبحث الأول منه إلى بدايات الهجرة اليهودية إلى الأراضي العثمانية، وموقف الدولة العثمانية من اليهود وحركتهم الصهيونية، في حين تناول المبحث الثاني ماهية الصهيونية وحقيقتها ومراحل تطورها وأهدافها، لينتهي الفصل بالمبحث الثالث الذي خُصِصَ للحديث عن التحركات الصهيونية لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وتفرعت محاوره لدراسة حياة ثيودور هرتزل الزعيم الأول للمنظمة الصهيونية، ودوره في المؤتمر الصهيوني الأول، ومن ثم التطرق لبروتوكولات حكماء صهيون، ووعد بلفور الجائر، ليُختَم بتناول الهجرة الصهيونية إلى فلسطين ومرحلة استعمارها.

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة المصادر والمراجع المتنوعة العربية منها والأجنبية التي مثلت رأي الآخر، وذلك من أجل ظهورها بشكل حيادي دون الاقتصار على وجهة نظر واحدة، فأفدنا منها جميعا في عرض المعلومات والأحداث التي عاشها اليهود خلال العصور الإسلامية وفي مختلف البلدان العربية، ونظرًا لكثرتها وأهميتها جميعا في دراسة كل فصل من جهة، وتطرق الكثير من الدراسات الأخرى لعرضها من جهة أخرى، فقد حرصنا على أن نقتصر في ذكرها ضمن قائمة المصادر والمراجع فقط، دون تقديم عرض لها.

وفي الختام لا يفوتني شكر الأخ الدكتور جاسم طه أحمد الجحيشي / كلية التربية الأساسية/ قسم اللغة العربية على الجهد الذي بذله في المراجعة اللغوية لهذه الدراسة، وكل من مد لي يد العون في توفير مصادرها وإتمامها ووضعها بين يدي القارئ الكريم، وأتمنى أن ينال رضاه ويقدم له الفائدة التي يبتغيها، إذ إني لا أدعي كماله فالكمال لله وحده، وأنا بشر فإن أخفقت فلي أجر، وإن وفقت فلي أجران.

والله الموفق..

المؤلف

الأستاذ المساعد الدكتور

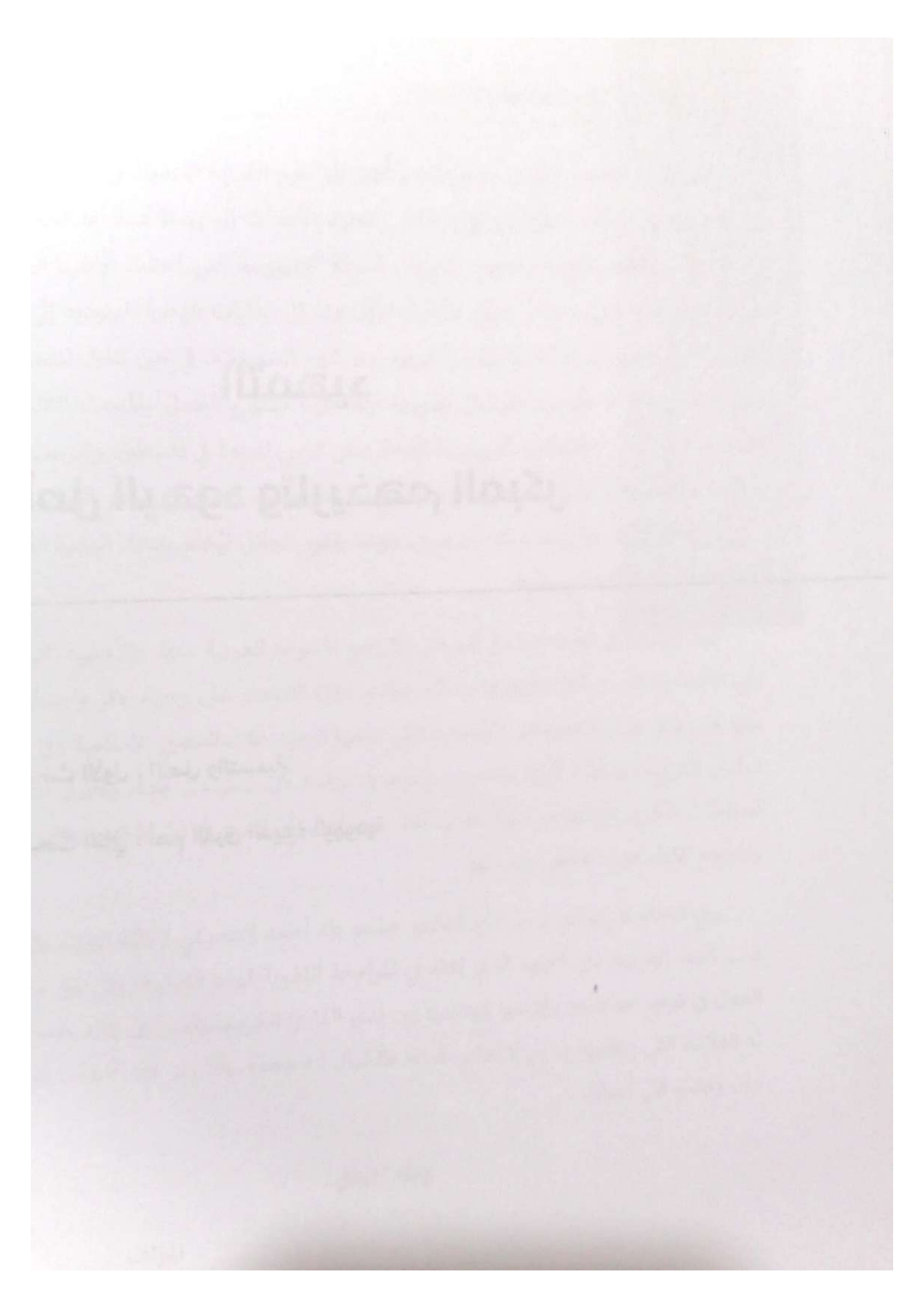
فتحي سالم حميدي اللهيبي

الموصل في 2019/7/1م

التمهيد

أصل اليهود وتاريخهم المبكر

- المبحث الأول : الأصل والتسمية
- المبحث الثاني : أهم الفرق الدينية اليهودية



التمهيد

أصل اليهود وتاريخهم المبكر

المبحث الأول: الأصل والتسمية

يعد اليهود من الشعوب السامية[1] التي ترجع في نسبها إلى سام بن نوح عليه السلام، استوطنت في فلسطين - بلاد كنعان - منذ تاريخ مبكر، وقد أطلقت عليهم عدة مسميات كالعبرانيين وبني إسرائيل والموسويين واليهود، وقبل أن نتناول دراسة تأريخهم المبكر لابد من التحدث عن كل منها، والتطرق للأسباب التي أدت إلى إطلاق كل من هذه المسميات.

1: العبرانيون

أطلقت تسمية العبرانيين على اليهود، وهي مرادفة لتسمية بني إسرائيل الذين ينحدرون من ذرية نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، كما أطلق على لغتهم العبرانية أو العبرية[2] لاستخدامهم لها[3]، وقد اختلفت الروايات في سبب إطلاق تسمية العبرانيين عليهم، فأشارت التوراة إلى أن هذه التسمية أطلقت عليهم نسبة إلى الجد الخامس في سلسلة نسب إبراهيم الخليل عليه السلام

---

(1) جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الاولى، ترجمة: عادل زعيتر، دار طيبة للطباعة (الجيزة: 2009م)، ص 39.

(2) تعد اللغة العبرية من أمهات اللغات السامية، وكانت شائعة قبل بني إسرائيل وظهورهم في العالم، إذ إنها كانت لغة أهل فلسطين الكنعانيين، ولغة كثير من قبائل طور سيناء وشرق الاردن، وكان من أهم تلك الامم بنو أدوم عمون ومو آب وقبائل عماليقية ومديانية وإسماعيلية، ثم ظهور بني إسرائيل بين هذه الاقوام في طور سيناء وأطراف الحجاز، وانتشرت منها إلى الأقاليم الأخرى، وبقيت هذه اللغة صاحبة النفوذ مدة طويلة من الزمن إلى أن ظهر تأثير إحدى اللهجات الكنعانية وهي الآرامية، فأخذت االلهجات العبرية والكنعانية الاصلية تضمحل مع التغييرات السياسية حتى أصبحت أغلب بطون فلسطين وسوريا والعراق وطور سيناء تتكلم باللهجات الآرامية. للمزيد من التفاصيل ينظر: إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، مطبعة الاعتماد (مصر: 1927م)، ص ز، ح.

(3) يحيى كمال، دروس اللغة العبرية، عالم الكتب (بيروت: 1982 م)، ص32-33.

وهو « عابر « أو « عيبر « الذي ورد ذكره في أسفارها[1]، في حين تمت الإشارة في موضع آخر من التوراة، فضلاً عن بعض الروايات التاريخية إلى سبب آخر كان يقف وراء إطلاقها عليهم، وهو أن العبرية جاءت نسبة إلى ما أطلق على إبراهيم عليه السلام في التوراة وتسميته بـ (ابرام العبراني)[2]، لأنه عبر نهر الفرات أو نهر الأردن أثناء رحلته [3]، كما أشار الدكتور قدح إلى أن هذه التسمية لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، إلا أنها وردت في الحديث النبوي الشريف عن حديث عائشة رضي الله عنها[4]، قالت: ((فانطلقت به - النبي ﷺ - تقصد بها خديجة رضي الله عنها - حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - وكان امرئ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب))[5]، فضلاً عن ورود لفظة العبرية في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ((كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تُكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[6].))[7]، كما أشار الدكتور العاني إلى رأي آخر حول أصل التسمية قائلاً: ((يطلق عليهم العبريون أو العبرانيون كناية عن كونهم أهل بداوة، فهم يعبرون الصحارى طلبًا للعيش في غير استقرار وتمدن، وحين استوطنوا بعض أجزاء كنعان، وعرفوا المدينة أصبحوا ينفرون من تلقيبهم بالعبريين، ويفضلون أن يعرفوا ببني إسرائيل نسبة إلى إسرائيل، الذي هو لقب لنبي الله يعقوب عليه السلام))[8].

---

(1) التوراة، سفر التكوين: 14/11.

(2) التوراة، سفر التكوين: 13/14؛ أبراهام مالمات وآخر، العبرانيون وبني إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الاثرية، ترجمة وتقديم: رشاد عبد الله الشامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات (القاهرة: 2001 م)، ص 16.

(3) كمال، دروس اللغة العبرية ص36؛ محمد دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية (بيروت: 1969 م)، ص30-31؛ محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، الزهراء للإعلام العربي (القاهرة: 1407هـ)، ص18؛ باسم خلف ناصر الخفاجي، أثر بيزنطة الديني على المشرق الاسلامي، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع (دمشق: 2018م)، ص 29.

(4) محمود بن عبد الرحمن قدح، موجز تاريخ اليهود والرد بعض مزاعمهم الباطلة، بحث منشور في مجلة الجامعة الاسلامية (المدينة المنورة: د.ت): ع 107/ ص 239.

(5) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة (بيروت: د. ت.): ج 1/ص 22.

(6) سورة البقرة، الآية 136.

(7) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: ج 8/ص 170، ج 13 / ص333.

(8) زياد محمود العاني وآخرون، تاريخ الأديان دار ابن الأثير للطباعة (الموصل: 2010 م)،=

بعد البحث والتمحيص في جميع الروايات السالفة الذكر تبين لنا أن اطلاق تسمية العبرانيين على اليهود تسمية غير صحيحة؛ لأنها كانت تعني القبائل البدوية التي كانت تتنقل بين شمال الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين في الألف الثاني قبل الميلاد، وهذا ما أورده الدكتور دراذكه[1]، الذي أشار إلى أن الكثير من الباحثين يستخدمون كلمة عبراني أو عبري في غير المعنى الذي تشير إليه الوثائق القديمة المكتشفة في كل من مصر وبلاد ما بين النهرين وسوريا، الإسلام هذه الوثائق اطلقت تسمية العبرانيين على القبائل البدوية، في حين لم يكن لليهود أي ذكر في هذه المرحلة الموغلة في القدم، وقد أكد هذا الرأي الدكتور أحمد سوسه[2]، بل زاد عليه بوجوب الإحجام عن استخدام هذه التسمية وإطلاقها على اليهود، وذلك للابتعاد عن الوقوع في اللبس، وعدم الخلط بين تاريخ اليهود وتاريخ فلسطين في الحقبة التي سبقت النبي موسى عليه السلام، لأنها حقبة مستقلة، وليس لها أي صلة بدور موسى عليه السلام، وذلك حسبما يقتضيه التسلسل الزمني للأحداث.

كما اعترفت التوراة أثناء حديثها عن العبرانيين بأنهم لا يمتون بصلة لبني إسرائيل، وأن العبراني هو غير اليهودي، إذ ورد في سفر الخروج[3] الذي تناول الأحكام والقوانين التي سنها نبي الله موسى عليه السلام لأتباعه، والتي تضمنت أن الفرد من بني إسرائيل - يقصد به اليهودي - إذا ما اشترى عبدًا عبرانيًا فلا يعتق، إلا بعد أن يخدم سيده ست سنوات، ويصبح في السنة السابعة حرًّا دون أن يدفع أي مبلغ إلى سيده، كما تشير في سفر اللاويين[4] أيضًا إلى أن العبيد ليسوا من بني إسرائيل، وأن بني إسرائيل لا يباعون عبيدًا ولا يشترون، ويكلم الرب موسى عليه السلام قائلاً له: أما عبيدك فيكونون من الشعوب الأخرى التي تقطن بالقرب منكم، ومن القبائل القاطنة عندكم فهي ملكٌ لكم، فتستعبدونهم طوال حياتهم، ولا يجوز استعباد أي فرد من بني إسرائيل لأخيه الإسرائيلي، وإذا ما استعبد فرد إسرائيلي من قبل شخص غريب، فيصبح لزامًا على أخيه الإسرائيلي دفع ثمن حريته.

= ص 60؛ راشد عبد الله الفرحان، الأديان المعاصرة، ط2، دار الكتب الوطنية (بنغازي: 1985 م)، ص 6؛ عبد المجيد همو، الفرق والمذاهب اليهودية، المكتب المصري (القاهرة: 2001 م)، ص 25.

(1) صالح موسى، العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع (عمان: 1992م)، ص 35.

(2) احمد سوسه، العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الاثرية، ط2، العربي للإعلان والطباعة والنشر (دمشق: 1972م)، ص 35.

(3) التوراة، سفر التكوين، الاصحاح: 2/21.

(4) التوراة، سفر اللاويين، الاصحاح: 25 / 42، 44-48.

2: بنو إسرائيل

أطلقت تسمية بني إسرائيل على اليهود نسبة إلى نبي الله يعقوب عليه السلام[1]، وقد نعتهم القرآن الكريم بذلك في عدة مواضع، لاسيما في مجال تذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم وعلى آبائهم وأسلافهم، فضلاً عن دعوتهم إلى الدخول في الإسلام، وأتباع النبي محمد ﷺ، وتهييجًا لهم بذكر أبيهم إسرائيل، كقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ خَوۡفٌ..﴾[2] وقوله تعالى:﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ ﴾[3]، والمقصود هنا ببني إسرائيل أبناء نبي الله يعقوب عليه السلام الاثنا عشر وذريتهم[4]، وهم: (رأوبين- شمعون-لاوي -يهوذا – دان – نفتالي – جاد – أشر – يساكر – زبلون – يوسف عليه السلام - بنيامين)[5].

أما تسمية إسرائيل فهي ذات أصل سامي تتكون من مقطعين هما «إسر» وتعني عبد والمقطع الثاني «إيل» وتعني الاله، وبذلك فإنها تعني «عبد الله» إذا ما جمعنا المقطعين[6]، وتعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، كما أنها وردت في الكتابات الفلسطينية واليمنية والمصرية القديمة[7]، وهذا يدل على أن تسمية إسرائيل لا تعني أمة بعينها كما اعتقد اليهود وما تم تثبيته في توراتهم المحرفة.

---

(1) لقد أوردت التوراة سبب تسمية نبي الله يعقوب عليه السلام باسم إسرائيل، بأنه حينما صارعه ملاك في صورة إنسان من الغروب حتى طلوع الفجر، ولم يطلقه يعقوب عليه السلام، حتى قال الملاك له: لا يدعى اسمك فيما بَعْد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. للمزيد ينظر: التوراة، سفر التكوين، الاصحاح: 32-24/32.

(2) سورة البقرة، الآيات: 40-47.

(3) سورة آل عمران، الآية 93.

(4) قدح، موجز تاريخ اليهود: ع 107/ ص 239.

(5) العاني، تاريخ الاديان، ص60؛ سعدون محمد الساموك، موسوعة الاديان والمعتقدات القديمة، دار المناهج (الاردن: 2002م): ج 2 / ص 141.

(6) الخفاجي، أثر بيزنطة الديني، ص 31.

(7) للمزيد من التفاصيل ينظر: سوسه، العرب واليهود في التاريخ، ص 46-50.

3: الموسويون

أطلقت هذه التسمية على أتباع نبي الله موسى عليه السلام وأنصاره الذين آمنوا به، وذلك بعد نبي الله يعقوب عليه السلام بستمئة سنة[1]، لاسيما الذين خرجوا معه من أرض مصر مرغمين بعد أن عاشوا فيها[2]، ولم تكن دعوة موسى عليه السلام لبني إسرائيل فقط، وإنما لعامة الناس من مختلف القبائل والأعراق التي عاشت في مصر، وانصهرت في مجتمع واحد، وأوكل إليه حكام مصر من الهكسوس بعض أمور الإدارة المصرية، ومنحوه الكثير من الامتيازات، وبعد طرد المصريين للهكسوس عانى الموسويون كثيراً؛ لأنهم عدوهم أتباعًا لهؤلاء الدخلاء[3]، كما انهم عدوا الموحدين أعداءًا لهم، فاضطروا إلى الفرار مع النبي موسى عليه السلام، ليستقروا في أرض فلسطين، وكان منهم من آمن به، ومنهم من لم يؤمن بدعوته، ويعد هذا الخروج البداية الحقيقية لتاريخ هذه المجموعة التي أطلق عليها تسمية اليهود فيما بعد، وقد سنحت لها الفرصة في أن تحكم أجزاء من أرض فلسطين[4]، بعد أن أخذوا الكثير من الحضارة الكنعانية ومعتقداتها الوثنية من خلال وجودهم فيها بعد عهد موسى عليه السلام كعبادة الأصنام واقتباس بعض الممارسات الدينية الوثنية[5].

4: اليهود

لقد عمم إطلاق تسمية اليهود على جميع المتبعين لشريعة التوراة من بني إسرائيل وغيرهم من الأجناس الأخرى كالروم والخزر، الذين اعتنقوا الديانة اليهودية، وليسوا من بني إسرائيل، وبذلك تكون تسمية اليهود أعم وأشمل من تسمية بني إسرائيل[6]، وعلى الرغم من اتفاق المفسرين والباحثين على معنى التسمية، وما اشتملت عليه، إلا أنهم اختلفوا في سبب إطلاقها[7]، فقد وردت في ذلك آراء عدة، فأشار بعض المتخصصين إلى أن لفظة يهود مشتقة من «الهوادة»،

(1) فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وآخر، دار الثقافة (بيروت: 1958 م): ج1/ ص 193-194.

(2) عفيف بهنسي، تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الاثار، دار الثقافة (دمشق: 2009 م)، ص 99.

(3) قدح، موجز تاريخ اليهود، ص 247.

(4) سوسه، العرب واليهود في التاريخ، ص 52-54.

(5) الخفاجي، أثر بيزنطة الديني، ص 32.

(6) قدح، موجز تاريخ اليهود: ع 107/ ص 239.

(7) العاني، تاريخ الاديان، ص 60.

وهي المودّة التي يقصد بها تقربهم ومودتهم لبعضهم البعض[1]، كما ذهب البعض إلى أنها جاءت من لفظة « التهود « التي تعني التوبة، وقيل هم الذين تابوا عن عبادة العجل[2]، وأيد ابن كثير[3] الرأي القائل بأن أصل هذه التسمية يرجع إلى لفظة « التهوّد « التي تعني التوبة، وقد وردت في قوله تعالى على لسان موسى ﵇: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[4]، أي تبنا عما كنا فيه، بينما ذهب ابن عباس ﵁ إلى أنها مأخوذة من معنى الميل عن دين موسى ﵇، فالذين هادوا أي مالوا عن الدين، كما أشار بعض منهم إلى أنهم يتهوّدون - أي يتحركون – عند قراءة التوراة لذلك سموا يهودًا[5].

أما المصادر التاريخية فقد أشارت إلى أن تسمية اليهود جاءت نسبة إلى « يهوذا « - الابن الرابع ليعقوب ﵇[6] - الذي أطلق اسمه على مملكة إسرائيل الجنوبية « مملكة «يهوذا»[7]، ويرجع ذلك إلى أن ملوكها كانوا من ذرية يهوذا، وذلك تمييزًا لها عن « مملكة إسرائيل الشمالية «التي استوطنت فيها ذرية الأسباط العشرة، وحينما سيطر ملك بابل على المملكتين في القرن السادس قبل الميلاد وسبى سكانها، وعند عودة سكان يهوذا من السبي البابلي إلى فلسطين توسع معنى كلمة يهوذا، ليشمل جميع بني إسرائيل ممن عادوا من السبي، ومن ثم عمم الاسم وأخذ يطلق على جميع اليهود المشتتين في العالم[8].

---

(1) قدح، موجز تاريخ اليهود: ع 107/ ص 239.

(2) عبد الرزاق محمد اسود، موسوعة الأديان والمذاهب، ط2، الدار العربية للموسوعات (بيروت: 2000م): ج1/ ص141.

(3) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر (بيروت: 1401): ج1/ ص104.

(4) سورة الأعراف، الآية 156.

(5) قدح، موجز تاريخ اليهود: ع 107/ ص 239.

(6) اسود، موسوعة الأديان والمذاهب:ج1 / ص 141.

(7) عندما عربت الاسماء من العبرية إلى اللغة العربية أستبدل حرف الذال المعجم إلى دال مهملة، فتحول اسم « يهوذا « إلى « يهودا «. ينظر: محمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية للتأليف(القاهرة: د.ت.):ج13/ص253.

(8) أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة بولاق، (القاهرة: 1270 هـ):ج3/ ص503؛ للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد ضياء الرحمن الاعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد (الرياض: 2001 م)، ص 107-113.

في الحقيقة إذا ما أمعنا النظر في جميع الآراء المختلفة حول سبب تسمية اليهود، فإننا نجد أن فيها أبعادًا منطقية وأدلة واقعية مؤيدة لها، ومستمدة من قصة بني إسرائيل مع نبي الله موسى عليه السلام، ابتداءً من ميلهم عن جادة الصواب بعبادة العجل وتأليهه، ومن ثم التوبة عما قاموا فيه، ثم نكوصهم على أعقابهم بجبنهم وتخاذلهم عن دخول الأرض المقدسة التي أمروا أن يدخلوها، وبما أن الميل والانحراف عن الدين يستوجب التوبة، ووفق ما أشرنا إاليه آنفا فإن كلا من المعنيين - الانحراف والتوبة - يتحققان في تسمية اليهودية.

المبحث الثاني: أهم الفرق الدينية اليهودية

بعد تناولنا لتاريخ اليهود واليهودية والمسميات التي أطلقت عليهم، سنتناول في هذا المبحث أهم الفرق التي انقسمت إليها اليهودية، نتيجة للظروف الصعبة التي مر بها اليهود عبر تاريخهم الطويل منذ عهد النبي موسى عليه السلام وحتى العصور الحديثة، بسبب الغزوات المتتالية التي أشرنا إليها آنفًا، كالغزو الآشوري والبابلي والروماني، وأدت إلى تشتتهم في مختلف بلدان العالم، واختلاطهم بشعوبها، وتأثرهم بثقافاتها[9]، وعند عودتهم إلى فلسطين حاول أحبارهم ومفسريهم على مدى عصور طويلة أن يجمعوا تراثهم، وأعمال سلفهم، ويشرحونه ويفسرونه، فحاولوا إزالة كل ما يشوبه من غموض، فأخذت كل مجموعة تنتهج منهجًا جديدًا، قد يختلف أحيانًا عمن سبقه، وقد يتفق معه في أحيان أخرى، ومنهم من أضاف فقرات تفسيرية إلى النص الأصلي، ومنهم من توسع في تفسيره، وبدأ باستنباط الأحكام والشرائع، ووضع القوانين وأحدث تقاليدًا جديدة وفق ما تقتضيه الحالة الراهنة للمجتمع اليهودي، كل ذلك كان على مدى أربعة أجيال من المفسرين تمثلت بالنساخ والرواة والشراح وأصحاب الحواشي، وخلال هذه الأجيال بدأ الاختلاف يظهر بين اليهود، مما أدى إلى تكون الفرق الدينية اليهودية[10].

انقسم اليهود إلى فرق دينية كثيرة، وكانت هناك اربعة فرق هم السامريون والصدوقيون والفريسيون والآسينيين الذين عدوا من أبرز هذه الفرق وأكبرها[11]، وظهرت جميعها ابتداءً من حقبة التفسير الأولى وحتى نهايات عصر الشُراح، وكان لكل منها أفكارها وآراؤها الخاصة بها سواء

(9) احمد حسن قواسمة وآخر، موسوعة الفرق والأديان السماوية الثلاثة، دار الحامد (عمان: 2009 م): ج2/ص 523.

(10) عبد الرزاق احمد قنديل، الأثر الاسلامي في الفكر الديني اليهودي، دار التراث (القاهرة: 1984 م)، ص 85.

(11) محمد بيومي مهران، بنو اسرائيل، دار المعرفة الجامعية (الاسكندرية: 1999م): ج4 / ص 554.

كانت في نص الكتب الدينية نفسها ومدى قدسيتها، أو في مضمون هذه الكتب وما تحتويه من تشريعات ومعاملات[1]، وبما أن منهجنا تاريخي بحت وليس عقائديًا، فإننا سنقتصر على ذكر هذه الفرق الأربع، وسنوردها بشكل مقتضب من جهة، ووفق التسلسل الزمني من جهة أخرى وكالآتي:

1: السامريون

تعد فرقة السامريين من أقدم الفرق اليهودية، وترجع إليها بداية الانقسام اليهودي، إذ أشارت قسم من المصادر والمراجع التاريخية التي اعتمدت على الروايات الإسرائيلية إلى أن أول ظهور لها يرجع إلى العصر الآشوري، عندما سيطر الاشوريون على مملكة إسرائيل في سنة 722 ق. م.، وسبي سكانها، وجلبوا أقوامًا أخرى للاستيطان فيها، وتحديدًا في مدينة السامرة عاصمة المملكة الإسرائيلية، ومن بين هؤلاء ظهرت هذه الفرقة[2]، ويؤكد كهنتهم على أنهم لا يمتون بصلة للأقوام التي جاء بها الآشوريون إلى فلسطين، كما إنهم لا ينتمون إلى بني إسرائيل، ويرى السامريون أنهم هم الملتزمون الوحيدون بشريعة موسى عليه السلام وما غيرهم على باطل ومنحرف عن اليهودية، بسبب مخالطتهم للشعوب الأخرى[3]، لذلك فهم مكروهون من عامة اليهود، ولا يعترفون بها، ولا ينسبونها لبني إسرائيل مطلقًا[4].

والراجح أن فرقة السامرية ترجع إلى شخص من أهل السامرة يدعى السامري، وقد ورد ذكره في القران الكريم[5]، وهي أول فرقة ترجع بداياتها إلى عهد النبي موسى عليه السلام، وانشقت عن اليهودية مخالفة لموسى عليه السلام، وخرجت عن ملته[6]، فلم يكن السامري من بني إسرائيل بل كان ممن خرجوا من مصر برفقة موسى عليه السلام هربًا من بطش فرعون[7]، إلا إنه استغل فرصة غياب

(1) قنديل، الاثر الاسلامي في الفكر الديني اليهودي، ص 85 – 86.

(2) سامي سعيد الاحمد، تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية (بغداد: 1979م)، ص 224؛ نايف محمد شبيب، الوجيز في الفرق الدينية اليهودية، دار غيداء (عمان: 2016م)، ص63-64.

(3) عبد المعين صدقة، السامريون موجز تاريخ وعادات وأعياد الطائفة، د.م. (نابلس: 1973م)، ص5؛ محمد حافظ شريدة وآخر، الطائفة السامرية مكتبة الرسالة (د.م.: 1994م)، ص 30.

(4) قنديل، الاثر الاسلامي في الفكر الديني اليهودي، ص 87.

(5) سورة طه، الايات: 87-97.

(6) عبد المجيد همو، الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، ط2، الاوائل للنشر والتوزيع (دمشق: 2004م)، ص34-35.

(7) عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الاسلامي (بيروت: 1404هـ) ج5/ ص318؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج2/ص240.

موسى ﷺ، عندما خرج إلى الوادي المقدس للقاء ربه، فصنع لهم عجلاً له خوار وقال هذا ربكم فاعبدوه، فاتبعه مجموعة من اليهود، فأطلق عليهم السامرية نسبة إليه[1]، ولهم توراة محرفة تختلف عن توراة اليهود، ومن أبرز الاختلافات بينهما، عدم قبول السامرية بالتوراة سوى الأسفار الستة الأولى من سفر التكوين حتى سفر يشوع من جهة، واختلافهما في الحوادث والأسماء والأعداد من جهة أخرى[2].

2: الصدوقيون

ظهر الصدوقيون كواحدة من الفرق اليهودية في بداية القرن الثاني قبل الميلاد، وسموا بالصدوقيين نسبة إلى كبير الكهنة المدعو صدوق، الذي عاصر داود ﷺ[3]، وكان مبدؤهم قبول اليهودية كعقيدة فقط، رغم بعض الاختلافات البسيطة في الشعائر وبعض العقائد، كما فضلوا العيش بشكل طبيعي منصهرين مع المجتمع، مما دفعهم إلى الخروج على زعمائهم منكرين نزول القانون الشفهي من السماء، أو كونه مروي عن موسى ﷺ، لذلك رفضوا كل ما قال به الكهان والكتبة بشكل كامل، ولاسيما ما هو خارج عن الأسفار الخمسة التي جاء بها موسى ﷺ[4]، كما أنهم ينكرون البعث والنشور ولا يؤمنون بهما، ويعتقدون في ذات الوقت بأن العقاب على الذنوب والثواب على الإحسان يكونان في الحياة الدنيا، وذلك على العكس من الفريسيين، فضلاً عما تقدم هناك بعض العقائد التي تعتقدها فرقة الصدوقيين كإنكار وجود الشياطين والملائكة والقضاء والقدر، وما يكتب على الإنسان وما له في اللوح المحفوظ، كما إنهم يقولون بأن الإنسان خالق أفعال نفسه، وهو حر التصرف فيما يريد، وبذلك يكون مسؤولا عما يقوم به من أفعال وتصرفات، وما خدمتهم لله إلا بدافع المحبة والشكر له، لا من أجل الثواب والأجر واتقاء العقاب، فكان لهذه الاعتقادات دورها في حدوث مشادات وخلافات بينهم وبين الفريسيين[5].

---

(1) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر (بيروت: 1405هـ): ج 1/ ص283؛ ابن كثير، المصدر نفسه: ج2/ص240.

(2) للمزيد من التفاصيل عن هذه الفرقة ينظر: مهران، بنو اسرائيل: ج4 / ص 560؛ همو، الفرق والمذاهب اليهودية، ص34-35.

(3) شبيب، الوجيز في الفرق الدينية اليهودية، ص 80.

(4) سوسه، ملامح من التاريخ القديم لليهود، ص 165.

(5) علي عبد الواحد وافي، اليهودية واليهود، د. م. (القاهرة: 1970 م)، ص 84؛ مهران، بنو اسرائيل: ج4 / ص558.

كان الصدوقيون متأثرين بالثقافة والمدنية الإغريقية، كما كان لهم أعضاء يمثلونهم في السنهدرين[1] بلغ عددهم عشرين عضوًا من أصل سبعين[2]، كما كان عدد الصدوقيون أقل من أضدادهم من الفريسيين، إلا أنهم كانوا أغنى منهم ويمتلكون قوة اقتصادية حققت لهم المكانة الاجتماعية والجاه[3].

3: الفريسيون

هم فرقة من اليهود الأرثوذكس، ظهرت كرد فعل مضاد لفرقة الصدوقيين بعد الثورة المكابية خلال الحقبة (165-160 ق.م.)، وأطلق أعداؤهم عليهم اسم الفريسيين، وتعني هذه التسمية المنشقين أو المنفصلين لذلك كرهوها، وأطلقوا على أنفسهم تسمية الأحبار أو الإخوان[4]، وتمثل الهدف الرئيس لهذه الفرقة بإبقاء اليهود معزولين عن بقية المجتمع البشري وبقيت تمارس نشاطها لما يقرب من ثلاثة قرون حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، والفريسيون هم أصحاب الشريعة الشفهية، ودعوا إلى الأخذ بها إضافة إلى الأسفار الخمسة الأولى المدونة وساعدت الشفهية على تغلغل الروايات الكاذبة والتحريف إلى التوراة، ويعد عزرا الكاهن[5]، من كبار زعماء هذه الفرقة،

---

(1) السنهدرين: السنهدرين أو السنهدريم كلمة عبرية الاصل مشتقة من الكلمة اليونانية سندريون، تعني الجالسون معًا او المجتمعون، ويقصد بها مجلس الشيوخ أو مجلس المستشارين، وتأسس بعد عودة اليهود من بابل إلى فلسطين في حدود الالف السادس قبل الميلاد، واهتم هذا المجلس بجمع الشرائع اليهودية وإعادة تبويبها من أجل الحفاظ عليها من الضياع، وكان لأعضاء هذا المجلس الدور الكبير في توجيه المجتمع اليهودي دينيًا وقيادته سياسيًا، أما التاريخ الدقيق لتأسيسه، فقد اختلفت المصادر في تحديده فمنها من قال في سنة 200 ق. م. ومنهم من قال في سنة 140 ق. م.، وفي كل الاحوال كان تأسيسه في القرن الثاني قبل الميلاد اي بعد العودة من بابل بثلاثة قرون. للمزيد ينظر: شبيب، الوجيز في الفرق الدينية اليهودية، ص 61-62؛ سوسة، ملامح من التاريخ القديم لليهود، ص 179.

(2) سوسه، المرجع نفسه، ص 165.

(3) مهران، بنو اسرائيل: ج4 / ص558.

(4) شبيب، الوجيز في الفرق الدينية اليهودية، ص 85.

(5) عزرا الكاهن: ويطلق عليه اسم عزرا الكاتب، وسمي بالكاتب لان الروايات تشير إلى أنه هو من جمع نصوص التوراة المحفوظة في صدور اليهود ودونها، وحرفها حسب اهوائهم، بعد عودته من بابل إلى فلسطين في سنة 458 ق. م.، وحاول إصلاح أوضاع اليهود فيها، معتمدًا على الخبرة التي اكتسبها أثناء عمله في بلاط الملك الأخميني في بابل، ونجح بعض الشيء ما هدف اليه، توفي في سنة 444ق. م.. ينظر: همو، الفرق والمذاهب اليهودية، ص 41؛ شبيب، المرجع نفسه، ص 74.

وقد لعب الفريسيون دورًا كبيرًا في تدوين الشريعة الشفوية[1]، لاسيما بعد تغلبهم على الصدوقيين، فضلاً عن شحن التاريخ اليهودي بالكثير من الأساطير الإسرائيلية المزيفة، لذلك عدوا خصومهم من الصدوقيين أهل ضلالة[2].

لقد كانت للفريسيين الكلمة العليا في المجتمع اليهودي، أثناء حقبة دعوة السيد المسيح ﷺ، وكانوا من أشد خصومه، ويرجع ذلك لما يمتلكونه من علم، فضلاً عن كلمتهم المسموعة بين الناس آنذاك[3]، وما حققوه من مكانة كبيرة عند الحكام الرومان نتيجة لتعاونهم معهم وموالاتهم لهم، ووردت في الإنجيل تأكيدًا على أنهم هم من اتهم السيد المسيح ﷺ بشق عصا الطاعة والتمرد على الرومان، واستمروا في تدبير المؤامرات ضده حتى تم صلبه[4]، ولا يزال أحفادهم إلى اليوم يعتقدون بهذه المبادئ.

4: الآسينيون

يرجع أول ذكر لهذه الفرقة إلى أيام الثورة المكابية، وتحديدًا في عهد الأمير المكابي يوناثان (160-142 ق. م.)، وعاصرت السيد المسيح ﷺ، وهي من الفرق الدينية اليهودية النشطة، والمقبولة في المجتمع اليهودي[5]، ورغم ذلك لم يرد لها أي ذكر في أقوال السيد المسيح ﷺ، وقد أرجع بعض المؤرخين ذلك إلى بعدها عن أورشليم من جهة وعدم مجيئهم إلى الهيكل لتقديم القرابين من جهة أخرى، كما أنها لم تعمر طويلاً، إذ لم تلبث أن انقرضت في نهايات القرن الأول الميلادي، وتشير الروايات إلى أن فكر الآسينين ما هو الا مزيج من المعتقدات اليهودية، التي تأثرت بالتيارات الخارجية كالفلسفة اليونانية وغيرها، وتقديس المعتقد الفارسي المجوسي القائم الذي يربط بين النور والظلام والخير والشر، فضلاً عن بعض المعتقدات المصرية الفرعونية القديمة وغيرها من المعتقدات الدخيلة، اعتقد الآسينيون بالسعادة في حياة ما بعد الموت، إلا أنهم كانوا يشكون في قيامة الجسد[6].

---

(1) الشريعة الشفوية ويطلق عليها التوراة الشفوية أيضًا، ويقصد بها التلمود الذي دونه الاحبار اليهود، وهي ما بعد الاسفار الخمسة. ينظر: قنديل، الأثر الاسلامي في الفكر الديني اليهودي، ص 85.

(2) سوسه، ملامح من التاريخ القديم لليهود، ص 166.

(3) قنديل، الاثر الاسلامي في الفكر الديني اليهودي، ص 91.

(4) إنجيل متى: 23: 29.

(5) همو، الفرق والمذاهب اليهودية، ص 66-67.

(6) وافي، اليهودية واليهود، ص 93.

لم يقتصر الأمر على الفرق الأربع السالفة الذكر بل ظهرت الكثير من الفرق الدينية اليهودية، وكان لكل منها مبادؤها وتعاليمها، وأدت دورًا فعليًا في التاريخ اليهودي، وقد أوصل بعض المؤرخين عددها إلى اثنتى عشرة فرقة[1]، لا يزال قسمٌ منها موجودًا إلى يومنا هذا.

(1) للإطلاع على جميع الفرق اليهودية وتفاصيلها من حيث النشأة والمبادئ والتعاليم ودورها السياسي والديني، ينظر: شبيب، الوجيز في الفرق الدينية اليهودية؛ هموو، الفرق والمذاهب اليهودية.

الفصل

1

التاريخ المبكر لليهود ومناطق استيطانهم قبل الإسلام

- المبحث الأول : التاريخ المبكر لليهود في بلاد الشام
- المبحث الثاني : بدايات الوجود اليهودي في مصر
- المبحث الثالث : بدايات الوجود اليهودي في العراق قبل الإسلام
- المبحث الرابع : بدايات الوجود اليهود في الجزيرة العربية قبل الإسلام
- المبحث الخامس : الوجود اليهودي في اليمن
- المبحث السادس : بدايات الوجود اليهود في بلاد المغرب قبل الإسلام
- المبحث السابع : التواجد اليهودي في أسبانيا قبل الإسلام

الفصل

1

التاريخ المبكر لليهود ومناطق استيطانهم قبل الإسلام

المبحث الأول: التاريخ المبكر لليهود في بلاد الشام

يعد اليهود من الشعوب العنصرية المنغلقة على نفسها، لاسيما أنهم ربطوا تاريخهم بديانتهم المحرفة، وجعلوه من الأمور المقدسة، مما أدى إلى شيوع فكرة ثنائية عند إطلاق تسميتهم، فعندما نسمع تسمية اليهود يتبادر إلى أذهاننا العنصر اليهودي، وفي ذات الوقت الدين اليهودي _ أي إن التسمية أخذت تعني الاثنين معًا.

أما التاريخ المبكر لليهود فيسوده الغموض، ويرجع ذلك إلى أن معظمه عبارة عن سرد تأريخي مطول لقصص بني إسرائيل التي وردت في التوراة، والأحداث التي عاشوها على مر العصور وفي مختلف البلاد، لذا فان التوراة تعد من أهم مصادر دراسة التاريخ اليهودي ومفاصله حتى القرن الخامس قبل الميلاد[1]، وقد قسمت المرويات التوراتية تأريخهم المبكر إلى عصور ومراحل متسلسلة زمنيًا، ولكن شابها الكثير من التحريف بحكم التحريف الذي دخل عليها، لاسيما أنها دونت بعد عدة قرون من وفاة النبي موسى عليه السلام من جهة، كما إنهم دونوها وفق ما تشتهي أنفسهم، وما تتطلبه مصالحهم الخاصة من جهة أخرى، فجاء التقسيم على الشكل التالي:

- **العصر الأول:** تمثلت بعهد الآباء (المرحلة البطريركية) إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام.
- **العصر الثاني:** العبودية في مصر.
- **العصر الثالث:** الخروج من مصر بقيادة موسى عليه السلام في القرن الثالث عشر قبل الميلاد والتيه في صحراء سيناء.

(1) صالح موسى دراذكه، العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع (عمان: 1992م)، ص 29؛ شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين، مطبعة المقتطف (مصر: 1904 م)، ص 3-4؛ عمر سعادة، فلسطين في التاريخ الاسلامي، دار الفكر (دمشق: 2008م)، ص 11؛ ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص 2.

- **العصر الرابع:** غزو أرض كنعان وتدمير المدن الكنعانية عاي وأريحا[1] واستيطان الأرض بعد تقسيمها على أسباط إسرائيل الاثني عشر.
- **العصر الخامس:** يبدأ عصر القضاة من موت يشوع الذي خلف موسى عليه السلام إلى صموئيل النبي الذي مسح شاؤل أول ملك على إسرائيل.
- **العصر السادس:** الملكية الموحدة وشملت عهد شاؤل داود وسليمان عليه السلام (1050-953 ق.م.)
- **العصر السابع:** انقسام المملكة (إسرائيل) وعاصمتها السامرة في الشمال وتضم عشرة أسباط، و(يهوذا) في الجنوب وعاصمتها القدس، وتضم سبط يهوذا وسبط بنيامين.
- **العصر الثامن:** دمار مملكة إسرائيل على يد الآشوريين بقيادة الملك سرجون الثاني 722 ق. م. دمار يهوذا على يد الملك البابلي نبوخذ نصر سنة 586 ق.م. والسبي البابلي.
- **العصر التاسع:** العودة من السبي البابلي بعد السماح من قبل الملك الفارسي كورش وإعادة بناء الهيكل مرة أخرى[2].

ونحن بدورنا وبحكم اختصاصنا في مجال الدراسات التاريخية، سنتناوله دراسة تاريخهم المبكر، وفق التسلسل الزمني القائم على أصول منهج البحث التاريخي، لذلك نبدأ به من ورود أول ذكر لليهود في التاريخ، ووصولاً إلى مرحلة تشتتهم وتفرقهم في البلاد كي يتسنى للقارئ الكريم فهم الأحداث بشكل سلس، مع الاختزال لبعض الحقب، واعتمدنا هذا النمط من الدراسة للسببين: الأول هو إجماع المؤرخين وتأكيدهم على عدم تاريخية بعضها، كحقبة الآباء والغزو والقضاة، إذ شككوا في تأريخية بعض الرموز الأساسية. أما الثاني فيرجع إلى كون الدراسات التأريخية تقوم على الأبحاث الأكاديمية الدقيقة، المدعمة بالأدلة التأريخية والمكتشفات الأثرية التي تعززها.

يبدأ التاريخ اليهودي منذ عهد نبي الله إسرائيل عليه السلام - يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام- الذي استوطن في فلسطين مهد الحضارة الكنعانية، وقد ورد ذكر قصته مع أولاده

---

(1) أريحا: واحدة من المدن الفلسطينية تقع بالقرب من القدس على بعد 30 كم. ينظر: عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، دار الجيل (بيروت: 1991م): ج2/ص647.

(2) توماس ل. طومسون، التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي، ترجمة: علي سواح، بيسان للنشر والتوزيع (بيروت: 1995م)، ص أ.

الاثنى عشر في سورة يوسف عليه السلام، ومن ذريتهم كان الإسرائيليون، وبعد قصتهم المعروفة مع أخيهم يوسف عليه السلام وإلقائه في الجب، وحزن أبيهم عليه، وفقدانه لبصره من شدة البكاء، وبعد أن مكن الله ليوسف عليه السلام في الأرض، وأصبح عزيزًا لمصر انتقل نبي الله يعقوب عليه السلام وبنيه للعيش في مصر مكرّمين إلى جانب يوسف عليه السلام[1]، وبعد وفاة نبي الله يعقوب وولده يوسف عليه السلام، تغيرت أحوال بني إسرائيل في مصر، وانتقلوا إلى مرحلة حرجة، وظروف أذلوا فيها بعد أن كانوا يعيشون في عزة وجاه أيام نبي الله يوسف عليه السلام، إذ اضطهدهم فرعون وأخذ باستعبادهم، لأن المصريين عدوا بني إسرائيل خونة لتعاونهم مع الهكسوس الذين غزوا مصر من جهة، وخشية فرعون من استفحال أمرهم من جهة أخرى[2]، وقال جل جلاله في محكم كتابه: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[3].

بعد أن عانى بنو إسرائيل ما عانوه من ذل وقهر وقتل واستحياء أرسل الله نبيه موسى وأخيه هارون عليه السلام من ذرية لاوي بن يعقوب عليه السلام، وذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد إلى فرعون وقومه لدعوتهم إلى الإيمان بالله وحده، ورفع العذاب الذي كانوا يمارسونه بحق بني إسرائيل، إلا أن فرعون مصر وقومه كذبوا موسى وعصوا الله وكفروا به، فأمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام بالخروج ببني إسرائيل من أرض مصر، وأثناء فرارهم تتبعهم فرعون بجنوده، فأغرقهم الله أثناء عبورهم البحر، ونَجا موسى عليه السلام وقومه من بطش فرعون، فوصلوا إلى أرض سيناء[4]، وعلى الرغم من نجاة اليهود من الذل والقهر الذي كانوا يعيشون فيه، إلا أن تأثيره كان كبيرًا على عقيدتهم التي شابها الفساد، كما أثرت على الجانب النفسي لهم، مما أضعف همتهم، فأظهروا كل أنواع العصيان لأوامر ربهم وتعاليم نبيهم سواء العناد أو التواكل والتخاذل والمسكنة، كشكهم بموت فرعون بعد أن أغرقه الله في البحر، فألقى الله بجسده من البحر ميتًا، وقال الله جلا جلاله: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾[5].

---

(1) ذكرت هذه القصة بشكل مفصل في سورة يوسف كما تناولتها التوراة أيضًا.

(2) ابن كثير، قصص الأنبياء، د.م. (القاهرة: 1968م):ج1/ص 153، 154.

(3) سورة البقرة، الآية 49.

(4) التوراة، سفر التكوين: 6 / 16-20؛ سعادة، فلسطين، ص 13.

(5) سورة يونس، الآية 92.

تجاوز بنو إسرائيل البحر بفضل من الله تعالى، إلا أنهم لم يلبثوا أن بدؤوا سريعًا بالتذمر متناسين ما مروا به من محن، ولم يصبروا على قضاء الله، فما أن وصلوا إلى صحراء سيناء، وشعروا بالعطش، ازداد تذمرهم وازدادت شكواهم لموسى ﷺ، فاستسقى لهم، ففجر الله لهم العيون، وبعد أن شربوا وذهب ظمؤهم، أخذوا بالشكوى من الجوع وسألوا موسى ﷺ الطعام، فأنزل الله تعالى عليهم المن والسلوى[1] وهي نوع من أنواع الطعام[2]، ولم يكتفوا بذلك بل طلبوا الكثير وموسى ﷺ يسأل ربه لأجلهم، ورغم ذلك أظهروا العناد والمكابرة، وعدم الإيمان حتى يروا الله جهرة، بل زادوا كفرًا، فعندما ذهب موسى ﷺ للقاء ربه في جبل الطور ليأخذ التوراة، تاركًا قومه وأخاه هارون معهم، عادوا إلى الوثنية التي تأثروا بها في مصر[3]، فصنع لهم السامري عجلاً له خوار واتخذوه إله يعبدونه، ورغم جحودهم وما اقترفوه من ذنوب تبقى رحمة الله وعفوه تبارك وتعالى أوسع، إلا أن بني إسرائيل جحدوا ولم يشكروا نعمة الله عليهم، وقد ذكر الله تعالى ذلك في محكم كتابه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[4].

لقد وعد الله بني إسرائيل بالنصر، فأمرهم بدخول الأرض المقدسة، وطلب منهم موسى ﷺ الدخول بناء على الأمر الإلهي، لكنهم عصوا وتخاذلوا، فحكم الله عليهم بالتيه في صحراء سيناء أربعين سنة يتنقلون فيها دائمًا، ولا يجدون طريقًا للخروج منها، حتى ماتوا وانقرض ذلك الجيل المتخاذل العاصي الذي آذى نبيه أشد إيذاء[5]، وأثناء تلك المرحلة توفي هارون ومن بعده موسى ﷺ، فأرسل الله إلى بني إسرائيل النبي يوشع بن نون ﷺ خليفة لموسى ﷺ، وبعد انقضاء سنوات التيه خرج يوشع ﷺ ببني إسرائيل إلى بيت المقدس، وفرض عليها حصار حتى فتحها الله

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 1/ ص 98-101؛ سعادة، فلسطين، ص 13.

(2) المن: مادة سائلة على اوراق الاشجار حلوة الطعم، والسلوى: طائر السمان يطير على شكل أسراب يتساقط على الارض بكثرة. ينظر: صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام، دار الجيل، ط 2 (بيروت: 1991 م): ج 2 /ص 43، هامش رقم (1).

(3) قدح، موجز تاريخ اليهود، ص 250.

(4) سورة البقرة، الاية: 61.

(5) سعادة، فلسطين، ص 15.

على أيديهم، وأمرهم الله عز وجل بدخولهم سجدًا، فدخلوها يزحفون، إلا أنهم قالوا حطة، لكنهم لم يلبثوا أن جحدوا وقابلوا الإحسان بالإساءة، فاستحقوا بفعلهم هذا غضب الله عليهم، وبعد هذا النصر قام يوشع عليه السلام بإكمال فتوحاته وقسم الأراضي التي غنمها على ذرية بني إسرائيل الاثني عشر، وبعد وفاة يوشع عليه السلام تولى قضاتهم مهمة تدبير أمر بني إسرائيل وقيادتهم، لينتقل تاريخهم إلى مرحلة جديدة عرفت بعصر القضاة، واستمر 350 سنة وفق ما أوردته التوراة[1]، إلا أن الدراسات التأريخية أشارت إلى أنه لم يتجاوز مئة سنة، وشهد هذا العصر تزايد النزاعات والحروب الداخلية والخارجية بين بني إسرائيل وغيرهم، فضلاً عن ارتداد الكثير منهم وكفرهم، وانتشار ظاهرة الزنا في المجتمع، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل الفساد إلى أشخاص القضاة أنفسهم، فأخذوا الرشوة وظلموا وحكموا حسب أهوائهم، فطلب بنو إسرائيل من آخر قضاتهم أن يختار لهم ملكًا يوحد صفوفهم ويقيم النظام ويصلح المجتمع، لينتقلوا إلى مرحلة جديدة أطلق عليها عصر الملوك[2].

أما عصر الملوك فيبدأ باختيار شاؤول – طالوت- كأول ملك على بني إسرائيل، وهنا لابد من التأكيد على حقيقة جوهرية، وهي أن بني إسرائيل لم يكونوا آنذاك قد بلغوا مرحلة من النضج والانسجام الاجتماعي تؤهلهم لتأسيس كيان سياسي موحد[3]، وقد أكد ذلك المستشرق غوستاف لوبون قائلاً: ((كان بنو إسرائيل أقل من أمة حتى زمن شاؤول، كانوا أخلاطًا من عصابات جامحة، كانوا مجموعة غير منسجمة من قبائل سامية صغيرة أفاقة بدوية تقوم حياتها على الغزو والفتح والجدب وانتهاب القرى الصغيرة، حيث تقضي عيشًا رغيدًا دفعة واحدة في بضعة أيام، فإذا مضت هذه الأيام القليلة عادت إلى حياة التيه والبؤس))[4].

تولى النبي داود عليه السلام الملك بعد طالوت، إلا أن مهمته لم تكن سهلة كي يحول هذا الخليط المتنافر من العشائر إلى شعب وإلى كيان سياسي منسجم متماسك، إذ خاض صراعات عديدة لإخضاع القبائل الإسرائيلية، وقمع تمرداتها المتعددة، لاسيما في القسم الشمالي من المملكة، وقد استعان النبي داود عليه السلام بالفلسطينيين في توطيد دعائم ملكه، وفي بناء قوته العسكرية، فضلاً عن القبائل من غير بني إسرائيل، ولكنه حكم الجميع وفق معايير العدل والرحمة دون التمييز بين

---

(1) دروزة، تاريخ بني إسرائيل، ص 122؛ قدح، موجز تاريخ اليهود، ص 254.

(2) الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص 83.

(3) سعادة، فلسطين، ص 17.

(4) اليهود في تاريخ الحضارات الاولى، مكتبة عيسى البابي الحلبي (القاهرة: 1970 م)، ص 32.

شعبه على أساس العرق أو الدين، فكان ذلك واحدًا من أهم أسباب انفضاض بني إسرائيل من حوله، وتمردهم الدائم على حكمه، فقد كانت عنصريتهم واستكبارهم تجاه غير المنتمين لجنسهم، هما ما يدفعانهم إلى رفضهم المساواة مع غيرهم في الحقوق والواجبات، ولم يكن داود عليه السلام مضطرًا لمجاراة بني إسرائيل على حساب طاعة الله سبحانه وتعالى، مما أدى إلى اتساع الشقة بينهم، ودفعهم إلى الكذب والافتراء عليه، وشوهوا صورتــه في كتاب التوراة، وجعلوا منه ملك شديد البطش لا يتوانى عن القتل وارتكاب المجازر وحبك الدسائس والمؤامرات، وعكسوا على شخصيته طبائع اليهود المريضة[1].

بعد وفاة النبي داود عليه السلام جاء حكم ولده سليمان عليه السلام امتدادًا لحكم أبيه، ولم يتغير موقف بني إسرائيل مع هذا التبدل، بل زادوا تعنتا وغلظة، وجزاء ذلك عاملهم سليمان عليه السلام بحزم لم يخل من القسوة في كثير من الأحيان، من أجل إصلاحهم ودمجهم في النظام السياسي والاجتماعي والثقافي للدولة، إلا أنّ تعنتهم وعنادهم لم يزدهم إلا نفورًا وتباعدًا وتمردًا على حكمه، وتم خلال عهده إكمال بناء الهيكل، الذي تم بناؤه في عهد ابيه داود عليه السلام، لذلك سمي بـ(هيكل سليمان) نسبة إليه، وبعد وفاة نبي الله سليمان عليه السلام في سنة 931 ق.م. عاد بني إسرائيل إلى الانقسام والصراعات، وانقسمت مملكتهم[2]، فاجتمع بنو إسرائيل في أورشليم لتنصيب رحبعام بن سليمان ملكًا عليهم، إلا أنهم اشترطوا عليه تخفيف الأحكام التي فرضت عليهم في عهد سليمان عليه السلام، فلم يوافقهم الرأي، مما أدى إلى التفاف معظم الشعب إلى جانب يربعام بن نباط، قائد جيوش سليمان، فبايعوه ملكًا عليهم، بينما بايع أبناء يهوذا وبنيامين رحبعام ملكًا عليهم [3]، وبذلك انقسمت مملكة بني إسرائيل إلى مملكتين منفصلتين مستقلتين عن بعضهما البعض، وفي أحيان كثيرة كانتا متخاصمتين متنازعتين[4] عرفت الأولى بمملكة إسرائيل، التي تقع في شمال فلسطين، واتخذت من مدينة شكيم عاصمة لها، بينما عرفت الثانية بمملكة يهوذا التي، تقع في جنوب فلسطين وعاصمتها أورشليم – القدس -[5]، واتصف هذا العصر بارتداد معظم بني إسرائيل، وكفرهم وارتكابهم الفواحش والفجور منذ بداية انقسام مملكة إسرائيل، فضلاً عن اندلاع الحروب

---

(1) سعادة، فلسطين، ص 11.

(2) ظفر الاسلام خان، تاريخ فلسطين القديمة، ط 6، (دار النفائس: 1992 م)، ص 55.

(3) دروزة، تاريخ بني إسرائيل ص 207 - 208.

(4) مالمات، العبرانيون وبني إسرائيل في العصور القديمة، ص 14.

(5) دروزة، تاريخ بني إسرائيل ص 207 - 208.

بين المملكتين من جهة، ومع البلاد المجاورة لها من جهة أخرى، وتعد السيطرة الآشورية لمملكة إسرائيل الشمالية في سنة 722 ق.م.، وتدميرها بشكل كامل من أشهر حوادث ذلك العصر، إذ لم يكتفِ الآشوريون بذلك، بل قاموا بنقل كل من بقي من أهلها، ومن مختلف الطبقات كسبي إلى العاصمة الآشورية[1]، وذلك في عهد الملك الآشوري سرجون الثاني، لينتهي بذلك تاريخ مملكة إسرائيل الشمالية على يد الآشوريين، وبعد انتهاء مملكة إسرائيل، لم يبق إلا مملكة يهوذا الجنوبية، التي بقيت تقاوم بوجه الطامعين والغزاة من أجل البقاء، واستمر الوضع على ما هو عليه حتى مجيء فرعون مصر، الذي زحف على مملكة يهوذا سنة 608 ق. م.، ونجح في احتلالها، واستمر في زحفه، فاحتل مملكة إسرائيل التي سقطت بيد الآشوريين[2].

عندما آل الحكم إلى البابليين، واعتلى الملك نبوخذ نصر العرش، سار بجيشه لمهاجمة مملكة أورشليم في سنة 586 ق. م.، ونجح في فرض السيطرة عليها، فدخل أورشليم، وقام بإحراق هيكل سليمان وأمر بهدمه، كما قام بتدمير منازلها وهدم أسوار أورشليم، واقتاد من تبقي من بني إسرائيل كسبي إلى بابل، وهذا ما أطلق عليه السبي البابلي[3]، وبذلك تم القضاء على ما تبقى من مملكة بني إسرائيل، فعاشوا في بابل قرابة نصف قرن تأثروا خلالها بالعقائد البابلية لينحرفوا بذلك عن اليهودية مرة أخرى[4]، وعندما احتل الفرس بلاد بابل في سنة 539 ق.م في عهد الملك كورش، وأضافوا ممتلكاتها إلى حظيرة إمبراطوريتهم، وبعد ثلاث سنوات من احتلال بابل تعاطف الفرس مع بني إسرائيل، فتم السماح لهم بالعودة إلى فلسطين[5]، وعلى الرغم من ذلك فضل كثير منهم البقاء في بابل على العودة. أما من قرر العودة، فقد عادوا على شكل جماعات، بلغ عدد المجموعة الأولى منها خمسين ألف يهودي بقيادة زربابل، ثم تلتها مجموعات بقيادة عزرا ونحميا[6].

---

(1) طومسون، التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي، ص ح، 286.

(2) قدح، موجز تاريخ اليهود، ص 256-257.

(3) إسرائيل شاهاك، التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة الاف سنة، ترجمة: صالح علي سوداح، بيسان للنشر والتوزيع (بيروت: 1995م)، ص 81؛ أحمد علي المجذوب، المستوطنات اليهودية على عهد الرسول ﷺ، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة: 1992 م)، 35-36.

(4) سعادة، فلسطين، ص 11.

(5) طومسون، التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي، ص ح.

(6) سعادة، فلسطين، ص 11؛ دروزة، تاريخ بني إسرائيل، ص 207 - 208.

بعد عودة اليهود إلى فلسطين تم إعادة بناء مدينة أورشليم وهيكل سليمان، وزعم اليهود خلال هذه الحقبة أن عزرا أعاد التوراة التي فقدت أثناء السبي البابلي، وهو من جمع أسفار الكتاب المقدس وأعاد نظمها، كما أنهم أعدوا عزرا المؤسس الحقيقي للنظم اليهودية خلال القرن الخامس قبل الميلاد، لذلك أطلقوا عليه لقب الكاهن الكاتب أو الوراق[1]، ومنذ عودة اليهود من بابل إلى فلسطين يختفي ذكر بني إسرائيل، بسبب اختلاط من عاد منهم إلى فلسطين ببقية السكان، فعرف بنو إسرائيل باليهود، وأطلق على بلادهم تسمية اليهودية[2]، وعاشوا تحت الحكم الفارسي لتلك البلاد، ومن بعدهم خضعوا لحكم عدة قوى كالمقدونيين والبطالمة والرومان حتى سنة 56 ق. م.، الذين ولد في عصرهم السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وعلى الرغم من المحاولات اليهودية المتعددة خلال هذه العصور لإعادة دولتهم وأمجادهم الغابرة، إلا أنهم فشلوا في تحقيق ما يصبون اليه، بل كانت النتائج عكسية تمامًا والفشل من نصيبها، فدائمًا ما تنتهي ثوراتهم باضطهادهم وتدميرهم وقتلهم وتشريدهم، فيرجعوا إلى حالة الإذلال، ويعد ذلك جزء من العقاب الإلهي جزاء عصيانهم وكفرهم، وما اقترفوه بحق أنبيائهم[3].

في الحقيقة إذا ما تتبعنا تاريخ اليهود نجد أن معظمه إن لم يكن جله، كان خاضعًا لسيادة أجنبية، ولم يتمتعوا باستقلال حقيقي، إلا خلال السنوات 83 ق. م. -56 ق.م. أي الحقبة الواقعة بين السيطرة السلوقية وبداية السيطرة الروماني على فلسطين، وهذه المدة لا تزيد عن سبع وعشرين سنة، وبذلك فإنها لا تعطي أي حق تاريخي لليهود في فلسطين حسب زعمهم، مقابل الحق العربي الذي يمتد لآلاف السنين[4].

وفي سنة 70 م قام اليهود بثورة ضد الرومان من أجل تحقيق مصالح شخصية اقتصادية تحت غطاء ديني، كخوف كهنة المعبد أثناء الثورة المكابية من تحول واردات معبدهم من هدايا ونذور وقرابين إلى معبد آخر[5]، فقام الإمبراطور تيتوس بتدمير هيكل سليمان مرة ثانية، فضلاً عن

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، ط3، د. م. (القاهرة: 1973 م): 366/2.

(2) مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين ص32.

(3) قدح، موجز تاريخ اليهود، ص 258.

(4) فتحية بنت حسين ابراهيم عقاب، العلاقات السياسية بين الانباط واليهود في فلسطين وموقف الدولة الرومانية منها، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية بنات (جامعة الملك سعود: 2000م)، ص 197.

(5) المرجع نفسه، ص 194- 195، 243؛ جمال حمدان، اليهود انثروبولوجيا، تقديم: عبد الوهاب المسيري، دار الهلال (القاهرة: 1996 م)، ص 69.

قتل وسبي عدد كبير من اليهود[1]، إلا أنهم لم يتعظوا بما جرى لهم، فقاموا بثورة أخرى في سنة 135 م في عهد الإمبراطور الروماني أدريانوس، فدمر مدينة أورشليم، وأمر بناء معبد للإله الروماني «جوبيتير» على أنقاض مكان الهيكل، كما غيّر اسم أورشليم إلى «إيليا»، وقتل كثيراً من اليهود الساكنين فيها، ونفى من بقي حيًّا منهم، ومنعهم من دخول أورشليم، فتشتت اليهود وتفرقوا في مختلف البلدان، وكانت النتيجة اندماجهم مع سكانها، وتثقفم بثقافتها وعاداتها وتقاليدها وتكلمهم بلغتها[2]، وبهذه الحادثة ينتهي تاريخ بني إسرائيل كأمة، فذاقوا فيها شتى أنواع العذاب، وتعرضوا لسخط سكانها لما ارتكبوا من كفر وفسق وإفسادهم في الأرض، وأشاعوا فيها الرذائل وأكل الربا، ومن هنا بدأ انتشار اليهود واستيطانهم في مختلف البلاد، ومنها مصر والعراق والشام والمغرب وصولاً إلى الأندلس، ولكي نعطي صورة واضحة للاستيطان اليهودي فيها آثرنا تناول كل منها على حدى، وحسب قربها من فلسطين كونها مركز انطلاق الانتشار اليهودي.

بعد ما سردناه من تاريخ بني إسرائيل المبكر في بلاد الشام، لاسيما في فلسطين التي مثلت مركز ثقلهم، لابد من الإدلاء بحقيقة لابد من ذكرها هنا، وهي بطلان المزاعم اليهودية حول ملكيتهم لأرض فلسطين، ومحاولاتهم لإثبات حق تاريخي لهم فيها، وهذا ما يعلمونه لأبنائهم، ويحاولون ترسيخ ذلك في أذهانهم، مدعين أنها ملك تأريخي منحه الرب لهم وفق ما ورد في التوراة حسب ادعائهم[3]، ولكن التوراة ذاتها رغم تحريفها اعترفت بأن فلسطين أرض غربة بالنسبة لآل إبراهيم وآل إسحق وآل يعقوب، الذين عدتهم مغتربين بين سكانها الأصليين من الكنعانيين، وتصِفُهم بأنهم وافدون طارئون على فلسطين، وأن أبناء يعقوب عليه السلام الاثني عشر جميعهم ولدوا في فدان آرام [منطقة حران]، التي عاش فيها أبيهم يعقوب عليه السلام عشرين سنة[4]، وهذا يدل على أن موطنهم الأصلي في منطقة حران الآرامية وليس فلسطين، ومنها هاجروا إلى مصر في زمن يوسف عليه السلام[5].

---

(1) وسام حسين عبد الرزاق وآخر، الاصول التاريخية للوجود اليهودي في الخليج العربي في العصر الحديث، بحث منشور في مجلة مداد الاداب (الجامعة العراقية: د.ت.): ع7 /ص 257.

(2) سوسه، ابحاث في اليهودية والصهيونية، دار الامل (اربد: 2003 م)، ص43 ؛ حمدان، أنثربولوجيا اليهود، ص 69.

(3) سوسه، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت: 2001م)، ص5.

(4) التوراة: سفر التكوين: 10:12؛ 1:2؛ 24:22؛ 23:35-26؛ 28:32.

(5) للمزيد من التفاصيل عن عدم صحة مزاعم اليهود حول أحقيتهم بأرض فلسطين ينظر: =

المبحث الثاني: بدايات الوجود اليهودي في مصر

إن مصر من الأقاليم العربية ذات الحضارة العريقة والقديمة قدم التاريخ، ونتيجة لذلك فقد ارتبط بتاريخها كثير من الأقوام ومن ضمنها اليهود، فالعلاقة بينهما قديمة جدًا، وترجع إلى زمن النبي يعقوب عليه السلام وأولاده الإثنى عشر واستقرارهم في مصر، وذلك عندما أصبح يوسف عليه السلام عزيزاً لمصر[1]، وفيها أحاطهم يوسف عليه السلام بعنايته ورعايته، كما أكرموا كثيراً من قبل فرعونها، فازداد عدد بني إسرائيل، وعلى الرغم من ذلك فإنهم عاشوا في عزلة، ولم يختلطوا مع الشعب المصري، وهذه هي طبيعتهم المائلة دائما إلى الانعزال والانفصال، فأدى ذلك إلى عدم الأُلفة مع شعوب البلدان التي استوطنوها، وبعد موت الفرعون المعاصر ليوسف عليه السلام، وتولي فرعونٍ جديدٍ للعرش، زاد الخطر المهدد لهم، إذ إن الفرعون الجديد كان يوجس منهم ريبة، لأنه لم يكن يعرف يوسف عليه السلام من جهة، ولم يكن يعدهم جزءًا من أبناء قوميته من جهة أخرى، لذلك كان يخشى تحالفهم مع أعدائه إذا ما دخل في حرب، لاسيما وإن أنظارهم كانت تتجه دائمًا إلى خارج مصر، وليس إلى داخلها[2].

كما أن بني إسرائيل لم يعيشوا في ظل نظام حكم سياسي، إلا واستغلوه لتحقيق مصالحهم الاقتصادية، فما أن بدأ نفوذ يوسف يتضاءل، وفقدوا مركزهم الذي كان يحقق لهم الثراء حتى سخطوا على مصر شعبًا وحاكمًا، واتهموهم بالظلم والقسوة، ورفضوا العمل في الزراعة والبناء، وهما المهنتان السائدتان آنذاك، فعدوا تكليف فرعون لهم بالعمل فيهما نوع من انواع القسوة والتعذيب، بينما كان هدف فرعون الرئيس هو ربط اليهود بالأرض من جهة وإشغالهم عن تدبير المؤامرات والمكائد مع أعداء مصر الخارجيين[3]، إلا أنهم بقوا مستقرين فيها حتى زمن النبي موسى عليه السلام، وعلى الرغم من ملاحقة فرعون له ولأتباعه، وخروجه ببني إسرائيل، بقيت طائفة منهم في مصر، وذلك في القرن السادس قبل الميلاد، ثم وفدت إلى مصر طائفة أخرى من يهود فلسطين، عقب إخضاع الاسكندر المقدوني عليها في سنة 322 ق. م.[4]، وخلال الحقبة (322-30 ق.م.)

= محمد عبد العليم دسوقي، انتفاء الحق الديني والتاريخي لليهود في أرض فلسطين بموجب ما جاء في التوراة والإنجيل وآي التنزيل، د.م. (جامعة الازهر: د. ت.).

(1) خضر الياس جلو، اليهود في المشرق الاسلامي، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع (دمشق: 2017م)، ص 67.

(2) طعيمة، التاريخ اليهودي:ج2/ ص 39.

(3) المرجع نفسه: ج2/ ص 41.

(4) علي إبراهيم عبده وآخر، يهود البلاد العربية، مركز الابحاث الفلسطينية (بيروت: 1970 م)، =

استوطن اليهود في مختلف أنحاء مصر، إلا أن أكبر تمركز لهم كان في كل من مدينة الإسكندرية ودمنهور والفيوم، وبلغ عددهم خلال هذه الحقبة مئة وعشرين ألف نسمة، وذلك وفق ما أشار بعض المؤرخين[1].

1: يهود مصر في عصر البطالمة

لقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن علاقة اليهود بمصر ترجع إلى انطلاق حروب بطليموس وغزوه لسوريا والاستيلاء عليها في سنة 320 ق. م.، حتى انتهى الأمر بإخضاع يهوذا في سنة 301 ق.م.، وكان وقوع كثير من اليهود في السبي نتيجة حتمية لهذه الحروب، فنقلهم معه إلى مصر[2]، وتزامنًا مع هذا السبي هاجر من يهوذا إلى مصر في عهد البطالمة عدد كبير من اليهود الذين استوطنوا فيها، وانتشروا في مختلف أرجائها، لاسيما بعد أن أدركوا ميل الملك بطليموس لهم، إذ إنه كان يعلم مدى أهمية استخدام اليهود كجنود في صفوف جيشه، فشكل منهم العديد من الأفواج، كما أنه قام بمنحهم الأراضي الزراعية في مصر، فكونوا إقطاعات استوطنوا فيها[3]، ومما شجعهم على الهجرة أيضًا أنهم كانوا كثيرًا ما يفدون اليها في العصور السابقة، وقد عرفوا ما بها من أمن وأمان وخيرات وفيرة، وهذا ما يحقق لهم ما يصبون إليه، فضلاً عن وجود جاليات يهودية فيها، فازدادت أعدادهم في مدينة الإسكندرية، ذات الموقع الاستراتيجي المهم، فنقلوا إليها نشاطاتهم التجارية والثقافية، فأصبحت من أهم مراكز اليهودية التي صدرت اليهود إلى معظم

= ص159؛ مصطفى كمال عبد العليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، مكتبة القاهرة الحديثة (القاهرة: 1968 م)، ص 29 – 33.

(1) مصطفى كمال عبد العليم وآخر، اليهود في العالم القديم، دار القلم (دمشق: 1995 م)، ص 215؛ هويدا عبد العظيم رمضان، اليهود في مصر الاسلامية من الفتح الاسلامي حتى العصر الايوبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة: 2001م)، ص 33.

(2) للمزيد من التفاصيل ينظر: ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ط2، مطبعة جزآن (القاهرة: 1960 م)؛ ج 2 / ص 80؛ محمد عواد حسين، الحرب السورية السادسة، بحث منشور في حوليات كلية الاداب (جامعة عين شمس: 1951 م)؛ مج 1 / 71-125.

(3) عرفه عبده علي، يهود مصر منذ الخروج الاول إلى الخروج الثاني، شركة الامل للطباعة والنشر (القاهرة: 2010 م)، ص 62؛ نصحي، تاريخ مصر، ج2 / ص 152.

بلدان حوض البحر المتوسط[1]، وقد أكد الدكتور عبد العليم[2] أن الملك بطليموس الأول قد جاء إلى مصر بخليط من اليهود كان عبارة عن مزيج من أسرى الحروب والأحرار الذين جاءوا برغبتهم، وما لبثت الحياة الجديدة أن نشطت في مصر، وأخذت تجتذب عناصر جديدة من اليهود سرعان ما انتشروا في البلاد، وبرعاية كبيرة من حكامها.

إن الملاحظة الجديرة بالذكر أن معظم اليهود الوافدين إلى مصر في هذا العصر لم يكونوا من الطبقات العليا في مملكة يهوذا، أو من الطبقات التي انصهرت في المجتمع الإغريقي، وتأثرت به كثيراً فقط، وإنما كان جل الوافدين من الطبقات الفلاحية الفقيرة وأسرى حرب وجند مرتزقة، وممن يعملون أجراء في مجال الفلاحة والرعي وغيرها، ومثل هكذا قوم لا يمكن أن يكون لهم أي نفوذ على الوضع السياسي في البلاد، فكانوا مضطرين إلى الخضوع والعيش بسلام، ولم يبادروا إلى القيام بأعمال تعكر صفو العلاقة مع أبناء المجتمع المصري لذلك سعوا إلى كسب ود البطالمة، فنجحوا في تسلّم الوظائف الحكومية سواء المدنية منها أو العسكرية، كما تركت لهم الحكومة حرية امتهان الحرف[3]، وتعد هذه الحقبة من أهم الحقب بالنسبة للتاريخ اليهودي في مصر، لأنها كانت حقبة استقرار نوعًا ما، لاسيما في أرض جديدة ومجتمع غريب عنهم، ومع ذلك فقد مارسوا شعائرهم الدينية وطقوسهم، وقاموا ببناء البيع والكنائس الخاصة بهم وأداروا من خلالها شؤونهم الخاصة[4]، وقد أشارت الروايات التأريخية إلى وجود معبدين يهوديين قديمين في مدينة الإسكندرية، وكانا كبيرين، إلا أن التخريب أصابهما، واستدلت الدراسات الحديثة على ضخامته، مشيرة إلى أن طوائف الحرفيين اليهود وتجارهم قاموا بتقسيمه وخصصوه للسكن، واستقرت فيه كل طائفة على حدى[5].

وعلى ما يبدو فإن هذه الرواية غير دقيقة، وما يؤكد ذلك ما ذكره المقريزي أثناء حديثة عن المعابد اليهودية في مصر، إذ حدد عددها بأحد عشر معبدًا، ولم يشر إلى أي منها في الاسكندرية، إلا

---

(1) علي، المرجع نفسه، ص 61.

(2) عبد العليم، اليهود في مصر، ص 36.

(3) علي، يهود مصر، ص 63.

(4) نصحي، تاريخ مصر، ج2/ص167؛ مأمون كيوان، اليهود في الشرق الاوسط، الاهلية للنشر والتوزيع (د. م: 1996 م)، ص 75.

(5) علي احمد محمد السيد، اليهود في شرق البحر المتوسط، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (د.م.: 2006م)، ص48.

إنه ذكر معبدًا أطلق عليه اسم جوجر قائلاً: «إنه من أجل كنائس اليهود، وإنهم ينسبونها إلى نبي الله إلياس عليه السلام، ويزعمون أنه ولد بها، وكان يتعهدها بالرعاية طول إقامته بالأرض إلى أن رفعه الله إليه»[1]، كما ترجع ترجمة التوراة إلى اللغة الإغريقية من أهم الأحداث التي جرت خلال هذه الحقبة، إذ حلت هذه اللغة في تعاملاتهم محل لغتهم العبرية[2].

عاش يهود مصر في عهد البطالمة قرابة قرن من الاستقرار، تمتعوا خلالها بحماية الدولة لهم، فعاشوا حالة من الازدهار والترف، إلا أنهم عادوا للقيام بما اعتادوا عليه من خيانة وغدر، فتحولت حياتهم إلى مرحلة صراعات سياسية يسودها الاضطراب وعدم الاستقرار، كما حدث في سنة55 ق. م.، عندما تدخل اليهود في شؤون مصر من خلال تقديم المساعدة لحاكم سوريا الروماني جابينيوس، الذي هاجم حدود مصر الشرقية من أجل إعادة الملك بطليموس الثاني عشر إلى كرسي الحكم[3]، ولم يغفر البطالمة خيانتهم هذه، ومما يدل على ذلك ما قامت به الملكة كليوباترا السابعة آخر ملوك البطالمة في مصر، إذ إنها استبعدت اليهود أثناء عملية توزيع القمح على سكان الإسكندرية في سنوات القحط، وعدتهم غرباء عن البلاد وليس من السكان الأصليين، لذلك فقد وقفوا منها موقف الند، واصطفوا إلى جانب خصومها في الصراع الذى أدى إلى إنهاء حكم البطالمة لمصر، متناسين النعم التي عمتهم على أيدي تلك الأسرة، وخيرات مصر التي آوتهم، فكانت هذه الخيانة العظمى للبلاد، مما أوغر صدور المصريين من أهل الإسكندرية عليهم[4].

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل سهل اليهود أيضًا وصول الرومان إلى الإسكندرية واحتلوها في سنة 30 ق. م. على يد أغسطس (40 ق.م. - 14م)[5]، فنقل جميع أملاك كليوباترا إلى روما، فكافأهم على تأييدهم له ومساعدتهم، فأبقى لهم حقهم في مجلس الشيوخ كما أقر جميع امتيازاتهم التي تمتعوا بها في العصر البطلمي، إلا أنه حرم سكان الإسكندرية الرافضين للاحتلال

(1) للمزيد من التفاصيل عن كنائس اليهود في مصر ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج2/ص463-464؛ تاريخ اليهود، ص81.

(2) نصحي، تاريخ مصر، ج2 / ص 167؛ كيوان، اليهود في الشرق الاوسط، ص 75.

(3) علي، يهود مصر، ص 63.

(4) المرجع نفسه، ص 64.

(5) أوغسطس: هو غايوس أوكتافيوس ولد في سنة 63 ق. م. ومنحدرًا من اسرة وليترو، واتخذ لنفسه اسم غايوس يوليوس قيصر أوكتافيوس، فعرف بهذا الاسم حتى سنة 27 ق. م.، توفي في سنة 14 م. ينظر: ابراهيم ايوب، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب (لبنان:1996 م)، ص 235.

الروماني لبلادهم من تشكيل مجلس خاص بهم، مما أذكى نار الفتنة وزاد من توتر العلاقة بين اليهود والمصريين من سكان الإسكندرية طوال الحكم الروماني، فوصلت إلى حد الصدمات المسلحة في كثير من الأحيان، فوصل الحال بهم أن رفع كل منهم شكواه إلى روما[1] ومع الاحتلال الروماني لمصر انتقل اليهود إلى مرحلة جديدة من مراحل حياتهم.

2: يهود مصر في العصر الروماني

عندما أدرك اليهود ضعف الحكم البطليمي لمصر، وازدياد تهديدات الرومان لمصر وإنهم مسيطرون عليها لا محالة، بدؤوا بإعادة ترتيب أوراقهم من جديد لكسب ثقة الرومان من خلال التعاون معهم، كما أدرك الرومان في ذات الوقت ضرورة استغلال الولاء والتعاون اليهودي، كي يتسنى لهم السيطرة على الإسكندرية بسهولة، دون تقديم خسائر مادية وبشرية كبيرة، لذلك اتبعوا معهم سياسة اللين، فمنحوهم كثيراً من الامتيازات على حساب سكان البلاد الأصليين، وقد اشتملت هذه الامتيازات على احتفاظهم بجميع ما كان يتمتع به اليهود في مصر، لاسيما في الإسكندرية خلال عهد البطالمة، كما تم منحهم حق تطبيق قوانينهم الخاصة فضلاً عن السماح لهم بتشكيل مجلس شيوخ خاص بهم، فعاشوا بسلام حتى عهد الإمبراطور تيبريوس (14-37 م) على الرغم من اضطهاده لليهود في روما، وفي سنة 38 م حدثت فتنة بين اليهود والإغريق في عهد الإمبراطور الروماني جايوس (37-41 م)، فأوغر الإغريق صدر الحاكم الروماني للإسكندرية على اليهود موجهين لهم عدة تهم، فارتكب الاغريق بحقهم أعمال عنف كحرق الدور ومحلات العبادة وتدمير البعض الآخر، مستغلين غضب الحاكم الروماني الذي أعلن أن اليهود أجانب وغرباء عن المدينة، وحدد إقامتهم في حي خاص بهم ومنعهم من الخروج منه، وبقوا على هذه الحال حتى عهد الإمبراطور كلاوديوس(41-54م)،إذ تحسن وضعهم إثر إقراره بجميع امتيازاتهم التي حصلوا عليها قبل سنة 38 م، إلا أنهم لم يلبثوا أن أحدثوا العديد من المشاكل مع الإغريق مرة أخرى[2].

هدأت أوضاع اليهود في مصر، وبقيت مستقرةً حتى سنة 66 م، إلا أنها ساءت بعد هذا التاريخ بسبب ثورتهم ضد السلطات الرومانية التي استمرت أربع سنوات، فكان الرد الروماني عنيفًا، إذ أعلنوا الحرب على اليهود، وألحقوا بهم خسائر مادية وبشرية كبيرة، فكادت مصر أن تخلو منهم[3].

(1) المرجع نفسه، ص 248.

(2) علي، يهود مصر، ص 75-76.

(3) المرجع نفسه، ص 78.

لقد قلص الرومان امتيازات اليهود نتيجة للثورات اليهود المتعددة، ففي سنة 70 م وعلى الرغم من عدم اشتراك يهود مصر في الثورة التي حدثت في فلسطين، فإن السلطات الرومانية أغلقت معبد اليهود بمدينة منف، كما ألزمت اليهود بدفع ضريبة على كل ذكر بالغ وكانوا يقدمونها سابقًا للمعبد الرئيسي في بيت المقدس من أجل بناء معبد جوبيتر الذي أحرقه اليهود أثناء ثورتهم. وقد استمر الرومان في جباية تلك الضريبة حتى بعد انتهاء بناء المعبد في القرن الثاني الميلادي، إلا أن الرومان لم يرغموا اليهود بمصر على التحول عن عاداتهم وبقوا يمارسون حق العيش حسب معتقداتهم وعادتهم، كما سمح لهم بختان مواليدهم، على عكس المصريين الذين حرموا منه باستثناء من ينتمون إلى سلك الكهنوت[1].

وعلى الرغم من ذلك لم يعتبر اليهود بما حل بهم من ويلات على أيدي الرومان على امتداد القرنين الأول والثاني الميلاديين، فثاروا في عهد الإمبراطور تراجان (98 -117 م) في سنة 115 م، وتعد هذه الثورة من أكبر ثوراتهم، إذ استمرت لعدة سنوات من عهد الإمبراطور أدريانوس، ورغم إخمادها بسرعة في مدينة الإسكندرية، إلا أنها بقيت مضطرمة عدة سنوات في منطقة الصعيد المصري، فظل الصعيد ميدانا للصراعات والحروب خلال تلك سنوات الثورة فكانت نتائجها عكسية على اليهود، إذ ازدادت قسوة واضطهاد الرومان لهم من خلال فرض المزيد من الضرائب عليهم مما أثقل كاهلهم، ودفع الكثير منهم بالهجرة من مصر التي كادت تخلوا منهم، بسبب تناقص أعدادهم فيها يومًا بعد يوم[2]، ونظرا لما أحدثته هذه الثورة ظل المصريون يتذكرونها بعد مرور قرن من الزمان، وظل المصريون يذكرون الرومان بعلاقتهم الودية وتعاونهم عندما حاربوا اليهود معًا، واحتفلوا بذكرى مرور مئة عام على القضاء عليها على الرغم من ذلك التنكيل بهم لم يعتبر اليهود، وعادوا في سنة 132 م إلى اثارة القلاقل والاضطرابات في مصر مستغلين قيام الثورة اليهودية في فلسطين[3]، إلا أنها لم تكن ذات أهمية تذكر، فدخل دورهم في حالة سبات، ولم يسمع بعدها عن قيام أي تحركات مؤثرة لليهود أو أن يكونوا سببًا في إثارة الفتن حتى سنة 425 م، عندما قام أسقف مدينة الإسكندرية على رأس مجموعة من المسيحيين، بفرض السيطرة على جميع المعابد

(1) آمال محمد الروبي، مظاهر الحياة في مصر في العصر الروماني اجتماعيا واقتصاديا وإداريا،الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة: 1975 م)، ص107-108؛ عقاب، العلاقات السياسية بين الانباط، ص 194- 195، 243.

(2) عبد العليم، مصر الرومانية، مكتبة سعيد رأفت (عين شمس: 1972 م)، ص131.

(3) سوسه، ابحاث في اليهودية والصهيونية، ص43 .

اليهودية في المدينة وطردهم منها، كما كانت تلك الفتن والاضطرابات سببًا رئيسًا في عدم استخدام السلطات الرومانية لليهود في مصر ضمن قواتها العسكرية، واستبعادهم من المواقع الحساسة في الدولة، وذلك لعدم ثقتهم بهم من جهة، وعدم الاعتراف بهم كمواطنين، وما هم إلا جاليات غريبة عن مصر من جهة أخرى[1].

أما بالنسبة لليهود فإنهم يعدون الحقبة التي عاشوها في مصر من أشأم الحقب التي مروا بها، وما هي إلا محنة المحن عبر تاريخهم الطويل منذ البدء حتى القرن العشرين، ولكن الحقيقة التي تم إيضاحها في الصفحات السابقة، والتي بدت جلية، هي أنهم لم يستفيدوا من هجرة من هجراتهم الكثيرة، كما استفادوا من هجرتهم إلى مصر، حيث نعموا بالحياة الرغيدة والترف على ضفاف نهر النيل، وازدادت أعدادهم بشكل ملحوظ، فضلاً عن استفادتهم من الحضارة المصرية المتقدمة العريقة آنذاك، لاسيما فيما يتعلق بتدبير أمورهم والدفاع عن أنفسهم فأصبحوا يمارسون العمل بالزراعة، وأحسنوا حمل السلاح، مما مكنهم من منازلة قبائل البادية التي عجزوا طوال خمسة قرون من التغلب عليها ومناشزتها، مما اضطرهم إلى الاعتصام بمصر[2].

المبحث الثالث: بدايات الوجود اليهودي في العراق قبل الإسلام

يمثل تاريخ اليهود في العراق القديم صفحة مظلمة من تاريخ الحضارة البشرية عامة وعلى مدى ألفين وخمسمئة سنة، وذلك نتيجة لأعمالهم التي قاموا بها من تزوير وتشويه للحقائق التاريخية، فوضعوا لنفسهم تاريخًا مزورا زائفًا من أجل إثبات حق تاريخي لهم في المنطقة، وفق أهوائهم وشهواتهم ومصالحهم الشخصية الدينية والدنيوية، فحاولوا ربط أصولهم ونسبهم بأصول الأقوام الأصلية التي استقرت فيها، فقبل كثير من الباحثين بهذه الادعاءات مستسلمين أمامها دون رد أو تعليق، في حين غفل آخرون عنها، غير مبالين بما ادعى هؤلاء اليهود، وبقيت المسألة يسودها الغموض حتى عصر الاكتشافات الأثرية الحديثة التي كشفت زيف ادعاءاتهم وأوهامهم، وأثبتت حقائق واضحة ملموسة فيما يتعلق بالتاريخ اليهودي القديم في العراق[3]، وأن لا صلة لهم بل أصابت كبد الحقيقة، عندما فندت ادعائهم بأن العراق هو موطن اليهود الأصلي، وحاولوا إثباته من خلال زعمهم بأن أجدادهم هاجروا منه قبل أربعة آلاف سنة مع إبراهيم الخليل عليه السلام إلى

---

(1) علي، يهود مصر، ص 79 – 80، 86.

(2) طعيمة، التاريخ اليهودي: ج2/ص 39.

(3) سوسه، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص5.

فلسطين، وكان عددهم آنذاك لا يتجاوز أربعة آلاف نسمة[1]، حيث أثبتت هذه المكتشفات أن تاريخ أول وجود لهم في العراق يرجع إلى العصر الآشوري في القرن الثامن قبل الميلاد وبصفة سبي، وهذا بعد تاريخ هجرة ابراهيم عليه السلام بألف ومئتي سنة، لأن أول ظهور لإبراهيم عليه السلام في العراق كان في القرن التاسع عشر قبل الميلاد[2].

بعد أن ضم الآشوريون بلاد الشام إلى حظيرة إمبراطوريتهم في سنة 722 ق. م. وتمكنوا خلالها من إسقاط مملكة إسرائيل الشمالية، وتدميرها بشكل كامل، في عهد الملك الآشوري سرجون الثاني سنة 722 ق. م.، مستغلين فرصة الصراع بين المملكتين، وتعد هذه الحادثة من أشهر حوادث ذلك العصر، إذ مثلت النهاية الفعلية لتاريخ مملكة إسرائيل الشمالية على يد الآشوريين، ولم يكتف الآشوريون بذلك، بل إنهم سبوا كل من بقي من سكانها ونقلوهم إلى بلادهم، لاسيما إلى العاصمة الآشورية، كما أنهم لم يقتصروا على نقل طبقة واحدة دون الطبقات الاخرى[3]، فأسكنوهم في المناطق الجبلية النائية في شمال العراق، وأحلوا محلهم في فلسطين أقوامًا من مناطق مختلفة من الامبراطورية الآشورية، وأكدت القرائن التاريخية أن الغالبية العظمى من هؤلاء اليهود دخلوا النصرانية على المذهب النسطوري بواسطة الحملات التبشيرية، وحافظوا على طقوسهم باستخدام اللغة السريانية، وقد ساعدهم على ذلك انزوائهم في المناطق الجبلية، ولم يبق على اليهودية إلا قلة قليلة منهم إلى جانب المتنصرين من إخوانهم ويؤكد يهود شمال العراق [يهود العمادية] أنفسهم بأنهم أحفاد اليهود الذين سباهم الاشوريون[4].

بعد زوال هذه المملكة من الوجود، لم يبق في فلسطين، إلا مملكة يهوذا الجنوبية، تقاوم بوجه التحديات الخارجية وتكافح من أجل البقاء، فاستمر الوضع على هذا الحال حتى مجيء فرعون مصر نخاو بن بسمتيك الأول (609-594 ق. م.) الذي قاد جيوشه مهاجمًا مملكة يهوذا الجنوبية، ونجح في إحتلالها بالفعل في سنة 608 ق. م.، ولم يقف عند هذا الحد بل استمر في زحفه نحو الشمال، فاحتل مملكة إسرائيل الشمالية التي سقطت بيد الآشوريين من قبل[5].

---

(1) للمزيد من التفاصيل ينظر: شريف يوسف، تاريخ اليهود كما يلقنه الصهاينة لأبنائهم، بحث منشور في مجلة العربي الكويتية (الكويت: 1967م):ع 108/ ص104-112.

(2) سوسه، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص8.

(3) طومسون، التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي، ص ح، 286.

(4) سوسه، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص5، 34 - 35.

(5) قدح، موجز تاريخ اليهود، ص 256-257.

وما أن انهارت الإمبراطورية الآشورية في سنة 612 ق. م. وآل الحكم إلى البابليين واعتلى الملك نبوخذ نصر الثاني (605-562 ق. م.) العرش، فسار بجيشه لمهاجمة مملكة اورشليم في سنة 597 ق. م.، ونجح في فرض السيطرة عليها، فدخلها وقام بإحراق هيكل سليمان وأمر بهدمه، كما قام بتدمير منازلها وأسوار المدينة، واقتاد من تبقى من بني إسرائيل إلى عاصمته بابل، وهذا ما أطلق عليه السبي البابلي الأول[1]، ثم تبعه السبي البابلي الثاني في سنة 586 ق.م.[2]، وقد حددت بعض المراجع الحديثة أعدادهم بما يقرب من ثلاثة أرباع المليون[3]، وعلى الرغم من ثبوت حادثة نقلهم من قبل البابليين، إلا أن هذه العدد مبالغ فيه وهو أقل من ذلك بكثير، فقد أشارت مراجع أخرى إلى أن عدد السبي البابلي بلغ خمسين ألف يهودي[4]، وهذا العدد هو الأرجح والأقرب إلى الواقع.

في الحقيقة إن السيطرة البابلية على بلاد الشام، تعد قضاءً تامًّا على ما تبقى من ممالك بني إسرائيل، فعاشوا في بابل قرابة نصف قرن تأثروا خلالها بالعقائد البابلية لينحرفوا بذلك عن اليهودية مرة أخرى[5]، ويرجع ذلك إلى السياسة التي انتهجها البابليين في التعامل مع السبي اليهودي، وهي مغايرة تمامًا لسياسة الآشوريين، إذ إنهم لم يبعدوا اليهود إلى مناطق جبلية نائية بل أسكنوهم في مركز الدولة وعاصمتها بابل والمدن القريبة منها، مما مكنهم من التجمع وممارسة طقوسهم وعقائدهم الخاصة، فتكون مجتمعهم الخاص، فاكتسبوا اللغة الكلدانية ثم العربية التي حلت محل اللغة الارامية، لذلك يصح إطلاق كلمة اليهود المستعربة عليهم نتيجة أخذهم اللغة العربية مع مرور الزمن، كما عامل نبوخذ نصر السبي البابلي معاملة حسنة فأغدق عليهم الأموال بسخاء، من أجل الاستفادة من وجودهم في إعمار البلاد التي حرص على الجانب العمراني فيها، فسمح لليهود بالسكن في وسط المجتمع البابلي بعد أن أقطعهم الأراضي الزراعية، كما منحهم الحرية الدينية والحرية المدنية في ممارسة حياتهم دون التدخل في شؤونهم الخاصة[6].

(1) شاهاك، التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية، ص 81؛ المجذوب، المستوطنات اليهودية، 35-36.

(2) سوسه، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص 126.

(3) حمدان، اليهود انثروبولوجيا، ص 61.

(4) سوسه، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص 126.

(5) سعادة، فلسطين، ص 11.

(6) سوسه، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص 126-127.

تغيرت الأوضاع السياسية في العراق باحتلال الفرس لبلاد بابل سنة 539 ق. م. على يد الملك كورش (539-538 ق. م.)، الذي أضاف ممتلكاتها إلى حظيرة إمبراطوريته، وبعد ثلاث سنوات من الاحتلال الفارسي لبابل، نجح اليهود خلالها في كسب ود الفرس وتعاطفهم معهم، فتم السماح لهم بالعودة إلى فلسطين[1]، وأعاد إليهم كنوز الهيكل التي كان قد سلبها من نبوخذ نصر، وأمر بإعادة بناء الهيكل في أورشليم (القدس) على نفقة بيت الملك[2]، ورغم ذلك فضل الكثيرين منهم البقاء في العراق على العودة. وأما من قرروا العودة منهم، فقد عادوا على شكل جماعات متتالية، فبلغ عدد المجموعة الأولى منها خمسين ألف يهودي بقيادة زربابل، ثم تلتها مجموعات بقيادة عزرا ونحميا[3]، ولم تكن فلسطين وجهتهم الوحيدة، بل تفرقوا في البلاد كمصر والجزيرة العربية والمغرب وغيرها ليبدأ عصر الشتات اليهودي.

بقيت الأغلبية المطلقة من السبي اليهودي في العراق، على الرغم من السماح لهم بالعودة، ويرجع ذلك لأسباب منها، اندماجهم مع المجتمع واعتيادهم على حياته من جهة، كما

أصبحت لهم مصالح اقتصادية من جهة أخرى، لما يتمتع به العراق من موقع استراتيجي تجاري مهم، وتوفرت جميع مقومات الحياة الرغيدة من أرضٍ خصبة، ومهارات ومواد أولية تسهم في تقدم الصناعات والاستفادة منها، فضلاً عن سبب آخر يعد الأهم من بينها وهو أن معظم أراضيهم التي ورثوها عن أجدادهم في فلسطين قد صودرت، وأصبحوا غير مرغوب بهم في المجتمع، وغير مرحب بعودتهم لذلك آثروا البقاء في العراق على العودة، مشكلين مستعمرات خاصة بهم، لاسيما في المناطق الشمالية منه، فنمت هذه المستعمرات فيما بعد[4].

لقد استفاد من بقي من اليهود في العراق كثيرًا ،فأصبح في صفوفهم كثير ممن تمرسوا على أساليب الحكم والسياسة، وممن أتقنوا الحرف والصناعات المختلفة، وعظم شأنهم بين البابليين، فأصبح يهود بابل في غضون حقبة وجيزة من أغنياء أهل بابل، فامتلك بعضهم الأراضي الزراعية، وكان البعض الآخر يعمل بزراعة الأراضي التي أقطعت له، وقد حفروا شبكة من جداول الري والقنوات لإيصال المياه السيحية إلى مزارعهم، فزرعوا الحقول والبساتين ووجهوا جل عنايتهم

---

(1) طومسون، التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي، ص ح؛ حمدان، أنثروبولوجيا اليهود، ص61.

(2) يوسف غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط 2،مكتبة الوراق (لندن: 1997 م)،ص61 .

(3) سعادة، فلسطين، ص 11؛ دروزة، تاريخ بني إسرائيل، ص 207 - 208.

(4) حمدان، أنثروبولوجيا اليهود، ص61.

لوقايتها من الغرق، فأقاموا السدود ونظموا أعمال الري فيها على أحسن وجه، كما اعتنوا عناية كبيرة بتطهير الجداول والمبازل من الترسبات الغرينية، فتحولت هذه المنطقة إلى حقول مثمرة، فضلاً عن عمل الكثير منهم في مجال التجارة[1].

عاش اليهود في العراق أثناء حقبة الاحتلال الفارسي بشكل طبيعي كما أسلفنا، واستمروا في ذلك حتى حملة الإسكندر المقدوني(356-323 ق.م.) على الشرق واحتلاله لبلاد بابل في سنة 331 ق.م.، إذ إنه سعى إلى تأسيس إمبراطورية واسعة تضم كل من الغرب والشرق ،وتخضع سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا للنفوذ الإغريقي، وذلك من خلال تأسيس مستوطنات إغريقية في مختلف أنحاء هذه الإمبراطورية[2]، فضلاً عن إنشاء قواعد عسكرية على طول خطوط المواصلات التي تربط بينهما مع إقامة مراكز ثقافية تتولى نشر الثقافة اليونانية بما في ذلك اللغة اليونانية، إلا أن نصيب يهود بلاد الشام كان أكبر من هذه الحركة، مقارنة بنصيب يهود بلاد بابل وما بين النهرين، إذ إنها كانت ضئيلة[3].

انتهج الإسكندر سياسة العنف والقسوة ضد اليهود في بلاد بابل، وأجبرهم على العمل في بناء معبد الإله البابلي بعل الذي هدم من قبل الفرس، وفرض عليهم الضرائب والغرامات المالية، إلا أن اليهود نجحوا في نهاية الأمر في كسب عطفه واسترضوه، وخدمت أعداد منهم في صفوف جيشه وحاربوا معه ضد أعدائه، وعلى الرغم من حلمه الواسعة، إلا أنه لم ينجح في تحقيق مبتغاه، كما طمح إليه بسبب قصر عهده ،وعلى الرغم من انتهاج خلفائه نفس منهجه في نشر الثقافة اليونانية، ولم تستثن هذه السياسة اليهود، فبعد موت الإسكندر في سنة 323 ق.م. تولى الحكم قائده سلوقس الذي نقل العاصمة من بابل إلى مدينة جديدة أسماها سلوقية، التي غدت مقرًا جديدا لليهود، وأصبحت لهم منزلة كبيرة عند السلوقيين، فسكنوا المدن الكبيرة واختلطوا مع المجتمع، فضلاً عن المدن الخاصة بهم، وأصبحوا محل ثقة السلوقيين، فنقلوا ما يقرب من مئتي عائلة مع عددهم الحربية وأسلحتهم إلى آسيا الصغرى للاستقرار فيها كحامية عسكرية من أجل قمع حركات التمرد ضد الحكم السلوقي، الذي انهار على يد الفرثيين في سنة 139 ق. م.[4]، ورغم ذلك بقي اليهود في

---

(1) فائزة عبد الامير نايف، يهود العراق وأماكن استيطانهم، بحث منشور في مجلة كلية الاداب (جامعة بغداد: د. ت.): ع 101 / ص 400.

(2) سوسه، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص146.

(3) نايف، يهود العراق وأماكن استيطانهم: ع 101 / ص 402.

(4) سوسه، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص148؛ علي ظريف الأعظمي، تاريخ الدول اليونانية والفارسية في العراق، مكتبة الثقافة الدينية (بور سعيد: د. ت.)، ص12.

العراق خلال حكم الفرثيين يتمتعون بنفس الامتيازات التي حصلوا عليها في العهد البابلي والفارسي والسلوقي، إلا أنهم أصبحوا محل عداء البابليين الذين حاولوا إخراجهم من بلادهم، ولما شعر اليهود بذلك هاجروا إلى سلوقية اليونانية، وبقوا فيها خمس سنوات، لم يلتزموا الهدوء خلالها، فسعوا إلى إشعال الفتنة بين اليونانيين والسريان من سكان سلوقية، فأدرك الطرفان سوء نواياهم، فوحدا جهودهما، واتفقا على إخراجهم من المدينة، فباغتوهم بهجوم قتلوا خلاله قرابة خمسين ألف يهودي، فاضطر من بقي منهم على قيد الحياة على عبور نهر دجلة والاستقرار في العاصمة الفرثية طيسفون الواقعة على الجانب الأيسر من النهر، كما كان للصراع الدائر بين الفرثين والرومان خلال هذه الحقبة أثره على يهود العراق[1].

قضى الفرس الساسانيون على الحكم الفرثي، وضموا بلاد العراق لسيطرتهم في سنة 226 م، فأخذت أوضاع اليهود تتجه نحو الأسوأ، فتعرضوا للتنكيل والبطش طيلة عهد الملك الساساني أردشير الاول (226-241م)، بسبب تعاونهم مع الفرثيين أثناء حروبهم مـــع الفرس

الساسانيين، فاضطروا إلى الخنوع في النهاية، ونجحوا في استرضاء الفرس الساسانيين وكسب رضاهم، إلا أنهم لم يسلموا من آثار الحروب التي دارت في المنطقة بين كل من الساسانين والروم، وعلى الرغم من ذلك أخذت أعداد كبيرة من يهود فلسطين بالهجرة إلى العراق خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين، لاسيما بعد تحسن علاقة اليهود بالساسانيين، وتشجيع ملوك الفرس لهذه الهجرة، مما أدى إلى ازدياد اعدادهم وتضخم ثرواتهم، لكن هذه العلاقات الودية لم تلبث أن تدهورت في عهد الملك بهرام الخامس (420- 438 م) وخلفائه، واستمرت على هذا المنوال حتى التحرير الإسلامي للعراق[2]، حيث بلغ تعداد اليهود فيه قرابة المليون نسمة إبان حركة الفتح الاسلامي للعراق[3]، بينما أشار كيوان إلى رواية ثانية قدر خلالها عدد اليهود بتسعين ألف عند انطلاق تحرير العراق[4].

وعلى ما يبدو أن الرواية الثانية هي الأقرب إلى الصحة، إذ إن العدد الذي أوردته الروايـــة الأولى مبالغ فيه، فلو كان حقيقيًا لأصبحت أعدادهم بضعة ملايين في العصور اللاحقة، وهذا ما لم

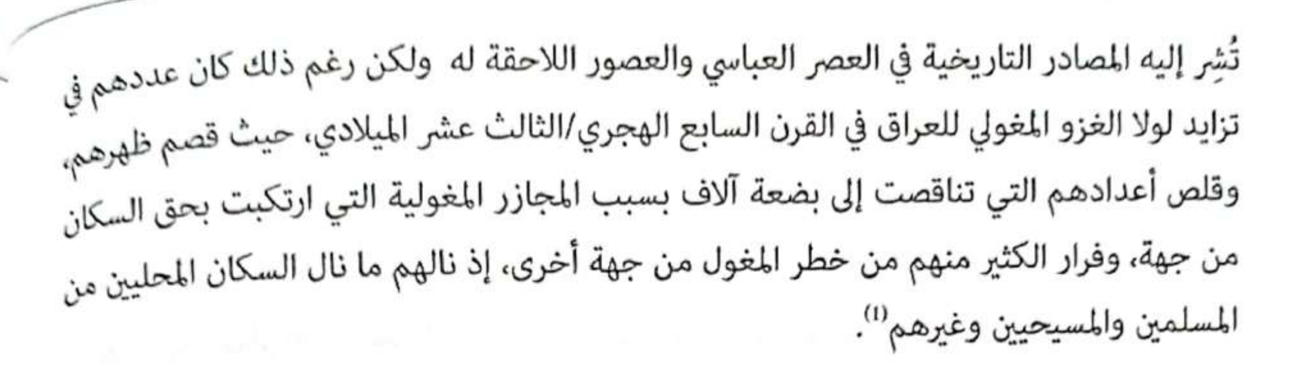
---

(1) للمزيد من التفاصيل حول الصراع ينظر: المرجع نفسه، ص 153-154.

(2) سوسه، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص155-156.

(3) حمدان، أنثروبولوجيا اليهود، ص62-63.

(4) اليهود في الشرق الاوسط، ص 20.



تُشِر إليه المصادر التاريخية في العصر العباسي والعصور اللاحقة له ولكن رغم ذلك كان عددهم في تزايد لولا الغزو المغولي للعراق في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، حيث قصم ظهرهم، وقلص أعدادهم التي تناقصت إلى بضعة آلاف بسبب المجازر المغولية التي ارتكبت بحق السكان من جهة، وفرار الكثير منهم من خطر المغول من جهة أخرى، إذ نالهم ما نال السكان المحليين من المسلمين والمسيحيين وغيرهم[1].

المبحث الرابع: بدايات الوجود اليهود في الجزيرة العربية قبل الإسلام

يرجع تاريخ الوجود اليهودي في الجزيرة العربية إلى عصر ما قبل الإسلام، إذ انتشرت الديانة اليهودية بين قبائلها، وتركز تواجد هذه القبائل في مناطق معينة منها كخيبر[2] وتيماء[3] ويثرب التي سميت بالمدينة المنورة في عصر الرسول ﷺ، واليمن في جنوب الجزيرة العربية، فضلاً عن تفرق قبائلهم في مناطق شمال الجزيرة العربية، لاسيما في الجهات المسكونة بطوائف إسرائيلية منذ زمن قديم[4].

تتفق معظم المصادر التأريخية على أن القبائل اليهودية في الحِجاز ترجع إلى أصول عبرانية، نزحت من بلاد الشام خلال الحقبة من (70 - 135 م(بسبب الاضطهاد الروماني الذي أثقل كاهلها، فكانت هذه القبائل عبارة عن مجموعات نجت بعد الدمار الذي ألحقه الإمبراطـــور الرومـاني تيتوس بمدينة أورشليم وحول اسمها إلى " إيليا " كما أسلفنا، وهدم هيكل سليمان عليه السلام[5]، كما

(1) المرجع نفسه، ص 21.

(2) خيبر: وهي ناحية قرب المدينة وتقع على الطريق الرباط بين المدينة والشام يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثيرة، وأسماء حصونها حصن ناعم وعنده قتل مسعود بن مسلمة ألقيت عليه رحى والقموص حصن أبي الحقيق وحصن الشق وحصن النطاة وحصن السلالم وحصن الوطيح وحصن الكتيبة. وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود الحصن ولكون هذه البقعة تشتمل على هذه الحصون سميت خيابر وقد فتحها النبي ﷺ كلها في سنة سبع للهجرة ينظر: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر(بيروت: د. ت.): ج2/ص409.

(3) تيماء: بليد من أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق. ينظر: المصدر نفسه: ج2/ص67.

(4) ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص 10.

(5) عقاب، العلاقات السياسية بين الانباط، ص 194- 195، 243.

قام الإمبراطور هادريان (117-138 م) بإجلاء أعداد منها كبني النضير وبني قريظة[1]، ولم يكن انتقالهم إلى الجزيرة العربية الأول من نوعه، بل سبقهم في الاستيطان يهود بنو قينُقاع، الذين يدعون أن وجودهم في يثرِب يرجع إلى عهد نبي الله موسى عليه السلام حسبما أوردوه في التوراة التي حرفوها، إلا أن حقيقة تاريخ وجودهم لا يصل إلى هذا التاريخ فضلاً عن عدم وجود ما يثبت صحة ادعاءهم، لأنهم لاقوا ما لاقوه عبر تاريخهم من اضطهاد وقسوة وتعسف على أيدي القوى التابعين لها كالبطالمة والرومان وغيرهم، لذلك يمكن القول إن تاريخ قدومهم إلى الجزيرة العربية يرجع إلى ما بعد الميلاد كنزوح بني النضير وبني قريظة إلى يثرِب، وكان النظام القبلي البدوي وبساطته في الجزيرة العربية من جهة، وطبيعتها الرملية من جهة أخرى، مما يؤمنهم من خطر مطارديهم من الرومان وغيرهم، وهذا ما جعلهم يفضلون الجزيرة على غيرها[2].

ومما يدل على ما أوردناه آنفًا أن معظم الصدامات مع الرومان، والثورات على الرومان وتهجيرهم كان عقب الثورة المكابية في سنة 70 م وتدمير هيكلهم على يـــد الإمبـــراطور

تيتوس، ونفيهم من فلسطين عقب ثورتي سنة 115 م وسنة 135 م في عهد الإمبراطور أدريانوس الذي دمر مدينة أورشليم، لذلك فإن جميع هذه الادعاءات التي جاءت عن طريق الإسرائيليات، هي مجرد ادعاءات يهودية صرفة روجوا لها من أجل إيجاد حق تأريخي في الأماكن التي استوطنوا فيها، وهو ما دأبوا عليه دائمًا، وإلى جانب هذه القبائل العبرية، كانت هناك قبائل عربية اعتنقت الديانة اليهودية من أجل التقريب من اليهود وكسب ودهم.

لقد أشارت المصادر التاريخية[3] إلى أسماء العديد من القبائل العربية التي اعتنقت الديانة اليهودية في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، كبني كنانة وبني الحارث بن كعب وحمير وكندة وبني الجذماء، فضلاً عن قضاعة، كما أشارت مصادر أخرى إلى انتشار اليهودية بين أبناء قبيلة الأوس وغسان وجذام وبني نمير وجهينة.

اعتقد بعض المؤرخين أن يهود الجزيرة العربية يرجعون إلى أصل عربي مستدلين على ذلك بعدم الاختلاف والتشابه الكبير مع جميع القبائل من حيث العادات والتقاليد، فضلاً عن أشعارهم

---

(1) سوسه، ابحاث في اليهودية والصهيونية، ص43 ؛ عبد العليم، مصر الرومانية، ص 131.

(2) ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص 9 - 10.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج 4/ص355؛ ج5/ ص 483؛ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية (د.م.: د.ت.): ج 20 / ص 258.

ذات الطابع العربي الأصيل، ويعد شعر السموأل من الأمور التي يحتجون به على عروبتهم، إذ ينتسب فيه إلى بني الديان القحطانية، والديان هو يزيد بن قطن بن زيادة الحارث بن كعب بن الحارث بن كعب، أي إنهم أحد القبائل القحطانية[4].

في الحقيقة لقد خلطت الروايات السابقة بين قبائل اليهودية في الجزيرة العربية وبين نسب الشاعر السموأل، إذ إنهم نظروا للحقائق المُدوّنة نظرة سطحية، فلا يُمكِن الاحتجاج بالسموأل كمثال لليهود، وذلك لأن أصله حسب ما أورد في قصيدته اللامية من بلاد اليمن، ويهود اليمن هم من ذوي الاصول العربية التي تهودت، وهم بذلك يختلفون عن القبائل اليهودية في الحجاز ذات الاصل العبري، التي نزحت من فلسطين إلى الجزيرة هربًا من الرومان وتنكيلهم، كما أن هذا الشعر جله منسوب للسموأل وليس له[5]، فضلاً عن اختلاف الروايات التاريخية في تحديد شخصيته، فمنهم من نسبه إلى اليمن كما ذكرنا آنفًا، ومنهم من نسبه إلى الكاهن بن هارون بن عمران، كما قال بعضهم أنه يرجع في نسبه إلى غسان، وأشار آخرون إلى أنه من أب يهودي وأم غسانية[6].

بعد البحث والتمحيص في الروايات الآنفة الذكر تبين لنا مدى ضعف الرواية القائلة برجوع نسب السموأل إلى غسان، وأن رواية اتصال نسبه بهارون عليه السلام هي الأرجح، والجلي أن السموأل كان يهوديًا من نسل هارون عليه السلام، وأنه كان عبراني الأب عربي الأم، ولا يمكن الاستدلال به على الاصل العربي أو العبراني لجميع يهود الجزيرة العربية.

وبذلك فإن أصله عبرانيًا من نسل النبي هارون عليه السلام وإن أجداده نزحوا من فِلسطين هربًا من اضطهاد الرومان، ومما يؤكد ذلك اتصال نسب أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب بالسموأل فهو جدها لأمها، وهي من كانت تفتخِر على زوجات النبي ﷺ، بأنها زوجة نبي ومن ذرية نبي - تقصد هارون عليه السلام-، وقد أوردت كتب الأنساب سلسلة نسبها بأنها صفية بنت حيي بن أخطب بن سعنة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن تخوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران، وأمها برة بنت السموأل[7].

---

(4) أبو الفرج الأصفهاني، الاغاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر (عمان: د. ت.)؛ج19 /ص 196.

(5) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ط2، د.م. (بغداد: 1993 م): ج12/ص153.

(6) المرجع نفسه: ج 12 / ص 155.

(7) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر،الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل (بيروت: 1412 م): ج4/ ص1871.

لقد كانت اليهودية في بداية الأمر دينًا قوميًا قبليًا خاصًا ببني إسرائيل في بلاد الحجاز ولكنها أخذت فيما بعد بالانتشار بين القبائل والشعوب العربية الأخرى، لاسيما قبائل اليمن والحبشة، ومن ثمة انتشرت في شمال أفريقيا ومصر والعراق والشام، وأصبحت اليهودية دينًا سائدًا في جميع أنحاء البلاد العربية وبين شعوبها قبل ظهور النصرانية والإسلام كالأشوريين والبابليين والكلدانيين والاراميين والمصريين والأحباش، ولما جاء الإسلام كانت كثير من قبائل الجزيرة تعتنق اليهودية، لاسيما في تيماء ويثرب ونجران وخيبر اللواتي أصبحن من أهم المراكز اليهودية المعروفة في الجزيرة العربية[1]، ومنها أخذت بالانتشار إلى شعوب وأمم أخرى خارجها. أما في داخل الجزيرة العربية فإن اليهود كانوا على ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: ينحدر من بني إسرائيل كيهود بني قينقاع في يثرب، وهي المدينة التي تحمل بالأصل اسمًا يهوديًا.
- القسم الثاني: ينحدر من قبائل بني إسماعيل كيهود غطفان وكنانة.
- القسم الثالث: ينحدر من قبائل سبأ وحمير.

في الحقيقة وبعد ما أوردناه من روايات آنفة لا يمكن الجزم بأن جميع يهود الجزيرة يرجعون إلى أصول عربية، ولكن الغالبة العظمى منهم عربًا وذلك بحكم انتشار هذه الديانة بين قبائها، وهذا ما أكده الدكتور جمال حمدان قائلاً: ((ففي الجاهلية الأخيرة كان اليهود غير قليلين في مدن وسط الجزيرة العربية وجنوبها خاصة الحجاز واليمن، ففي الحجاز كانت المدينة وخيبر من معاقلهم، بل كانت المدينة تحمل اسمًا يهوديًا هو يثرب، غير أن الأرجح أن يهود الجزيرة كانوا في معظمهم عربًا محليين متحولين وليسوا من يهود فلسطين الوافدين. أما في اليمن فقد تحولت أعداد كبيرة من سكان العصر السبئي إلى اليهودية، بل كان أحد ملوك سبأ في القرن السادس الميلادي يهوديًا هو ذو النواس، كذلك فقد كان المهاجرون الحضارمة الذين عمروا الحبشة، وأسسوا الإمبراطورية الحبشية يهودًا أصلاً، ثم تحولوا مبكرًا إلى القبطية غير أن ظهور الإسلام صفى اليهودية تمامًا في الجزيرة نفسها فيما عدا اليمن حيث ظل اليهود إلى وقتنا هذا))[2].

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف (بيروت: د.ت.): ج7/ص101؛ إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة (الرياض: 1409هـ): ج271/4؛ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط14، تحقيق: شعيب الأرناؤوط واخر، مؤسسة الرسالة(بيروت:1986م):ج3/ ص355.

(2) حمدان، اليهود انثروبولوجيا، ص 64.

استمر الوجود اليهودي في الجزيرة العربية بعد الميلاد وحتى عصر البعثة النبوية وعندما بُعِثَ رسول الهدى محمد ﷺ، أعلنوا العداء له وبدءوا بتأليب المشركين عليه، ولم يكتفوا بذلك بل حاولوا اغتياله، ولكن الله حفظه من شرهم وسلطه عليهم، فأجلى قبائلهم القاطنة في المدينة المنورة كبني قينقاع وبني النضير، وقتل بني قريظة، وغزاهم في خيبر حتى استسلموا له وطلبوا الصلح منه، فأوصى ﷺ بإخراجهم من أرض الجزيرة، فقال ﷺ: ((لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلما))[1]، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الفصول اللاحقة التي ستتطرق إلى اليهود في العصور الاسلامية.

المبحث الخامس: الوجود اليهودي في اليمن

سبق وأن تحدثنا عن انتشار اليهودية في شمال الجزيرة العربية، وبما أن المصادر الجغرافية وكتب البلدانيات قد عدت اليمن جزءًا من جنوب الجزيرة العربية، فلا بد من التطرق إلى التواجد اليهودي في اليمن في هذا الموقع من الدراسة، فعندما انتشرت اليهودية في شمال الجزيرة العربية كان هذا الانتشار في المناطق الواقعة على طرق التجارة التي تصل أجزاءها الأخرى ببلاد الشام، وكان لمرور القوافل التجارية من اليمن إلى بلاد الشام عبر هذه المناطق دوره في تسرب اليهودية، وتعاليمها إلى اليمن نتيجة الاختلاط بين التجار[2].

لقد أشارت المصادر العربية الإسلامية إلى أن تاريخ انتشار اليهودية في اليمن يرجع إلى عهد تبع أسعد أبا كرب ملك اليمن الحميري، الذي أودع أحد أبنائه في يثرب أثناء قيامه بإحدى الغزوات، لكن هذا الغلام قتل، فما كان من هذا الملك إلا أن هاجم يثرب للانتقام لمقتل ولده، وكان مزمعًا على تدمير يثرب وتخريبها، لولا تحذيرات أحبار اليهود له بسوء العاقبة؛ لأنها المدينة التي سيخرج منها نبي في آخر الزمان، فأعجب الملك اليمني بحديث أحبار اليهود فاتبع دينهم وعاد إلى اليمن مصطحبًا قسمًا منهم، فكان هذا الحدث البداية الأولى لدخول اليهودية إلى اليمن[3]، ومن هذه الرواية يمكننا أن نستشف أن الملك الحميري تبع أسعد هو أول من أدخل اليهودية إلى اليمن واتبعها واتخذها ديانة رسمية لدولته، ويعد تهود ملوك اليمن وانتشار اليهودية فيها من الحقائق

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: ج6/ص 271.

(2) دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 120.

(3) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد دار الجيل (بيروت: 1411هـ): ج1/ص131-132.

التاريخية التي أثبتتها الروايات القديمة والبحوث العلمية، ورغم ذلك يجب أن يتم التمييز بين ظهور اليهودية كدين بين سكان اليمن وبين اعتناق الملوك لها واتخاذها دينًا رسميًا للدولة، ومن الطبيعي أن يكون تسرب الديانة اليهودية إلى بلاد اليمن قد حدث أولاً، وفي أزمنة سابقة قبل أن يعتنقها الملوك الحميريين[1].

أما ما يتعلق بأسباب انتشار اليهودية، فقد اعتقد بعض المستشرقين ومن ضمنهم ولفنسون[2] أن السبب الرئيس لانتشارها في اليمن هو سياسي أكثر مما هو ديني، وذلك رغبة من الإمبراطورية البيزنطية من أجل السيطرة على الأجزاء الداخلية للجزيـــرة العربيـــة بعد أن تمت

لها السيطرة على أطرافها، فأخذت بإرسال المبشرين المسيحيين إلى اليمن، وكرد فعل على ذلك تهود ملوك اليمن لمقاومة المد القادم إليهم، والمتمثل بالديانة المسيحية ومحاربتها بديانة سماوية أخرى، ويؤكد ولفنسون أن ملوك اليمن الحميريين قد نجحوا في القضاء على الذرائع البيزنطية التي حاولت أن تتسلل من خلالها إلى قلوب اليمنيين وعقولهم، كما أضاف ولفنسون سببين آخرين جديدين إلى الأسباب السالفة الذكر، أولهما: أن ملوك حمير لم يخشوا على أنفسهم من اعتناق اليهودية كديانة رسمية من تسلط دولة قوية ذات سلطان، حيث لم يكن لليهود دولة سياسية ذات سلطان كالإمبراطورية البيزنطية التي قد تتحكم بهم في حال اعتناقهم للنصرانية. أما السبب الثاني: فأن تعاليم اليهودية أقرب ما تكون إلى عقلية العرب من الديانة المسيحية التي كانت تستمد بعض تعاليمها آنذاك من الفلسفة اليونانية.

إن الملاحظة الجديرة بالذكر أن اليهودية في اليمن كانت على عكس ما هي عليه في شمال الجزيرة العربية، إذ إن اليهودية في اليمن اعتمدت على السكان المحليين. أما في شمال الجزيرة، فإنها اعتمدت على اليهود المهاجرين إليها من فلسطين، فقد ذكرت المصادر التاريخية أن بعض القبائل اليمنية تركت الديانة الوثنية واعتنقت اليهودية كهمدان وحمير، وقد تميزت اليهودية في جنوب الجزيرة العربية على يهود الشمال، باعتناق الملوك لها من جهة، واعتمادها على سكان البلاد الأصليين، مما أكسبها قوة وتميزًا [3].

(1) دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 122.

(2) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص36-40.

(3) دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 122.

وقد أكد الدكتور جواد علي[1] على عروبة يهود اليمن، ودحض ادعاءات يهود اليوم بأنهم من نسل أولئك اليهود الذين هاجروا من فلسطين في العصر الآشوري، واستقروا في اليمن واستمرت اليهودية فيها، ومما يدعم هذا الرأي ما أشار اليه جواد علي في موضع أخر من كتابه إلى أن اليمن تعرضت في عهد الدولة الحميرية لغزو الرومان في سنة 24ق.م.، الذين اصطحبوا معهم عددًا من العرب واليهود، إلا أن هذا الجيش هلك بسبب الجوع والعطش أثناء قطع الطريق إليها عبر الصحراء والمناطق الوعرة، فاستوطن من تبقى منهم في اليمن واعتنق اليهودية[2].

بقيت اليهودية منتشرة في اليمن حتى القرن السادس الميلادي، حيث تحولت أعداد كبيرة من سكان العصر السبئي إلى اليهودية، وكان أحد ملوكها هو ذو النواس معتنقًا لليهودية ويمكن ملاحظة مدى الانتشار والصلة الوثيقة لسكان اليمن باليهودية، من خلال دور المهاجرين الحضارمة اليهود الذين عمروا الحبشة، وأسسوا الإمبراطورية الحبشية[3]، ثم تحول بعضهم مبكرًا إلى المسيحية على المذهب القبطي خلال الحقبة من 491-518م، بعد أن لاقوا الأمرين من اضطهاد وعنف، ولم يكن يهود اليمن في معزل عن يهود البلاد الأُخرى، لاسيما فلسطين، إذ بقي أحبار اليهود يفدون إلى أبناء دينهم في اليمن من أجل توطيد الصلات معهم من جهة، وكسب ود ملوكهم من جهة أخرى، للاستفادة منهم في الانتقام من المسيحيين الحميريين[4]، وبقيت الحال على ما هي عليه في اليمن ما بين الوثنية واليهودية والمسيحية حتى ظهور الإسلام الذي صفى اليهودية تمامًا في مناطق شمال الجزيرة العربية، إلا أنها بقيت في اليمن رغم انتشار الإسلام إلى وقتنا هذا[5].

المبحث السادس: بدايات الوجود اليهود في بلاد المغرب قبل الإسلام

يدعي يهود المغرب العربي أنهم من أصول فلسطينية – وهذا ما اثبتنا خطأه – في الصفحات السابقة، ولهذا فهم يطلقون على أنفسهم اسم (بلشتيم) المحرفة عن اسم فلسطين، وإن الجذور التاريخية الأولى لوجودهم في المغرب يرجع إلى ما قبل عصر السيطرة البابلية على فلسطين في سنة

(1) المفصل في تاريخ العرب: ج6/ص538.

(2) المرجع نفسه: ج2/ص52.

(3) حمدان، اليهود انثروبولوجيا، ص 64.

(4) دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 127.

(5) المرجع نفسه، ص 131؛ حمدان، اليهود انثروبولوجيا، ص 64.

587 ق.م. وسبي يهود أورشليم (القدس)، ونقلهم إلى بابل من قبل الملك نبوخذ نصر[1]، وهذا ما أوردته بعض المراجع الحديثة مؤكدةً على أن الديانة اليهودية انتشرت بين قبائل البربر في المغرب عن طريق بني إسرائيل، وتركز وجودهم قرب المنطقة التي أنشأت فيها مدينة فاس[2]، واستمر تواجدهم فيها حتى القرون الأولى من إنشائها[3].

إن الحقيقة التي لابد من ذكرها قبل تناول تاريخ اليهود في المغرب العربي، هي أن اليهود في بلاد المغرب هم مغاربة أقحاح من قبائل البربر التي دانت باليهودية تاركة الوثنية، ثم انضم إليهم اليهود الوافدون الذين تطبعوا بطبائع وعادات وتقاليد البربر، وانصهروا في المجتمع المغربي، وأصبحوا على قدر واحد من الثقافة وحب البلاد والإخلاص في خدمتها[4].

ومما يدلل على ذلك وجود جالية كبيرة منهم فيها، جاءت هذه الجالية إلى المغرب على شكل موجات بين الحين والآخر، لاسيما بعد السبي البابلي والثورات الفاشلة التي قاموا بها ضد حكومات البلاد التي عاشوا فيها كبلاد الشام ومصر أثناء العصر البطليمي والروماني، كما كان للعمل في التجارة، والسعي من أجل جني الأرباح الوفيرة دورًا في هجرتهم إلى مناطق إستراتيجية تقع على طرق التجارة وتتمتع بنشاط اقتصادي كبير[5].

على ما يبدو أن الظروف الصعبة التي عاشها اليهود في المشرق نتيجة لحروبهم وصراعاتهم سواء مع قوى خارجية أو داخلية، لم تكن السبب الوحيد في هجرتهم إلى المغرب وإنما كانت

---

(1) حمدان، المرجع نفسه، ص 61، 64-65؛ جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد: 1986 م)، ص 508.

(2) فاس: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة في جنبيها على الجبل حتى بلغت مستواها من رأسه، وقد تفجرت كلها عيونا تسيل إلى قرارة واديها إلى نهر متوسط مستنبط على الأرض منبجس من عيون في غربيها. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج 4/ص230.

(3) ليفي بروفنسال، الاسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: عبد العزيز سالم، مكتبة نهضة مصر (القاهرة: د. ت.)، ص44؛ ابراهيم حركات، أوضاع المغرب ومشاكله قبيل قيام الدولة السعدية، بحث منشور في مجلة البحث العلمي (المغرب: 1975م): سنة 24/ص 88.

(4) احمد شحلان، اليهود المغاربة من منبت الاصول إلى رياح الفرقة، دار أبي قراق للنشر والتوزيع (الرباط: 2009 م)، ص 11.

(5) بروفنسال، الاسلام في المغرب والأندلس، ص44؛ حركات، أوضاع المغرب، ص 88.

تدفعهم إليها مصالحهم الاقتصادية التي يطمحون إلى تحقيقها في مناطق ذات مواقع إستراتيجية تقع على طرق التجارة الدولية التي تربط بين الشرق والغرب، فكانت بلاد المغرب العربي واحدة من هذه المناطق المهمة، الساحلية منها على وجه الخصوص، فهاجروا إليها وشكلوا فيها جاليات لعبت دورًا كبيرًا في حركة التجار والنشاط الاقتصادي.

إن ما يعزز الرأي الذي أوردناه آنفًا، ويدعمه بشكل كبير الهجرات اليهودية إلى المغرب العربي خلال العهد الفينيقي، التي كانت مرافقة للفينيقيين الذين وصل نفوذهم إلى كل من إسبانيا والمغرب آنذاك[1]، فوجد المهاجرون اليهود كل مستلزمات الاستيطان والحياة الرغيدة فيها من مأوى ومأكل واستيطان، فضلاً عن وجود صلات الجنس واللغة والعادات والتقاليد والعقائد بينهم وبين من سبقهم من اليهود المستقرين فيها، وأصبحوا بمثابة قاعدة استقبال تهيئ الأجواء لهم، مما مكنهم من التغلغل والاستقرار بين قبائل البربر والتأثير فيها ونشر اليهودية بينها، لاسيما في جنوب المغرب الأقصى[2]، وعمل هؤلاء اليهود في التجارة بحكم اختلاطهم وتعاملاتهم واحتكاكهم بالفينيقين الذين اشتهروا بالتجارة والسيطرة على المناطق التجارية الاستراتيجية المهمة، وإقامة مستعمرات فيها، وخاصة الواقعة منها على ساحل البحر المتوسط كالشام والساحل الإسباني والمغربي، كما ركزوا جل اهتمامهم على الجماعات اليهودية التي تشتت في جميع أنحاء العالم منذ العصر الآشوري والعصور التي تبعته وحتى القرن الأول الميلادي[3]، وارتبطوا معهم بعلاقات وروابط متينة، نجحوا خلالها من نشر اليهودية بين قبائل البربر والبتر المغربية على نطاق واسع[4].

لم يخلُ العصر الروماني واحتلال بلاد الشام ومصر في القرن الأول للميلاد من موجات نزوح يهودية من البلاد المحتلة إلى المغرب العربي فرارًا من البطش الروماني، وانتشر اليهود الفارون بين

(1) حمدان، اليهود انثروبولوجيا، ص 66.

(2) موريس لومبار، الاسلام في مجده الاول، ترجمة: اسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر (الجزائر: 1979م)، ص 83؛ عطا علي محمد ريه، اليهود في بلاد المغرب الاقصى في عهدين المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة (دمشق: 1999م)، ص 24.

(3) محمود العابدي، قدسنا، معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة: 1972 م)، ص 26.

(4) فيليب فارخ وآخر، المسيحيون واليهود في التاريخ الاسلامي العربي والتركي، دار سيناء للنشر (القاهرة: 1994م)، ص 57.

السكان المحليين من قبائل البربر، إذ كان للمغرب النصيب الأكبر منهم، وتحديدًا في منطقة برقة[1]، ورغم عيشهم حياة رغيدة في المغرب، إلا أنهم لم يتركوا طبيعتهم الميالة إلى التمرد والعصيان، فتضامنوا مع الثائرين من أبناء دينهم في فلسطين ضد الرومان أكثر من مرة خلال السنوات (37-41 م)، كما أنهم قاموا سنة 70 م بثورة مسلحة في المغرب ضد الرومان تضامنًا مع يهود فلسطين، وتعد هذه أول ثورة فعلية ليهود المغرب ضد الحكم الروماني، فنكلت بهم السلطات الرومانية وقتلت كثيرًا منهم، مما أدى إلى فرار المتبقين منهم إلى داخل الصحراء الليبية أكثر من مرة، ومنها أخذوا بالانتشار في مختلف أجزاء المغرب[2].

لقد قدر المؤرخ اليهودي يوسفيوس عدد اليهود في المغرب بنصف مليون في ليبيا خلال القرون الميلادية الأولى، وقد انتشروا في مختلف أنحاء المغرب، لاسيما المناطق الساحلية منها، أو المناطق الداخلية منها، وعلى الرغم من مبالغة يوسفيوس في أعداد اليهود في المغرب وليبيا تحديدًا، إلا أن ذلك يدل على أن المغرب أصبح يضم عددًا كبيرًا من اليهود بل ومن أهم مراكز تجمعهم خلال القرن الأول الميلادي[3].

لم يعتبر يهود المغرب العربي مما مر بهم من تنكيل وقتل وتشريد على أيدي الرومان فثاروا مرة أخرى في عهد الإمبراطور تراجان في برقة، متضامنين مع يهود الشام في ثورتهم فتحولت إلى حرب مسلحة مع الرومان[4]، إلا أن التنكيل الروماني كان أشد من المرة السابقة فأرسل الامبراطور تراجان في سنة 115م حملة عسكرية لإخضاعهم وتأديبهم، فقامت هذه القوات بتدمير مدينة برقة بالكامل، وفرضت السيطرة على اليهود بعد أن ألحقت بهم خسائر بشرية، حيث تجاوز عدد القتلى اليهود مئتي ألف نسمة، ولاذ الباقون بالفرار نحو الصحراء الليبية التي شكلت لهم ملاذًا آمن لا تصل إليه أيدي الرومان، بينما توجه قسم آخر منهم إلى مدن الشمال الأفريقي، فاختلطوا

---

(1) مسعود الكواتي، اليهود في المغرب الاسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى معهد التاريخ (جامعة الجزائر: د.ت.)، ص43.

(2) للمزيد من التفاصيل عن الثورات اليهودية خلال القرن الاول الميلادي ينظر: أوروسيوس، تاريخ العالم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت: 1982م)، ص 424؛ عبد العليم، اليهود في مصر، ص 170.

(3) الكواتي، اليهود في المغرب الاسلامي، ص 50؛ يوسبيوس القيسري، تاريخ الكنيسة، ترجمة: القس مرقص داود، دار الكرنك للنشر والطباعة والتوزيع (بيروت: 1966م)، ص 122 وما بعدها.

(4) أورسيوس، تاريخ العالم، ص 437؛ عبد العليم، اليهود في مصر، ص 177.

بأبناء القبائل البربرية التي تكن العداء للرومان، وتعدهم محتلين لبلادهم ونهابًا لخيراتها، وعاشوا معهم وأخذوا بتدريبهم وتنظيمهم، كقبيلة زناتة البربرية[5].

لقد كانت النتيجة الطبيعة لمثل التنكيل الذي تعرض له اليهود في المغرب العربي على أيدي الرومان، أن مالوا إلى الاستكانة والتقوقع على أنفسهم والانعزال في مجتمع خاص بهم بسبب سيطرة الرومان على البلاد بشكل تام ومحكم لا يسمح لهم بأي حركة قد يكون مردودها سلبيًا عليهم، كما حدث سابقًا [6]، وانزووا في العيش مع قبائل البتر التي توجهت إلى الداخل نحو وسط وجنوب المغرب، واستقروا في المدن والقرى الصغيرة في المناطق الجبلية خلال هذه الحقبة، مما سهل عملية التفريق بين هؤلاء اليهود وبين اليهود الجدد الوافدين من الغرب واستقروا في المناطق الساحلية للمغرب العربي كسبتة وغيرها من المدن الأخرى[7].

تغيرت أوضاع اليهود في المغرب العربي نحو الأحسن نوعًا ما في نهايات العهد الروماني، وتحديدًا في عهد الأمبراطور قسطنطين (324-337 م) الذي منحهم نوعـًا من الحرية، وعدهم مواطنين من الدرجة الثانية بعد الرومان، مما أسهم في هجرة أعداد منهم نحو الشمال الأفريقي وعملهم في مجال التجارة، بينما اتجه قسم اخر منهم نحو الجنوب المغربي واستقروا في منطقة سجلماسة[8] وفاس[9]، وبقوا فيها يمارسون حياتهم بشكل طبيعي حتى الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب، ليدخلوا في اطار الحكم العربي الإسلامي، وهذا ما سنفصل الحديث عنه في الفصول اللاحقة.

(5) الطيب محمد حمادي، اليهود ودعم الاستيطان البطليمي والروماني في اقليم برقة، منشورات جامعة قار يونس (بنغازي: 1994 م)، ص110-111؛ ميخائيل مكس اسكندر، تاريخ كنيسة بنتابولس المدن الخمسة الغربية، دار الثقافة (القاهرة: 1987 م)، ص 89-90.

(6) عبد العليم، اليهود في مصر، ص 185.

(7) ريه، اليهود في بلاد المغرب الاقصى، ص 28.

(8) سجلماسة: مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهي في منقطع جبل درن: ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج3 / ص 192.

(9) عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيون والمواركة، د. م. (القاهرة: 1983 م)، ص 220.

المبحث السابع: الوجود اليهودي في أسبانيا قبل الإسلام

ترجع بدايات الوجود اليهودي في أسبانيا – الأندلس في العصور الإسلامية – إلى عصور قديمة، فقد أجمعت المصادر التاريخية على هذا الوجود، إلا أنها اختلفت في التاريخ الدقيق لهذا الوجود، فهناك أقوال متضاربة في هذا الجانب، لذا فهو غير معلوم على وجه التحديد، فقد أشارت بعض المصادر الإسلامية إلى أن أول ذكر لهم في اسبانيا يرجع إلى عهد الملك الاسباني إشبان، الذي اشترك مع الملك نبوخذ نصر في احتلال القدس سنة 586 ق.م. فاصطحب معه إلى بلاده مئة ألف أسير يهودي من فلسطين، فكونوا نواة التواجد اليهودي في أسبانيا[1].

كما أشارت بعض الدراسات - اليهودية منها خاصة - إلى أن زمن الوصول اليهودي إلى إسبانيا يرجع إلى نزوح بعضهم إليها أثناء الصراعات التي حدثت في عصر القضاة (1125-1025ق.م.)، كما أشار البعض الآخر إلى إنها نزحت خلال الصراع بين مملكتي إسرائيل ويهودا (931-724ق.م.)، كما أشار قسم آخر من المؤرخين إلى أنهم ربما كانوا من سلالة السفراء الذين بعث بهم كل من النبي داود عليه السلام وسليمان عليه السلام للإقامة في إسبانيا، لاسيما أن السفير حيرام مسؤول كنوز سليمان عليه السلام توفي ودفن في إسبانيا[2]، وعلى الرغم من ذلك فقد عدت الدراسات اليهودية هذه المزاعم ضمن الأساطير التي لا صحة لها، لعدم تقديم اصحابها ما يثبت قولهم.

على ما يبدو أن الرواية الأولى هي الأقرب إلى الصحة وذلك لسببين رئيسين أولهما: ورود الرواية في أكثر من مصدر إسلامي من جهة، وعدم التشكيك فيها أو الطعن من قبل أي مصدر إسلامي آخر من جهة أخرى، فضلاً عن عدم ورود رواية أخرى في المصادر الإسلامية تحدد بداية وصولهم إلى إسبانيا. أما السبب الثاني فتمثل بورود الرواية في المصادر الإسبانية أيضًا، مما يدعم الرواية الأولى ويعزز صحتها، وهذا ما يدفعنا إلى أن تهجير اليهود إلى أسبانيا تم على عدة مراحل، ومثلت هذه المرحلة التهجير الاول.

---

(1) أبو عبدالله محمد المراكشي المعروف بابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وآخر، دار الثقافة (بيروت: د.ت.):ج2/ص2؛ احمد بن عمر المعروف بن العذري، ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الاهواني، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية (مدريد: 1965م)، ص 97.

(2) حسن ظاظا، اليهود في اسبانيا الاسلامية، بحث منشور في مجلة الفيصل (د.م.: 1994م): ع 26/ص38.

أما التهجير الثاني فكان في عهد القائد الروماني تيتوس فيسبسيان الذي سار إلى القدس في سنة 70 م للقضاء على تمرد اليهود فيها، فنجح فيما اراد، إذ قمع التمرد اليهودي وأحرق جميع رموزهم، وأسر قرابة ثلاثين ألفًا منهم، وقام بنقلهم إلى المغرب والأندلس[1]، كما قام الإمبراطور الروماني هدريان بتهجير اليهود إلى إسبانيا إثر قضائه على تمردهم في فلسطين سنة 136 م، إذ نقل ما يقرب من خمسين ألف عائلة يهودية من أجل استعبادهم[2]، كما أشارت روايات تاريخية أخرى إلى أن قسمًا من يهود إسبانيا كانوا من السبي اليهودي الذي بيع كعبيد في أوربا، إلا أن أغنياء اليهود في أوربا قاموا بشرائهم وإعتاقهم، فتكونت جاليات يهودية تعيش في أحياء خاصة بهم في مختلف أنحائها أطلق عليها الجيتو، ومسورة بأسوار تحميها تغلق عند المساء، وكانوا يمتهنون التجارة وبعض الحرف، فضلاً عن حرصهم على امتلاكهم الأراضي الزراعية، وكانت الجالية اليهودية في إسبانيا من أكبر الجاليات في العالم آنذاك[3].

إن الأعداد التي ورد ذكرها آنفًا في أسبانيا أعداد مبالغ فيها، وإن ما يدفعنا إلى مثل هذا الاعتقاد، كونها لا تتناسب مطلقًا مع أعداد اليهود الموجودين في إسبانيا مع بداية الفتح الإسلامي لها، فلو كانت حقيقية لبلغت أعدادهم بضعة ملايين خلال ست قرون من القرن الأول إلى القرن السادس الميلادي[4].

وعلى الرغم مما أشرنا اليه، إلا أن معظم المؤرخين يجمعون على أن وجود اليهود في إسبانيا، كان قبل تصبح مملكة قوطية مسيحية[5]، ومن ثم هاجر إليها قسمٌ آخر من يهود أوربا الشرقية، وتبعتهم هجرة يهودية أخرى من بلاد الخزر والقوقاز، مما يدل على انتمائهم ليس إلى ابراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام[6]، وبذلك يكونوا أناس طارئين على إسبانيا، حالهم في ذلك حال اليهود في

---

(1) أوروسيوس، تاريخ العالم، ص 179؛ الكواتي، اليهود في المغرب الاسلامي، ص40.

(2) ضياء باشا، الأندلس الذاهبة دول الطوائف ودولة المرابطين وبداية الموحدين، ترجمة: عبد الرحمن ارشيدات، تحقيق: صلاح ارشيدات، د.م. (عمان: 1989م)، ص 406.

(3) هدى درويش، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس دراسة عن اليهود المارنواس، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (القاهرة: 2008م)، ص9.

(4) خالد يونس عبد العزيز الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، مطبعة دار الارقم (غزة: 2011م)، ص 39.

(5) قنديل، الاثر الاسلامي في الفكر الديني اليهودي، ص206-207.

(6) يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الاحمر، دار الجيل (د.م.: 1993م)، ص 97.

جميع البلاد التي مر ذكرها، ولا تربطهم أي صلة بسكان البلاد الأصليين سوى الديانة[1]، ولكن نشاطهم في الحياة الاقتصادية كان كبيرًا ومؤثرًا، إذ هيمنوا على مجال التجارة، مما جعلهم متنفذين فيها، ومتحكمين بالاقتصاد الإسباني[2]، فعملوا بالتجارة مع بـــلاد مـــا وراء البحار، كما مارسوا الزراعة والصناعة على نطاق واسع، لاسـيما زراعة الزيتـون وصناعة النبيذ، فأصبحوا من كبار الملاك، فكانوا يزرعون بأيديهم أو بواسطة العبيد، فضلاً عن ممارسة بعضهم للعمل كوكلاء ومحاسبين في أملاك الغير[3].

تعرض اليهود للاضطهاد فيما بعد من قبل حكومة القوط الغربيين في إسبانيا وسكانها الذين كانوا لا يبايعون ملكا على اسبانيا، إلا إذا تعهد لهم بتطبيق هذه السياسة، متذرعين بقتل اليهود ليسوع المسيح عليه السلام، وعملهم بالمرابات وابتزاز الناس، فضلاً عن عملهم بالنخاسة واستعباد الناس[4]، فتم اضطهادهم على يد الملك إلاريك الثاني (484-507 م)، كما نصت قرارات مجلس طليطلة[5] الثالث الذي انعقد في سنة 587 م على إكراه اليهود على اعتناق المسيحية، كما حرمت على اليهود استعباد أي مسيحي[6]، فضلاً عن منع استخدام أي يهودي في الأعمال، ومنع زواج المسيحيات باليهود، والختان، وحرمان اليهود من ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية الخاصة بهم، فاضطر بعض اليهود على اعتناق المسيحية، وإقامة شعائر الديانة المسيحية، وأكل الخنزير لإثبات اعتناقهم للمسيحية، فازدادت الاضطهادات المسيحية لليهود مع حلول عام 598 م، إثر اصدار المجمع الكنسي في طليطلة لهذه القرارات[7].

---

(1) عمر فروخ، العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط، ط2، دار الكتاب العربي (بيروت: 1981 م)، ص 179.

(2) علي أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية (جامعة دمشق: 1996 م): ع 58 / ص 163.

(3) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 44.

(4) أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب: ع 58 / ص 163.

(5) طليطلة: مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس وهي غربي ثغر الروم بين الجوف والشرق. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج 4/ص39.

(6) خليل ابراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة (بيروت: 2000 م)، ص18.

(7) درويش، أسرار اليهود المتنصرين، ص9؛ قاسم عبد سعدون، التسامح الاسلامي مع مكونات المجتمع الأندلسي اليهود إنموذجا، بحث منشور في مجلة ابحاث البصرة (جامعة البصرة: 2015م): مج40/ع1/ص124.

كما أقرت الكنيسة سياسة الاضطهاد في سنة 616 م على عهد ملك القوط الغربيين سيسيبون (612-631م)، صاحب الميول الرومانية، ثم الملك سيسيناندو الذي عقد المجمع الكنسي الرابع في مدينة طليطلة في سنة 633م[1]، فأصدر عدة قرارات منها أن يسلم كل يهودي أبناءه للكنيسة عندما يبلغوا سن السابعة، ليتم تعميدهم وتربيتهم تربية مسيحية، وأن يسلم كل يهودي ارتد عن المسيحية لأحد المسيحيين ليستعبده، وبعد هذه القرارات أجبر اليهود على التنصر، ولكنهم ظلوا يمارسون عقائدهم اليهودية بكل سرية، ونتيجة لعدم التزام اليهود بقرارات الكنيسة، فإنها قررت تسليم كل اليهود - سواء من تنصر منهم أو من بقي منهم على دينه- لكي يكونوا عبيدًا للمسيحيين، فضلاً عن مصادرة جميع ممتلكاتهم، وبقوا على هذا الحال حتى دخل الفتح الإسلامي لإسبانيا، ليتحول اسمها إلى الأندلس[2]. مما دفع اليهود إلى البحث عن حل للخلاص من هذا الاستبداد، فوجدوا في الفاتحين العرب المسلمين المنقذ لهم مما هم فيه[3].

أما أهم المناطق الإسبانية التي استقر فيها اليهود، فإنها لم تقتصر على مكان واحد بل انتشروا في مناطق مختلف منها، لاسيما في المناطق الغنية بالمحاصيل الزراعية والمنتوجات الصناعية بحكم طبيعة الأعمال التي مارسوها، فضلاً عن الموقع الاستراتيجي المهم الذي اكتسبته من خلال وقوعها على طرق التجارة، كمدينة غرناطة [4]، وأشبيلية [5]، إلا أن اعظم وأكثف وجود لهم كان في مدينة قرطبة[6]، وطليطلة اللتين تميزتا عن غيرهما من المدن التي استقر بها اليهود،

---

(1) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص18.

(2) درويش، أسرار اليهود المتنصرين، ص10-11.

(3) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص18.

(4) غرناطة: هي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها يشقها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم ويعرف الآن بنهر حداره يلقط منه سحالة الذهب الخالص وعليه أرحاء كثيرة في داخل المدينة وقد اقتطع منه ساقية كبيرة تخترق نصف المدينة فتعم حماماتها وسقاياتها، ويعني اسم غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج4 / ص195.

(5) أشبيلية: مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس أعظم منها تسمى حمص لتشابههما من حيث المناخ والطوبوغرافية. ينظر: المصدر نفسه: ج 1/ ص195.

(6) قرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريرا لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني أمية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع وبينها وبين البحر خمسة أيام. ينظر: المصدر نفسه: ج4/ ص324.

لأنهم كانوا أكثر ثروة واغنى من جميع يهود إسبانيا آنذاك[1] واستمر هذا الفتح الإسلامي لها في نهايات القرن الأول الهجري /أوائل القرن الثامن الميلادي، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل ضمن المبحث الخاص بيهود الأندلس في العصور الإسلامية، وذلك تماشيا مع خطة الكتاب التي وضعت وفق التسلسل الزمني.

(1) أحمد، اليهود في الأندلس: ع 58 / ص 163-164.

الفصل

2

اليهود والإسلام

- المبحث الأول : القبائل اليهودية في الحجاز في عصر النبوة
- المبحث الثاني : موقف اليهود من الدعوة الإسلامية

الفصل

2 اليهود والإسلام

المبحث الأول: القبائل اليهودية في الحجاز في عصر النبوة

عندما بُعِثَ الرسول محمد ﷺ في القرن السابع الميلادي كان اليهود جزءًا من سكان الجزيرة العربية، وقبل الخوض في الحديث عن موقفهم من الدعوة الإسلامية لابد من التطرق إلى أهم القبائل اليهودية التي كانت قريبة من مكة ويثرب(المدينة المنورة) اللتين مثلتا قاعدة لانطلاق الدعوة، فمكة لم يقطنها اليهود، وإنما كانوا تجارًا يفدون إليها للبيع والشراء والقيام بأعمال مختلفة، كما كان أهل مكة أنفسهم يفدون إلى يثرب وخيبر للتجارة وشراء الحلي التي كانت تلبسها نساؤهم وأطفالهم، كما جاء كعب بن الأشرف إلى مكة لينعى قتلى بدر، كما جاء وفد من أحبار اليهود إلى مكة ليحزبوا الأحزاب ليوم الخندق، كما كان رجال اليهود يجلبون العبيد من اليهود[1]، وقد أشار الواقدي إلى وجود عبد يهودي في مكة يدعى عبد الدار بن جبر بن جبر دخل في ذمة رسول الله ﷺ بعد أن سمع سورة يوسف عليه السلام، فكان لها وقع شديد في نفسه ولما بلغ الخبر مشركي مكة أوسعوه ضربًا، فأعطاه الرسول ﷺ بعد فتحه لمكة مقدارًا من المال فتزوج بامرأة شريفة من بنات مكة[2].

لقد حاول بعض المستشرقين إثبات وجود أعدادٍ من اليهود، وسكنهم في مكة قبل ظهور الإسلام، إلا أن رواية الوجود اليهودي فيها ليس صحيحًا، ولو أنها صحت لوجد لهم فيها حيًا خاصًا، فضلاً عن وجود معبدٍ فيها خاص بهم يقيمون فيه صلاتهم وطقوسهم ويدرسون فيه كتبهم، والدليل على ذلك أن جميع المصادر الأولية لم تذكر ولو إشارة واحدة لأي وجود لليهود في مكة[3].

---

(1) ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص93-94.

(2) محمد عمر بن واقد المعروف بالواقدي، المغازي، ط3، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب (بيروت: 1984م)، ص 349.

(3) ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص 94.

كما أكد ولفنسون عدم وجود يهود في مكة، وأثبته عندما أشار إلى قصة إرسال قريش للنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود في يثرب لمعرفة رأيهم في نبوة الرسول ﷺ والتأكد منها قائلاً: ((أنه لم يكن بمكة أحد من اليهود إذ لو وجد منهم في مكة ما أوفد بنو قريش وفدهم إلى يثرب ليسألوا أحبار اليهود عن شأن النبي، وإذا وجد منهم أحد فلا بد أن يكون غير عالم))[1]، ولكن الاختلاط من خلال التجارة والتحالفات بين أهل مكة واليهود كان له دوره في اطلاع قريش ومعرفتهم بتعاليم اليهودية.

أما يثرب والمناطق القريبة منها، فقد استوطنتها العديد من القبائل اليهودية وكان من أشهرها بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع ويهود خيبر، فقد استوطنوا مدينة يثرب قبل قدوم قبيلتي الأوس والخزرج العربيتين[2]، فعند قدومهما إليها وجدوا أن اليهود قد سبقوهم في استيطانها، وتغلبوا على جميع البطون والعشائر العربية التي كانت تسكنها، مما جعل قبيلتي الأوس والخزرج تقنعان بالسماح لهما من قبل اليهود بالإقامة معهم في يثرب، وعلى الرغم من قناعتهم هذه، لم يلبثوا أن أخذوا شيئًا فشيئًا يثبتون مركزهم فيها، فاقترحوا على اليهود بأن يعقدوا تحالفًا فيما بينهم لمواجهة الأخطار الخارجية[3]، فضلاً عن ارتباطهم بعلاقات تجارية مع أهل مكة، و نظرًا للدور التآمري الذي قامت به هذه القبائل مع مشركي مكة في التصدي للرسول ﷺ والقضاء على الدعوة الإسلامية، فإننا سنتناول كل من هذه القبائل وموقفها من الدعوة على انفراد، كي يتسنّى للقارئ الكريم فهم الأحداث بشكل سلس.

---

(1) المرجع نفسه، ص 98.

(2) هاشم يحيى الملاح، موقف اليهود من العروبة والإسلام في عصر الرسالة، دار الشؤون الثقافية (بغداد: 1988م)، ص10.

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: ج 2/ ص 441؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج 3/ ص 224؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، د.م. (بيروت:1981م): ج2/ص334؛ علي بن عبد الله بن أحمد السمهودي، وفاء الوفا بإخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية (بيروت: 1998م):ج 1/ ص 177،178.

أولاً: بنو النضير

لقد أثبتت المصادر العربية الإسلامية اتصال نسب قبيلة بني النضير اليهودية بهارون بن عمران أخي موسى عليه السلام[1]، مستندة في ذلك على إرجاع النبي ﷺ نسب بني النضير - قبيلة زوجته صفية رضي الله عنها - إلى هارون بن عمران عليه السلام[2]، وتعد قبلة بني النضير من أكبر القبائل اليهودية التي استوطنت المدينة، كما أنها كانت تفخر على بقية القبائل اليهودية بانتسابها إلى هارون عليه السلام، مما جعل لها حق السيادة على جميع يهود الحجاز[3]، كما تفرع عن بني النضير بطون أخرى منها بني القمعة، وهذا أشار إليه ياقوت الحموي[4].

استقر بنو النضير بمعية بني قريظة في منطقة غابة مدينة يثرب الواقعة في السافلة[5] إلا أن وباءة بيئتها[6]، أدت إلى انتقالهم إلى جنوب شرق يثرب بوادي يصب في بطحان[7] ووادي مذينيب الواقعان في منطقة العالية[8] التي امتازت بخصوبة تربتها ومياهها العذبة وأشجارها الوفيرة [9]، وقد ساعد ذلك على امتهانهم الفلاحة وزراعة الأراضي بالحنطة والشعير[10]. أما عن تعدادهم فقد

---

(1) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية (بور سعيد: د. ت.): ج 4/ص 129؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر (بيروت: 1358هـ): ج 1/ ص 357.

(2) أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة (مصر: د.ت): ج3/ص135؛ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د.ت.): ج5 / ص709.

(3) علي، المفصل في تاريخ العرب: ج6 /ص522.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج1 / ص347.

(5) السافلة: المنطقة الواقعة في اسفل المدينة وتمتد إلى مقبرة شهداء أحد حيث قبر الحمزة رضي الله عنه. ينظر: كيوان، اليهود في الشرق الاوسط، ص 62.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج1 / ص 446؛ ج5 /ص 234؛ ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص13 .

(7) السمهودي، وفاء الوفا: ج2/ص213 ' جلو، اليهود في المشرق الاسلامي، ص 34.

(8) العالية: هي المنطقة الواقعة فوق المدينة وتمتد حتى مسجد قباء شرقًا. ينظر: كيوان، اليهود في الشرق الاوسط، ص 62.

(9) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج1 / ص 446؛ ج5 /ص 234؛ ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص13.

(10) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، دار ابن الاثير (الموصل: 2004 م)، ص 34.

بلغ عدد رجال بني النضير البالغين قرابة سبعمئة [1]، وكانوا حلفاء لقبيلة الأوس واشتركوا معهم في حروبهم مع الخزرج التي اشتعلت قبل البعثة بخمس سنوات[2].

ثانياً: بنو قريظة

يلتقي بنو قريظة مع بني النضير في النسب، فكلاهما ينتسب إلى هارون عليه السلام[3]، وسميت بقريظة نسبة إلى جبل قريظة[4]، وتربطها صلة القرابة والدم مع يهود خيبر[5]، كما أنها تتكون من عدة بطون منها بني خنافة[6]، وتقع منازلها في شرق وادي مهزور[7]، الذي سمي باسمها (وادي قريظة([8]، وهو في شرق يثرب إلى الشمال من منازل بني النضير[9] القريبة من الحرة الشرقية التي عرفت بحرة واقم، التي كانت تسمى بحرة بني قريظة في ذات الوقت[10] وكان يهود بني قريظة يعملون في زراعة الأراضي بالنخيل والحبوب[11]، وتعد بني قريظة من كبريات القبائل اليهودية في يثرب، إذ بلغ عدد رجالها قرابة تسعمئة يهوديّ في صدر الإسلام[12] كما استقرت إلى جانبهم في ذات المكان، عشيرة يهودية أخرى تدعى ببني بهدل أو بني هدل، التي ترتبط مع بني قريظة وبني

---

(1) أكرم ضياء العمري، المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته، د. م. (د. م.:1984م)، ص59.

(2) ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص63-68.

(3) ابن طاهر، البدء والتاريخ: ج4 / ص 129؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج1 /ص357 .

(4) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر (بيروت: د.ت.): ج3 / ص52.

(5) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر(بيروت: د.ت.) :ج7 / ص456 .

(6) ابن كثير، البداية والنهاية: ج5 / ص296 .

(7) ياقوت الحموي، معجم البلدان:ج5 /ص234 ؛ السمهودي، وفاء الوفا:ج1 / ص 161؛ ج3 /ص1076؛ ولفنسون ،تاريخ اليهود، ص14 .

(8) ياقوت : المصدر نفسه: ج5 / ص 234؛ ابن منظور، لسان العرب، ج 5 / ص423 .

(9) السمهودي، وفاء الوفا: ج3 / ص 1077؛ دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص116.

(10) السمهودي ،المصدر نفسه: ج4 / ص118.

(11) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 34.

(12) ابن هشام، السيرة النبوية: ج 4/ ص 201؛ أبو محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك دار الكتب العلمية (بيروت: د. ت.): ج 2/ ص 101.

النضير بصلة قربى وثيقة كونهم أبناء عمومة[1]، وارتبط بنو قريظة بأحلاف مع قبيلة الأوس أثناء حروبهم مع الخزرج حالهم في ذلك حال أبناء جلدتهم من بني النضير، وكان آخرها حرب بعاث[2] بين القبيلتين[3].

ثالثاً: بنو قينقاع

تشير المصادر العربية الإسلامية إلى ارتباط نسب قبيلة بني قينقاع اليهودية بالنبي يوسف عليه السلام[4]، وقد سكنت هذه القبيلة في وسط المدينة [5]، ولهم فيها سوق من أسواق المدينة، وتقع منازلهم عند منتهى جسر بطحان مما يلي منطقة العالية[6]، على العكس من يهود بني النضير وبني قريظة الذين سكنوا في مناطق الأطراف من يثرب [7]، وقد تميزوا عن غيرهم من يهودها من حيث الانعزال وعدم الاختلاط، إذ إنهم كانوا جماعة منغلقة على نفسها في حيها الخاص[8]، كما أنهم لم يمتهنوا العمل في الزراعة وتربية المواشي كغيرهم من اليهود، ولم يمتلكوا الأراضي الزراعية في يثرب [9]، وعلى الرغم من ذلك فإنهم كانوا من أغنى القبائل اليهودية نتيجة ممارستهم العمل في الصناعة والتجارة، لاسيما صناعة المجوهرات والحلي الذهبية[10].

---

(1) ابن هشام، المصدر نفسه: ج 4/ص 197؛ السمهودي، وفاء الوفا: ج 1/ ص 163؛ ياقوت، معجم البلدان: ج5/ ص 234.

(2) حرب بعاث: هي الحرب التي وقعت بين الاوس والخزرج في المدينة قبل البعثة النبوية، ظفر فيها الخزرج، ولما علم الخزرج بان اليهود من بني قريظة والنضير قد عزموا على محالفة الأوس أرسلوا اليهم رسولاً يبلغهم بأن تعتزلوا الحرب ويخلوا بينهم وبين الأوس، وإلا تحالفوا مع من هم اكثر عدد وأقوى، فتدور الدائرة عليهم، فاضطروا إلى اعتزال الحرب. ينظر: دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 164.

(3) ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص63-.68

(4) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: ج7 / ص ؛129السمهودي ،وفاء الوفا: ج1 / ص.164

(5) ولفنسون ،تاريخ اليهود، ص ؛128 علي، المفصل في تاريخ العرب: ج6 / ص.524

(6) السمهودي، وفاء الوفا: ج1/ص.164

(7) ياقوت ،معجم البلدان: ج5 / ص.290

(8) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص ؛128 علي ،المفصل في تاريخ العرب: ج6 /ص524 .

(9) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تاريخ الشعوب الإسلامية، ،ط.12 ترجمة: نبيه فارس وآخر، دار العلم للملايين (بيروت: 1993م)، ص42 .

(10) ولفنسون ،تاريخ اليهود، ص.128

أما أعدادهم في يثرب، فقد أشارت بعض المصادر إلى أنها بلغت سبعمئة رجل بالغ في صدر الإسلام[1]، وكانوا على عكس أبناء جلدتهم من بني قريظة وبني النضير حلفاء الأوس في تحالفاتهم، إذ ارتبطوا في أحلاف مع قبيلة الخزرج، واشتركوا معها في حروبها ضد الأوس وحلفائها من يهود بني النضير وبني قريظة[2].

لم يقتصر الوجود اليهودي في الحجاز بشكل عام ويثرب بشكل خاص على القبائل الثلاثة آنفة الذكر، التي كانت القوة الاقتصادية في المدينة بأيديها من حيث امتلاك معظم الأراضي الزراعية من جهة، والاموال نتيجة العمل بالصياغة والتجارة والمرابة من جهة أخرى بل كانت هناك العديد من العشائر والبطون الصغيرة، إذ وصل عددها حسبما أشارت المصادر التاريخية إلى خمس وعشرين عشيرة، كانت موزعة على مناطق يثرب المختلفة[3]، فضلاً عن قبائل يهودية أخرى توزعت على مختلف أنحاء الحجاز كخيبر وتيماء ووادي القرى وفدك[4] والطائف، وفي مناطق ساحل البحر الأحمر[5].

رابعاً: يهود خيبر

اعتاد اليهود على السكن في المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية، بحكم عقليتهم التجارية المتميزة، فكانت خيبر واحدة من مدن الحجاز التي تلي يثرب في الأهمية، من حيث وقوعها على طريق الشام، وعلى بعد 165 كم إلى الشمال من يثرب[6]، فسكنها اليهود، وتمتعوا بالقوة والمنعة، وعلى الرغم من عدم معرفة التاريخ الدقيق لاستيطان اليهود فيها بسبب عدم إشارة المصادر التاريخية إلى ذلك، لكن أغلب الظن أن قدومهم إلى خيبر كان عقب سيطرة الرومان على فلسطين

---

(1) ابن هشام ،السيرة النبوية: ج3 / ص ؛315 الطبري ،تاريخ الرسل والملوك: ج2 / ص.49

(2) ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص.69

(3) السمهودي ،وفاء الوفا: ج1 /ص163 ، كيوان، اليهود في الشرق الاوسط، ص63.

(4) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحًا وذلك أن النبي ﷺ لما نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق إلا ثلث واشتد بهم الحصار راسلوا رسول الله ﷺ يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وفعل وبلغ ذلك أهل فدك فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج 4/ ص238.

(5) دراذكه ،العلاقات العربية اليهودية، ص.115

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج2/ص409؛ البغدادي، مراصد الاطلاع: ج1/ ص.494

وطردهم منها في القرن الأول الميلادي [1]، وهذا ما زعمه اليهود حسب ما أشار إليه كيوان[2].

ولم يتعرضوا لأي غزو طيلة استيطانهم في خيبر وحتى العصر الإسلامي، فضلاً عن استقرار الأوضاع فيها، ولم تشهد أي صراعات، كما كان عليه الحال في يثرب[3]، وقد تمتعت خيبر بحصانة كبيرة، نظرًا لما تمتلكه من حصون وقلاع قام اليهود ببنائها فيها[4]، لذلك أصبحت ملاذًا لجميع يهود المدينة المنورة بعد أن أخرجهم الرسول ﷺ منها.

المبحث الثاني: موقف اليهود من الدعوة الإسلامية

لقد تميز موقف اليهود من الدعوة الإسلامية بكونه عدائيًا على طول الخط من بدايتها ومرورها بالمرحلة المكية ثم المرحلة المدينة وحتى وفاة الرسول ﷺ، إلا أن هذا الموقف العدائي كان أكبر وأشد في المرحلة المدنية منه في المرحلة المكية، ويرجع ذلك لأسباب عدة، أهمها القرب والمجاورة التي حدثت بعد هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنورة إثر ازدياد بطش مشركي قريش لهم، مما جعل اليهود في حالة وجل وخوف من نجاح الدعوة وانتشارها، لاسيما بعد أن أدركوا مدى خطورتها عليهم، وأن نجاحها سيقضي على طموحاتهم الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الجزيرة العربية عامة والمدينة المنورة خاصة، فبذلوا كل ما في وسعهم من أجل القضاء على الدعوة الإسلامية، وعلى حياة رسول الله ﷺ بشتى الطرق والوسائل، لذلك كان الموقف اليهودي أشد عداء لها في المرحلة المدنية، مما كان عليه في المرحلة المكية، وبما أن منهجنا منهج تاريخي بحت فإننا سنتناول موقف اليهود من الدعوة وفق التسلسل الزمني مبتدئين بالمرحلة المكية.

أولاً: موقف اليهود من الدعوة الاسلامية في المرحلة المكية

مع نزول الوحي على الرسول محمد ﷺ في جبال مكة، وبدء انتشار الدعوة الإسلامية بين سكانها، تولى زعماء مكة أمر التصدي لها، وقد أشار القرآن الكريم في كثير من المواضع إلى غفلة

---

(1) صالح احمد العلي، الحجاز في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة (بيروت: 1990م)، ص :78 عقاب، العلاقات السياسية بين الانباط، ص 194- 195، 243.

(2) اليهود في الشرق الاوسط، ص 62.

(3) محمد أحمد باشميل، غزوة بني قريظة، دار الفتح (د.م.: 1966م)، ص 49.

(4) جلو، اليهود في المشرق الاسلامي، ص 35.

المشركين عن الحق، وتعنتهم في عدم اتباع الرسول ﷺ، وعدم اكتراثهم به وبرسالته حالهم في ذلك حال كثير من الأقوام السابقة التي كذبت أنبياءها كعاد وثمود وفرعون وبني إسرائيل[1]، وكان لجوء براثنة الشرك من زعماء قريش لليهود، وطلب المساعدة منهم لمحاججته ﷺ ومناظرته واحدة من الوسائل التي اتبعوها، وإن السبب الرئيس الذي كان يقف وراء اختيار قريش لليهود تحديدًا دون غيرهم، يرجع إلى العلاقات التجارية التي ربطت الاثنين معًا، وجعلت قريـــش على معرفة بأحـــوال اليهود، وتيقنهم بأنـــهم قوم أهـــل كتاب وعلى معرفـــة بأخبار الرسالات السماوية والأنبياء وقصصهم، فما كان من اليهود إلا أن لبوا طلبهم[2]، ويرجع هذا الاختيار إلى اقتراح النضر بن الحارث[3]، الذي طرحه على زعماء قريش بعد أن خاطبهم بقوله: ((يا معشر قريش والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله لقد كان محمد فيكم غلامًا حدثًا أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر، لا والله ما هو ساحر قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم شاعر وكاهن لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وسمعنا سمعهم، وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها بهزجه ورجزه وقريضه، وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا المجنون، فما هو بخنقه ولا تخليطه يا معشر قريش انظروا في شأنكم، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم إني لأعلم أنما يقول محمد حق، ولكن بني قصي قالوا فينا الندوة، فقلنا نعم فينا الحجابة، فقلنا نعم فينا السقاية فقلنا نعم)) [4]، وهو من شياطين قريش، ومن أشدهم إيذاءً لهم، فأرسلوه بمعية عقبة بن أبي معيط إلى يهود مدينة يثرب، ويرجع اختيار النضر وعقبة للقيام بهذه المهمة لما يتمتع به النضر من ملكة قصصية تمكنه لاستيعاب ما يمليه عليهم أحبار اليهود، ليقصه على قريش في أنديتها، ويكون قادرًا على مجادلة الرسول ﷺ. أما عقبة فإنه كان كثير العداوة للرسول ﷺ، فضلاً عن علاقاته التجارية وصداقاته التي تمتع بها مع اليهود في المدينة وخيبر[5].

---

(1) مصطفى مسلم، معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، دار المسلم (الرياض: 1994م)، ص30، 31.

(2) ناصر السيد، يهود يثرب وخيبر، المكتبة الثقافية (بيروت: 1992م)، ص 29.

(3) النضر بن الحارث: من شياطين قريش ممن كانوا يؤذون الرسول ﷺ، فأمر بقتله يوم بدر فقتله علي رضي الله عنه. ينظر: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني، الانساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر (بيروت: 1998م):ج3/ ص 110.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية،ج2/ ص138؛ محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية (لبنان: 198م):ج1/ص48.

(5) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 33؛ دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 227.

وصل الوفد القرشي والتقى بأحبار اليهود للاستفسار منهم عن حقيقة الدعوة، وكان هذا الاستفسار ليس من أجل اتباعها، ولكن من أجل الاستفادة من خبث اليهود، ومعرفتهم بأحوال الأمم والأنبياء، عسى أن يخبروهم بمعلومات تساعدهم في تعجيز الرسول ﷺ، ويرجع هذا المشروع إلى معرفة زعماء مشركي قريش بالحقد اليهودي تجاه جميع الأنبياء عليهم السلام، وتكذيبهم لجميع الرسالات من جهة، وإدراك زعماء قريش التام بأن مبعث الرسول ﷺ شكل صدمة لليهود من جهة أخرى، فحاولوا استقلاله ضد الرسول ﷺ ودعوته، إذ إن اليهود كانوا يعيشون على أمل مجيء آخر الأنبياء منهم، ليخلصهم من شتاتهم وتفرقهم بين الأمم، وقد شكل هذا حلمًا كانوا يتوارثونه لعدة قرون، لاسيما يهود الجزيرة العربية، آملين أن يخلصهم من الفرقة والشتات الذي كانوا فيه[1].

لقد جمعت الأهداف والمصالح المشتركة بين اليهود ومشركي قريش في مواجهة الدعوة الإسلامية والسعي من أجل القضاء عليها في مهدها، ونظرًا لما امتلكه اليهود من معلومات تتعلق بالديانات السماوية وأخبار الأنبياء عليهم السلام، فقد زودوا النضر بن الحارث وعتبة بن أبي معيط ببعض الأسئلة كي يطرحوها على الرسول محمد ﷺ من أجل تعجيزه[2]، وقد أورد ابن سعد هذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ((بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وغيرهما إلى يهود يثرب، وقالوا لهم سلوهم عن محمد، فقدموا المدينة فقالوا أتيناكم لأمر حدث فينا، منا غلام يتيم يقول قولاً عظيمًا يزعم أنه رسول الرحمن، قالوا صفوا لنا نعته، فوصفوا لهم، قالوا: فمن تبعه منكم، قالوا: سفلتنا، فضحك حبر منهم، فقال: هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة))[3]، وبعد مناقشة مستفيضة بين أحبار اليهود والوفد القرشي، طلب منهم الأحبار أن يوجهوا للرسول ﷺ ثلاثة أسئلة، وقالوا لهم إن أجابكم، فهو حقًا نبي مرسل من الله، وإن لم يجب على هذه الأسئلة، فالرجل متقوّل، فروا فيه رأيكم: اسألوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب، واسألوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وإسألوه عن الروح، ما هي ؟ فإن أخبركم بها فإنه نبي فاتبعوه ولا تترددوا، وإن لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم[4].

---

(1) عبد الله الشقاري، اليهود في السنة المطهرة، دار طيبة (الرياض: 1996م): ج1/ص188.

(2) مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم (دمشق: د.م.)، ص189.

(3) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر (بيروت: 1993م): ج3 / ص579.

(4) مسلم، مباحث في التفسير، ص189.

عندما عاد الوفد القرشي إلى مكة أقبلا على قريش، فقالا لهم: ((يـا معشـر قريـش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبـار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاؤوا رسول الله ﷺ، فقالوا يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم غدًا عما سألتم عنه، ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة، وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة، قد أصبحنا فيها لا يخبرنا فيها بشيء عما سألناه عنه، حتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبة إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف))[1]، وقول الله عز وجل ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ ﴾[2] لقد جاءت الإجابات الكافية في سورة الكهف على جميع أسئلتهم.

لقد سر ذلك أنصار الرسول ﷺ في يثرب كثيراً، وذلك لعلمهم ومعرفتهم التامة بمكر اليهود ونفاقهم، لاسيما وهم القريبون منهم والمتعايشون معهم، فكانوا يدركون تمامًا أهدافهم في التعاون مع مشركي مكة، وتشكيكهم بنبوة الرسول ﷺ، من أجل طمس نور الحق بتلقينهم للمنهج التعجيزي والتأكيد على استخدامه في محاجة الرسول ﷺ، لإطفاء نور الله، ولكن الله أفحمهم ورد كيدهم بنزول سورة الكهف التي أجابت على جميع تساؤلاتهم التعجيزية[3].

وعلى الرغم من عدم ذكر اليهود بشكل صريح في سورة الكهف، إلا أنهم فهموا أنهم قد عرض بهم فيها، لذلك جادلوا الرسول ﷺ عندما هاجر إلى المدينة، ولم تكتفِ قريش بإرسال الوفود إلى اليهود، بل كانت تستفيد من قدوم تجار اليهود إلى مكة للمتاجرة، أو مع القوافل التي تمر عليهم وهي في طريقها إلى الشام، وعلى الرغم من ذلك لم يهتم اليهود كثيراً بأمر الدعوة الإسلامية لأنها بعيدة عنهم، إذ لم يكن لها أثر على حياتهم في المدنية آنذاك، أو على علاقاتهم التجارية مع قريش، وإنما كان جل اهتمامهم منصب على الحفاظ بعلاقاتهم الطيبة مع أهل مكة، الذين آثروا عدم التدخل في الصراعات الدائرة في المدينة سواء بين اليهود والقبائل العربية أو بين اليهود أنفسهم[4].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج3/ ص 73.

(2) سورة الأسراء: الاية 85.

(3) أبو الحسن الندوي، تأملات في سورة الكهف، دار القلم (د.م: د. ت.)، ص46؛ مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص189؛ معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، ص61.

(4) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 34.

عندما عاد الوفد القرشي إلى مكة أقبلا على قريش، فقالا لهم: «يــا معشـــر قريـــش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبـــار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاؤوا رسول الله ﷺ، فقالوا يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم غدًا عما سألتم عنه، ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة، وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة، قد أصبحنا فيها لا يخبرنا فيها بشيء عما سألناه عنه، حتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبة إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف»[1]، وقول الله عز وجل ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ ﴾[2] لقد جاءت الإجابات الكافية في سورة الكهف على جميع أسئلتهم.

لقد سر ذلك أنصار الرسول ﷺ في يثرب كثيراً، وذلك لعلمهم ومعرفتهم التامة بمكر اليهود ونفاقهم، لاسيما وهم القريبون منهم والمتعايشون معهم، فكانوا يدركون تمامًا أهدافهم في التعاون مع مشركي مكة، وتشكيكهم بنبوة الرسول ﷺ، من أجل طمس نور الحق بتلقينهم للمنهج التعجيزي والتأكيد على استخدامه في محاججة الرسول ﷺ، لإطفاء نور الله، ولكن الله أفحمهم ورد كيدهم بنزول سورة الكهف التي أجابت على جميع تسائلاتهم التعجيزية[3].

وعلى الرغم من عدم ذكر اليهود بشكل صريح في سورة الكهف، إلا أنهم فهموا أنهم قد عرض بهم فيها، لذلك جادلوا الرسول ﷺ عندما هاجر إلى المدينة، ولم تكتفِ قريش بإرسال الوفود إلى اليهود، بل كانت تستفيد من قدوم تجار اليهود إلى مكة للمتاجرة، أو مع القوافل التي تمر عليهم وهي في طريقها إلى الشام، وعلى الرغم من ذلك لم يهتم اليهود كثيراً بأمر الدعوة الإسلامية لأنها بعيدة عنهم، إذ لم يكن لها أثر على حياتهم في المدنية آنذاك، أو على علاقاتهم التجارية مع قريش، وإنما كان جل اهتمامهم منصب على الحفاظ بعلاقاتهم الطيبة مع أهل مكة، الذين آثروا عدم التدخل في الصراعات الدائرة في المدينة سواء بين اليهود والقبائل العربية أو بين اليهود أنفسهم[4].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج3/ ص 73.

(2) سورة الأسراء: الاية 85.

(3) أبو الحسن الندوي، تأملات في سورة الكهف، دار القلم (د.م: د. ت.)، ص46؛ مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص189؛ معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، ص61.

(4) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 34.

عندما تمت بيعة العقبة الأولى في السنة الحادية عشرة للبعثة النبوية /622م[1]، لم يهتم اليهود بها كثيراً، وما تم خلالها من مبايعة ستة أشخاص من الأوس والخزرج للرسول ﷺ وربما يرجع ذلك إلى أنهم لم يكونوا من زعماء الأوس والخزرج أو من الشخصيات ذات الأثر والنفوذ الكبير في قبائلهم من جهة، وقلة عددهم من جهة أخرى، فضلاً عن السرية التي التزموها أثناء دعوتهم[2]، إلا أن التطورات التي حدثت في بيعة العقبة الثانية في السنة الثانية عشر للبعثة /623م، من حيث زيادة عدد المبايعين من جهة، وانضمام كل من الأوس والخزرج إليها على حدٍّ سواء من جهة أخرى[3]، نبهت اليهود إلى ما يدور حولهم، فبدأ موقفهم يتسم بالقلق، وأخذوا يترقبون ما يحدث بحذر شديد، لاسيما بعدما أرسل الرسول ﷺ مصعب بن عمير ﷺ إلى المدينة ليعلمهم أمور دينهم، ولا يستبعد حدوث بعض المناقشات بينه وبين اليهود

حول الإسلام واليهودية، وربما كان قيام البراء بن معرور بالتوجه إلى مكة بدلاً من بيت المقدس من نتائج تلك المناقشات، إلا أن الرسول ﷺ رده عما قام به[4] قائلاً: ((كنت على قبلة لو صبرت عليها))[5].

وقد أشار الدكتور ناصر السيد إلى أن موقف اليهود كان متباينًا، إذ انتهى حالهم قبل الهجرة إلى ثلاث فئات منها المراقب للأحداث وما ستؤل إليه من نتائج، ومنها من يضمر العداء للرسول ﷺ. أما الفئة الثالثة فتمثلت بالمتذمرين، مما وصلت إليه حال اليهود من فساد فوجدوا بالدين الجديد مخلصًا لهم مما هم فيه، وهي أقل الفئات عددًا[6].

ثانياً: التعامل النبوي مع اليهود في دولة المدينة

بعد هجرة الرسول ﷺ ووصوله إلى المدينة في سنة 622م انتقلت الدعوة الإسلامية إلى مرحلة جديدة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية الفتية، حيث بدأت تتبلور فيها معالم الدولة الأولى، التي اعتمدت في قيامها على مبدأ الإخاء الإسلامي بين المسلمين على اختلاف قبائلهم وألوانهم، فأصدر

---

(1) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 173.

(2) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 37.

(3) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 177-188.

(4) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 38-39.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية: ج2/ ص288.

(6) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 40.

الرسول الكريم ﷺ وثيقة المدينة التي مثلت أول دستور إسلامي نظم خلالها العلاقات بين سكانها على اختلاف أطيافهم من مسلمين ويهود، فقد كان التعايش بين مختلف الطوائف المحور الاساس لهذا الدستور الذي ركز عليه كثيراً، إذ اهتم بتنظيم العلاقات بين المسلمين من جهة، وأصحاب الاديان الأخرى من جهة ثانية، لاسيما ما يتعلق بالحرية الدينية[1] فاشتملت وثيقة المدينة أو ما عرف بدستورها على خمسين بندًا، اختص خمسة وعشرون بندًا منها بالمسلمين، بينما اختص سبعة وعشرون بندًا بالعلاقة بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى، لاسيما اليهود. وقد وضعه الرسول ﷺ بشكل يضمن لهم العيش مع المسلمين بحرية، كما منحهم حرية إقامة شعائرهم وطقوسهم الدينية دون أي مضايقات[2].

عزز دستور المدينة وحدة المسلمين واليهود في المدينة والقبائل العربية فيها ضد أي خطر خارجي، وأصبح الرسول الكريم ﷺ بموجبه هو الحاكم السياسي والإداري والعسكري للمدينة، والمرجع الوحيد لحل الخلافات التي قد تنشب بين أطراف التحالف، وكان الاعتراف السياسي بقيادته اعترافًا ضمنيًا بنبوته[3]، ويطول الحديث عن دستور المدينة بكل جوانبه، إلا أن ما يعنينا منه، البنود التي تتعلق باليهود، والتي اتضح من خلالها التسامح الاسلامي تجاههم وبشكل جلي، لذا فإننا سنركز عليها بحكم تخصص هذا الكتاب.

يتضح الموقف المتسامح للرسول ﷺ تجاه اليهود، والداعي إلى التعايش بين المسلمين واليهود والقبائل العربية التي لم تكن تعتنق الإسلام، إذ كان التعايش بين مختلف الطوائف في الدولة العربية الإسلامية الناشئة واحدًا من أهم الأهداف التي سعى إلى تحقيقها الدستور الإسلامي[4]، وتمثلت بنود الدستور المدني التي تتعلق بموادعة اليهود بالتالي:

ما يخص موادعة اليهود كما يأتي:

1. إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

---

(1) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 190-194.

(2) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 40.

(3) كامل سلامة الدقس، دولة الرسول صلى الله عليه وسلم من التكوين إلى التمكين، دار عمار (عمان:1994م)، ص 420.

(4) محمد عبد القادر أبو فارس، النظام السياسي في الإسلام، محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان (د.م.: 1986م)، ص65.

2. كما جعل ليهود بني ثعلبة ذات الحقوق التي منحها ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

3. كما حدد نفقة كل منهم فعلى اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

4. وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة – الدستور - أي أن ينصر بعضهم بعضًا في حالة تعرض كل منهم لعدوان.

5. كما نص على أن يكون بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، فالأصل في العلاقة بين جميع طوائف الدولة - مهما اختلفت معتقداتهم- هو النصح المتبادل، والنصيحة التي تنفع البلاد والعباد، والبر والخير والصلة بين هذه الطوائف.

6. وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصلحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

7. وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة – الدستور - مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

8. وإنه لا يحول هذا الكتاب – الدستور - دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ[1].

في الحقيقة إن مجمل ما ورد في البنود السابقة الذكر، قد كفلت حق اليهود في العيش بسلام وأمن في ظل الدولة العربية الإسلامية، إذ التزموا بها ولم ينقضوها، فقد كلفوا في الدفاع عن المدينة إلى جانب المسلمين، إذا ما تعرضت لخطر خارجي يهددها، وكل منهم مسؤول في الدفاع عما يقابل حصنه، ويرد أي خلاف ينشأ بينهم وبين بقية سكان المدينة من مسلمين ومشركين إلى الرسول ﷺ لإنصاف المظلوم منهم، كما منحهم حرية عقد الأحلاف والصلح مع أي جهة باستثناء من يحاربون الله ورسوله، كما أنها جعلت اليهود ضمن الحرم الذي أقر للمدينة باستثناء الظلمة منهم والآثمين، وفي ذات الوقت منحت الوثيقة حق الخروج من المدينة لمن لا يستطيع الالتزام ببنودها المذكورة، وجعلته مخيراً لمن يرى أن لا قبل له بحرب قريش أو لا شأن له في حربها، وقد هدف الرسول ﷺ من هذا البند قطع الطريق على من قد تحوله المصالح الشخصية إلى عين لقريش على المسلمين

(1) للمزيد من التفاصيل عن وثيقة المدينة وما منحه الرسول ﷺ لليهود من حقوق وما فرضه عليهم من واجبات ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج3/ ص31-35.

في المدينة، فيخرجون ويدخلون إليها دون رقابة، كما أن الذي يمكن ملاحظته من هذه الوثيقة أن الرسول ﷺ لم يلزم اليهود أو الأنصار بالخروج في السرايا الأولى التي أرسلها لاعتراض قوافل قريش بل حصرها في المهاجرين لأنهم هم من تضرر من قريش التي أخرجتهم من ديارهم وصادرت أموالهم[1].

لقد قابل اليهود تسامح الرسول ﷺ وحسن تعامله معهم بالجحود، ويعد توماس أرنولد[2] من المستشرقين الذين وصفوا موقف اليهود المتعنت وجحودهم، إذ يقول: ((وقد حاول محمد استرضاءهم بوسائل أخرى كثيرة، فدأب على الاستشهاد بكتبهم المقدسة، ومنحهم الحرية التامة في إقامة شعائرهم الدينية، وساوى بينهم وبين المسلمين في الحقوق السياسية، ولكنهم قابلوا صنيعه باستهزاء وسخرية))، وهذا ما سنفصل الحديث عنه في المبحث اللاحق.

ثالثاً: موقف اليهود من الدعوة الإسلامية في المرحلة المدنية

على الرغم من معرفة اليهود التامة بصدق الرسالة التي نزلت على الرسول الكريم محمد ﷺ، وأنه خاتم الانبياء والمرسلين، كما ورد في الكتب السماوية، إلا أن عنادهم وتعنتهم واستكبارهم وحقدهم على الرسول ﷺ والذين آمنوا معه، كان السبب في عدم إيمانهم، فاستمروا في جدالهم وخصامهم، وقد قدم لنا القرآن الكريم في مواضع كثيرة صورة واضحة عن الجدل الصريح بين اليهود والرسول ﷺ، وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على امتداد حاضرهم بتاريخهم، وجاءت هذه الصور لتعير اليهود بمواقفهم السابقة في العصور السالفة مع أنبيائهم وعلى الرغم من وجود كثير من صور الجدل والتعنت في توراتهم، التي أنكرت ما كانوا يقومون به، إلا أنهم كانوا يرون أن كتابهم المقدس الذي ضم في طياته تاريخهم وقصص أنبيائهم كتاب مقدس. أما القرآن فينظرون إليه على أنه كتاب محمد ﷺ وأصحابه، لذلك كان هجاؤه وتعييره لهم أشد وقعًا في نفوسهم، وعندما كان القرآن ينزل كان كل من يقرأه يعلم أن آياته تشير إلى أناس أحياء من اليهود منهم الأحبار والزعماء، ممن أمعنوا في الجدال والإعراض عن الإسلام فيجاريهم الرسول ﷺ وأصحابه، ويخالطونهم رغم تعنتهم ولجاجتهم، ويردون عليهم بما يأتي به الوحي[3].

---

(1) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 58-59.

(2) الدعوة إلى الإسلام، ط3، ترجمة: حسن ابراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة: 1970م)، ص 47.

(3) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 60.

لقد أشار الدكتور عماد الدين خليل إلى أن السبب الرئيس للعداء اليهودي تجاه الرسول ﷺ وبغضهم الكبير له، يرجع إلى أنهم كانوا يتوقعون أن النبي الذي سيبعث منهم، وإنهم سيتبعونه ليقودهم ويقضي على أعدائهم، وهذا ما كانوا دائما يتوعدون به العرب بقرب حدوثه فلما بعث الرسول ﷺ من بين العرب، ازداد حقدهم وحسدهم، فأخذوا يكيدون ويدبرون المؤامرات والمكائد للرسول ﷺ ودعوته وأصحابه، وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي قام بها الرسول ﷺ لكسبهم وتألف قلوبهم من خلال الدستور الذي وضعه والمعاملة الحسنة، إلا أنهم بقوا على موقفهم العدائي[1].

وسنقدم في هذا المبحث العديد من الأمثلة على ذلك، وتعد رواية السيدة صفية بنت حُيَي بن أخطب زوج الرسول ﷺ خير دليل على ما ذكرناه آنفا، حيث قالت: ((كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين، قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالّين كسلانَين ساقطَين يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم، قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب أهو هو، قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته، قال: نعم، قال: فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت))[2]. أما حيي بن أخطب والد صفية بنت حيي، فأعلن العداوة بشكل صريح للرسول ﷺ وأصحابه، وبقي على هذا الحال حتى قتل حيي بين يدي الرسول ﷺ يوم الحرب مع بني قريظة[3].

ولم يكن الموقف العدائي لليهود تجاه الرسول ﷺ مقتصرًا على هذين الزعيمين اليهوديين فقط، بل كان عامة زعماء اليهود وأحبارهم على نفس المنوال، وهذا ما أكده ابن هشام[4] ((ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله ﷺ العداوة بغيًا وحسدًا وضغنًا لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم، وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عسى على جاهليته)).

---

(1) دراسات في السيرة، دار النفائس (بيروت: 1974م)، ص 321.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية: ج3/ص52.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية: ج 3/ ص 212.

(4) السيرة النبوية: ج 3 / ص46.

سعى اليهود إلى تشويه صورة الرسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، من خلال الحرب الإعلامية التي شنوها ضدهم في المدينة، من أجل تفريق الناس من حوله وعدم اتباعه، لأنهم أدركوا خطورة الدعوة الإسلامية التي كانت تشكل مصدر قلق لهم، خشية على مصالحهم الاقتصادية من جهة، وعلى عقيدتهم المحرفة القائمة على التمييز والعنصرية من جهة أخرى[1] فأخذوا بمجادلة الرسول ﷺ والتشكيك بنبوته، ولما يأسوا من ذلك توجهوا إلى اتباع وسيلة جديدة من وسائلهم الخبيثة، وهي تمزيق وحدة المسلمين، من خلال بث روح العداوة والبغضاء فيما بينهم وإذكاء الفتن الداخلية، وإحياء النعرات القومية والقبلية، كإحياء أيام حرب بعاث بين الأنصار من الأوس والخزرج لإعادتهم إلى الجاهلية، وإثارة حروبها من جديد، مما يؤدي إلى خسارة الرسول محمد ﷺ وإضعاف الجبهة الداخلية للمسلمين [2].

كاد اليهود أن ينجحوا في مسعاهم باستثارتهم للأنصار لولا تأييد الله لرسوله الكريم ﷺ وقيادته الناجحة في إدارة الازمة، التي نجحت في إفشال المخططات اليهودية الهادفة إلى إضعاف وحدة الصف المسلم وتمزيقه، فما أن شعر الرسول ﷺ بخطورة الموقف حتى أسرع إلى أصحابه الأنصار ﷺ وذكرهم بطاعة الله ورسوله، ونهاهم عن العودة إلى ما كانوا عليه في الجاهلية، ودعاهم إلى تطهير نفوسهم من الضغائن والأحقاد، ورص الصف، فتأثروا بكلمات الرسول ﷺ وأدركوا أن ما كادوا أن يعوا فيه ما هو إلا نزغ من الشيطان وكيد اليهود، فندموا على ما وقعوا فيه، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يستغفر لهم[3].

لم يكتفِ أحبار اليهود في إثارة النزاعات بين المسلمين، بل اتجهوا إلى أسلوب آخر وهو إضعاف إيمانهم من خلال الطعن بعقيدتهم، بالتهجم على الذات الإلهية، وخير مثال على ذلك الموقف الحازم لأبي بكر الصديق ﷺ من فنحاص _ أحد أحبار اليهود _ ومجموعة من أحبار اليهود أثناء اجتماعهم[4]، عندما خاطب الصديق الحبر فنحاص قائلاً: ((ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدًا رسول الله تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة))[5]، ولكن

---

(1) أبو فارس، الصراع مع اليهود، دار الفرقان (د.م.: 1990م): ج1/ص31.

(2) المرجع نفسه: ج31/1: ص 41.

(3) عبد العزيز الحميدي، التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، دار الدعوة، (الإسكندرية: د.ت.): ج4/ص41- 42.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية:ج1/ ص558، 559.

(5) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر (بيروت: د. ت.): ج1/ ص406.

فنحاص أجابه بأسلوب نم عن خبث وتعنت قائلا: ((إنما يستقرض الفقير من الغنى فالله فقير ونحن أغنياء))[1]، فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضربًا شديدًا، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك أي عدو الله، وعندما اشتكى فنحاص أبا بكر ﷺ للرسول ﷺ، سأله الرسول ﷺ ((ما حملك على ما صنعت))، أجاب أبو بكر: ((يا رسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيمًا، إنه يزعم أن الله فقير، وأنهم أغنياء، فلما قال ذلك: غضبت لله مما قال، وضربت وجهه))، فأنكر فنحاص ذلك، فنزلت الاية الكريمة مؤيدة لأبي بكر: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[2].

لقد ذكر الله في محكم كتابه وفي مواضع عدة مكر اليهود وسوء أدبهم مع الله وتطاولهم على ذاته، وعدم تنزيهه ووصفه بما لا يليق بجلاله، وترجع هذه التصرفات اليهودية وموقفهم المخزي إلى الامتعاض والسخط مما حققه الرسول ﷺ من نجاح في نشر الدعوة وكسب الكثير من الاتباع والمؤيدين المؤمنين برسالته، وترك حلفائهم لهم وانحيازهم للرسول ﷺ، مما أضر بمصالحهم الاقتصادية كثيرًا[3].

لم يسلم شخص الرسول الكريم ﷺ من إساءة اليهود إليه، سواء في غيابه أو وجوده لاسيما أنهم معتادون على أسلوب اللمز الذي تميزوا به عن غيرهم، فضلاً عن أسلوب الإيذاء الكلامي، ومن هذه الأمثلة على ذلك تحيتهم له وتهجمهم عليه، فكانوا يقولون للرسول ﷺ عند إلقاء التحية عليه السامّ عليك يا أبا القاسم، بدلاً من السلام عليك (والسامّ هو الموت)[4]، فرد عليهم الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[5]

تدل جميع مواقف اليهود التي قاموا بها على عجزهم وضعفهم، ومدى الوهن الذي وصلوا

---

(1) محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ط4، دار الكتاب العربي (لبنان: 1983م): ج 1/ ص126

(2) سورة آل عمران: الاية: 181.

(3) محمد علي الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، الشبكة الليبة (ليبيا: د.ت.) ج1/ص295.

(4) ابن الجوزي، زاد المسير: ج8/ص189؛ الكلبي، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: ج4/ص103.

(5) سورة المجادلة: الاية: 8.

إليه، فلجؤوا إلى التظاهر بالسلام، وحسن النية وهذه إحدى وسائلهم الخبيثة[1]، ولم يتوقف الامر على الإساءة إلى الرسول الكريم ﷺ وحده، بل تعداه إلى بقية الرسل والأنبياء عليهم السلام ويتضح موقفهم هذا من خلال سؤالهم للرسول ﷺ عن الرسل الذين يؤمن بهم، فأجابهم ﷺ: ((نؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون))، فلما ذكر السيد المسيح عليه السلام، وقالت اليهود: إننا لا نؤمن بعيسى ابن مريم، ولا نؤمن بمن آمن به[2]، فأنزل الله فيهم ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[3].

وما أن يئِسَ اليهود من تحقيق مبتغاهم من خلال التهجم والتشكيك بالرسالة ورسولها وإضعاف عقيدة المسلمين، حتى انتهجوا أسلوبًا جديدًا، لم يكن أقل خطرا مما ذكرنا آنفًا، وهو التآمر مع المنافقين ودعمهم، إذ مثل اليهود القيادة الفكرية للمنافقين، فهم من كان يخطط لهم ويوجههم، ويعلمهم جميع أساليب الخداع والمكر والدهاء، وقد أشار تعالى في محكم كتابه إلى تآمرهم، فقال: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[4]، كما أنهم كانوا من أشد المحرضين للمنافقين من أجل إشعال الحرب ضد الرسول ﷺ، إذ إن حقدهم على الرسول ﷺ جعلهم يتعاونون مع مشركي الأوس والخزرج، ثم استمر التعاون فيما بينهم بعد أن دخل هؤلاء المشركون في الإسلام ظاهريًّا بعد انتصار المسلمين في معركة بدر سنة 2هـ/623م، إلا أنهم ظلوا يضمرون الشرك والعداوة للدعوة الإسلامية، لذلك انعقد تحالف ضمني بين اليهود ومنافقي المدينة الذين استغلوا صلاتهم بأبناء قومهم من الأنصار، واستفادوا من تظاهرهم بالإسلام ليتحولوا إلى وسط ناقل للإشاعات والدسائس التي تستهدف تمزيق وحدة الأمة والتشكيك برسالة الإسلام[5].

كما بذل اليهود كل ما في وسعهم لصد الرسول ﷺ عن الدعوة للإسلام في مجالسهم، كما أنهم اغتاظوا كثيرًا من أبناء جلدتهم ممن دخلوا الإسلام، فشككوا بهم واتهموهم باطلاً،

---

(1) محسن عبد الناظر، حوار الرسول مع اليهود، ط2 (د.م.: 1992م)، ص101.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية: ج1/ص567؛ الشقاري، اليهود في السنة المطهرة:ج1/ص242، 243.

(3) سورة المائدة، الاية: 59.

(4) سورة النساء، الايات: 138-139.

(5) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 149-150.

ولاسيما أحبارهم كعبد الله بن سلام ﷺ، الذي التقى بالرسول ﷺ وحاوره وطرح عليه ثلاثة أسئلة، قائلاً للرسول ﷺ لا يعلم جوابهن إلا نبي، فقال: ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟ فأجابه الرسول الله ﷺ قائلاً: ((خبرني بهن آنفا جبريل))، فقال عبد الله بن سلام ﷺ: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال الرسول ﷺ: ((أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة:فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبقه ماؤها كان الشبه لها))، فما كان من عبد الله إلا أن دخل الإسلام وآمن بالرسول ﷺ، وبما أنه على معرفة كبيرة بخداع اليهود وخبثهم وعنادهم، فخاطب الرسول ﷺ قائلاً: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، وعندما جاء اليهود إلى الرسول دخل عبد الله البيت، فقال الرسول ﷺ: ((أي رجل فيكم عبد الله بن سلام))، فقالوا له: هو أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا، فقال الرسول ﷺ: ((أفرأيتم إن أسلم عبد الله))، فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عليهم عبد الله قائلاً: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقالوا: إنه شرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه[1].

لم يترك اليهود وسيلة إلا واستخدموها ضد الرسول ﷺ وأصحابه، وكانت الإشاعات المقرضة واحدة منها، فكانوا يتحينون الفرصة تلو الأخرى للنيل من الرسول الكريم ﷺ وأصحابه وتفريق كلمتهم، فاتخذوا من حادثة وفاة أسعد بن زرارة الأنصاري الخزرجي ﷺ، الذي مرض فعاده، وأمر بكيه على عنقه لغرض العلاج، ولما مات، فقال الرسول ﷺ: ((بئس الميت لليهود، يقولون: قد داواه صاحبة أفلا نفعه))[2]، ومن الإشاعات اليهودية الأخرى التي ادعوها، بأنهم سحروا المسلمين، فلا يولد لهم ولد أبدًا، وذلك من أجل التضييق على المسلمين وإفساد حياتهم، وتعكير جو الوئام الذي ساد حياتهم التي عاشوها في ظل الإسلام، ولكن الله أخزى اليهود بولادة عبد الله بن الزبير ﷺ - أول مولود للمهاجرين في المدينة - وكذب إدعاءاتهم[3].

(1) للمزيد من التفاصيل عن القصة ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: ج 11/ص374.

(2) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مسند الشامين، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة (بيروت: 1984م)؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج6/ص 172.

(3) الشقاري، اليهود في السنة المطهرة: ج1/ص265.

عندما جاء الأمر الإلهي بتغير القبلة من بيت المقدس الذي اتخذه الرسول ﷺ عندما هاجر إلى المدينة المنورة، والتوجه في الصلاة نحو الكعبة بعد سبعة عشر شهرًا من التوجه إليها[1]، وفي هذه الحادثة ظهرت سفاهة اليهود وبهتانهم لاعتراضهم على تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة، كما مثلت هذه الحادثة حدًّا فاصلاً بين حرب المنظرات والجدال الكلامي إلى الصدام المسلح، كانت نتيجته إجلائهم من المدينة المنورة.

(1) فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية (بيروت: 2000م): ج4/ص84.

الفصل



الصدام المسلح مع اليهود في العهد النبوي

- المبحث الأول : سياسة الرسول ﷺ مع القبائل اليهودية
- المبحث الثاني:التعامل النبوي مع اليهود في بقية أنحاء الجزيرة العربية
- المبحث الثالث : سماحة الرسول ﷺ مع اليهود

الفصل

3 الصدام المسلح مع اليهود في العهد النبوي

بعد النصر الذي حققه المسلمون على كفرة قريش ومردتها في معركة بدر سنة 2هـ/623م، بدأت مخاوف اليهود في المدينة تزداد، ومن أجل إضعاف عزيمة المسلمين والحط من شأن انتصارهم، أخذ أحبارهم بالتشكيك في أهمية هذا الانتصار، فرأى الرسول ﷺ ضرورة وضع حد لهذه التصرفات العدائية، إلا أن التزامه في الحفاظ على العهود والمواثيق التي قطعها للقبائل اليهودية، جعلته غير راغب في قتالها جميعًا، ولابد من حصر المواجهة فيمن ينقض العهود والمواثيق فقط، ولم يحاول أن يمد صراعه مع إحداها ليشمل بقية القبائل الاخرى طالما بقيت على الحياد، على الرغم من إدراكه التام للمشاعر السلبية التي كان يحملها تجاهه اليهود كافة، هكذا بدأ الصدام والصراع المسلح مع يهود بني قينقاع في سنة 2هـ/623م لينتهي مع يهود بني قريظة سنة 6هـ/627م[1]، حيث تمت تصفية الوجود اليهودي في المدينة، لذلك سنتناول الصراع المسلح مع يهود المدينة كل على حدة وحسب التسلسل الزمني، ووفقًا لذلك سنتناول الصدام مع بني قينقاع أولاً

المبحث الأول: سياسة الرسول ﷺ مع القبائل اليهودية

أولاً: الصراع المسلح مع بني قينقاع

يعد بنو قينقاع أول من نقض العهود والمواثيق مع الرسول ﷺ من القبائل اليهودية في المدينة، وتحدوه من أجل المواجهة في ساحات القتال[2]، وكانوا حلفاء للخزرج ومن أشجع اليهود[3]، وقد ارتبطوا باتفاق مع الرسول ﷺ بعد الهجرة وعاهدوه على ألا يحاربوه، ولا يوالوا عليه عدوه،

(1) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 256.

(2) الطبري ،تاريخ الرسل والملوك: ج 2/ص48.

(3) ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص.69

بعد أن ألحقهم بحلفائهم من الأوس، وجعل بينه وبينهم أمانًا [1]، إلا أنهم لم يلتزموا بالاتفاق المعقود، فنقضوا العهد، وأظهروا البغي والحسد للمسلمين، وقطعوا ما كان بينهم واتضح ذلك بشكل جلي بعد انتصار المسلمين في معركة بدر سنة 2هـ/623م، فعندما أرسل الرسول ﷺ زيد بن حارثة ﷺ وعبد الله بن رواحة إلى المدينة ليزفا بشرى نصر المسلمين على قريش، صعق اليهود والمنافقين بهذا الخبر، وأخذوا يقولون: ((ما جاء زيد إلا فلا))[2] أي إن محمدًا قد قتل وهزم اتباعه، واستدلوا بناقته التي كان يركبها زيد، قائلين لو كان محمد حيًا لبقيت راحلته عنده[3].

لقد كان بنو قينقاع أشد عداء للرسول ﷺ والمسلمين من بقية القبائل الأخرى من يهود المدينة، وأسبقها إعلانًا لهذا العداء، ويرجع ذلك إلى أسباب عدة منها العداء الديني للإسلام والمسلمين من جهة فهم حلفاء لعبد الله بن أبي سلول سيد الخزرج ورأس المنافقين الذي حرم من الملك في المدينة بقدوم الرسول ﷺ إليها، ومن جهة أخرى كان اليهود أكثر ضيقًا بالرسول ﷺ والمسلمين من بقية اليهود الآخرين، وذلك يرجع إلى طبيعة عملهم في السوق واعتمادهم عليه في حياتهم، فهم لم يكونوا من ملاك الأراضي الزراعية كأبناء جلدتهم الآخرين، فعملهم كان في التجارة وصياغة الحلي، فضلاً عن شعور بني قينقاع بمنافسة المهاجرين لهم في مجال التجارة كعبد الرحمن بن عوف ﷺ وعثمان بن عفان ﷺ الذين دخلوا السوق، وحققوا أرباح كبيرة وأموال وفيرة في وقت قصير[4]، فضلاً عن سكناهم بين منازل القبائل العربية في وسط المدينة جعلهم أكثر احتكاكًا بالمسلمين، وأشد خطرًا عليهم في حالة انتفاضتهم[5].

لقد اتضح للرسول ﷺ خطرهم بشكل جلي، فجمعهم في السوق التي عرفت باسمهم وخاطبهم قائلا ((يا مَعْشَرَ يَهُودَ أَسْلِمُوا قبل أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصَابَ قُرَيْشًا))[6]، فأجابوه: يا

(1) للمزيد من التفاصيل عن وثيقة المدينة وما منحه الرسول ﷺ لليهود من حقوق وما فرضه عليهم من واجبات ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج3/ ص31-35.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية: ج3/ص304؛ السيد، يهود يثرب، وخيبر، ص 77.

(3) دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 303.

(4) السيد، يهود يثرب، وخيبر، ص 77.

(5) السمهودي، وفاء الوفا: ج1/ص152؛ دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 278.

(6) سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر (د.م.: د.ت.): ج3/ص154.

محمد إنك ترى أنا مثل قومك، لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس))[1].

لم يكتف يهود بني قينقاع بإظهار العداوة والتحدي المباشر للرسول ﷺ، بل بقوا يتحينون الفرصة المناسبة، فاستغلوا قدوم امرأة عربية بِجَلبٍ لها لبيعه في سوق بني قينقاع، وبينما هي جالسة في دكان صائغ يهودي لشراء الحلي، حاولوا الكشف عن وجهها فلم تفعل، فعمد الصائغ اليهودي إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت المرأة فانكشفت سوءتها، فضحكوا عليها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وشدت اليهود على الرجل المسلم فقتلوه، ونقضوا العهد مع الرسول ﷺ، فاستصرخ أهل المقتول المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع[2]، فنزل جبريل عليه السلام يبلغ الرسول ﷺ أمر الله عزل وجل بقتال بني قينقاع، فسار إليهم ﷺ في يوم السبت منتصف شوال سنة 2هـ/623م، وحمل لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر العمري[3].

تحصن بنو قينقاع في حصنهم، فحاصرهم المسلمون حصارًا استمر خمس عشرة ليلة حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ، إذ فاجأهم أسلوب الحصار الذي استخدمه الرسول ﷺ، مما أربكهم وأوقعهم في حيرة من أمرهم، بعد أن قطع الامدادات عنهم، وجمد حركتهم، فأصبحوا منعزلين كأنهم في سجن، فدخل اليأس في قلوبهم، بعد أن كانوا يهددون رسول الله ﷺ علانية وبكل وقاحة، وبأنهم قوم يختلفون بأسًا وشدة عن مشركي قريش[4]، فاضطروا على الاستسلام، وسلموا للرسول ﷺ أموالهم، وأن لهم نساءهم وذراريهم فأمر بهم فكتفوا، واستعمل على كتافهم المنذر بن قدامة السلمي[5].

أما موقف حلفائهم من الخزرج فتمثل بعبادة بن الصامت، وعبد الله بن أبي ابن سلول فمشى عبادة إلى رسول الله ﷺ فجعلهم له، وتبرأ إلى الله تعالى ورسوله ﷺ من حلفهم، قائلاً:

---

(1) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز (مكة المكرمة: 1994م): ج9/ص183.

(2) ابن هشام،السيرة النبوية: ج3 / ص 55.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج2/ 481؛ الشقاري، اليهود في السنة المطهرة: ج1/ص279.

(4) ابو فارس، الصراع مع اليهود: ج1/ص144، الشقاري، المرجع نفسه: ج 1/ 280.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية: ج3 / ص 55.

يا رسول الله: أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الرجال [1]، إلا أن موقف عبدالله بن أبي ابن سلول كان على عكس موقف عبادة، إذ قام إلى رسول الله ﷺ ويهود قينقاع في أسره، فقال: يا محمد أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أحسن في موالي، فأعرض ﷺ عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ من خلفه، فقال له رسول الله ﷺ: ((ويحك أرسلني))، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللاً، ثم قال: ((ويحك أرسلني))، قال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، فإنهم أربعمئة حاسر، وثلاثمئة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فقال ﷺ: ((هم لك))[2].

لقد أعفاهم الرسول ﷺ من القتل، إلا أنه أمرهم بأن يجلوا من المدينة خلال ثلاثة أيام وولى أمر إخراجهم منها لعبادة من الصامت ﷺ[3]، وهو من سادات الخزرج، وكان حليفًا لبني قينقاع، فقالوا له: يا أبا الوليد من بين الأوس والخزرج ونحن مواليك، فعلت هذا بنا، فقال لهم ﷺ: لما حاربتم جئت إلى رسول الله ﷺ، فقلت يا رسول الله اني أبرأ اليك منهم ومن حلفهم[4] فطلب بنو قينقاع من الرسول ﷺ أن يمهلهم ثلاثة أيام كي يجمعوا ديونهم التي في رقاب الناس فأمهلهم ﷺ، فلما طلبوا من عبادة ﷺ أن يزيدهم، رفض وقال لهم ولا ساعة من نهار لكم ثلاث ولا أزيدكم عليها هذا أمر رسول الله ﷺ، ولو كنت أنا ما نفستكم، وبعد مضي ثلاثة أيام[5] ساروا إلى وادي القرى، وبقوا بجوار يهودها شهرًا حتى استراحوا وتقووا وأركبوا من كان رجلا منهم، ومن ثمة اتجهوا نحو منطقة أذرعات[6] في بلاد الشام[7]، فغنم رسول الله ﷺ من سلاحهم ثلاث قسيّ: قوسًا يدعى الكتوم كسرت بأحد، وقوسًا يدعى الروحاء، وقوسًا يدعى البيضاء، وأخذ درعين: درعًا

---

(1) الشقاري، اليهود في السنة المطهرة: ج1/ص282-283؛ الصلابي، السيرة النبوية: ج 2/ص66.

(2) الحميدي، التاريخ الإسلامي:ج5/ص30؛ الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 258.

(3) أبو القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر (بيروت: 1995م): ج4/ص218.

(4) الواقدي، المغازي، ص 140.

(5) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 80.

(6) الواقدي، المغازي، ص 141.

(7) أذرعات: مدينة تقع على أطراف الشام من جهة الجزيرة العربية، بالقرب من درعا. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج1/ص130.

يقال له: الصفرية وأخرى فضة، وثلاثة أرماح، وثلاثة أسياف، سيف قلعي، وسيف يقال له: بتار، وآخر لم يسم[1].

ووجد في منازلهم سلاحا كثيرا وآلة للصياغة، فأخذ رسول الله ﷺ صفيه والخمس، وقسم أربعة أخماسه على أصحابه، فكان أول خمس بعد بدر، وكان الذي قبض أموالهم محمد بن مسلمة، وهكذا خرج بنو قينقاع من المدينة صاغرين خانعين، وقد ألقوا سلاحهم، وتركوا جميع أموالهم غنيمة للمسلمين، رغم أنهم كانوا من أشجع القبائل اليهودية في المدينة، وأشدهم بأسًا فضلاً عن كونهم أكثر عددًا وعدة، مما أدى إلى أن تلوذ القبائل اليهودية بالصمت والهدوء مدة قصيرة من الزمن بعد هذا العقاب الرادع، فسيطر الرعب على قلوبهم وكسرت شوكتها[2].

لقد كان لانتصار الرسول ﷺ على بني قينقاع مردوده الإيجابي، إذ قوى مركز الرسول ﷺ داخل المدينة، وانعكس إيجابًا على أحوال المسلمين الاقتصادية، لاسيما على المهاجرين منهم، لاستفادتهم من الاموال والمساكن التي تركها يهود بني قينقاع بالمدينة[3].

على الرغم من أن الخلاف بين الرسول ﷺ واليهود يعد خلافًا دينيًا في المقام الأول، إلا أن الأسباب التي أدت إلى الصدام مع بني قينقاع لم يكن حادثًا دينيًا، بل كان دفاعًا عن العرض، وهو ما يتفق عليه عرب الجاهلية مع المسلمين، مما حرم اليهود من مساندة ومساعده حلفائهم العرب في الحرب ضد المسلمين، إذ عدها حلفاؤهم اعتداء على العرض العربي،وأصبح الرسول ﷺ في نظرهم هو المدافع عن أعراضهم، وهذا ما حرم عبدالله بن أبي سلول من الحصول دعم لهم من العرب، بل حتى من أبناء قومه من الخزرج، كما عزلت هذه الحادثة يهود بني قينقاع عن أبناء دينهم الآخرين من بني النضير وقريظة، الذين عدوه حادثًا تافهًا أوقع بنو قينقاع انفسهم فيه، كما أنه لم يكن حادثًا دينيًا ليستثير حمية القبائل اليهودية الأخرى لمناصرتهم[4].

ثانياً: إجلاء بني النضير من المدينة

بعد أن أجلى الرسول ﷺ بني قينقاع من المدينة، ركن اليهود المتبقين في المدينة إلى الهدوء، لإدراكهم التام بعدم القدرة على مواجهة المسلمين، وأن أي تحرك من قبلهم سينعكس سلبًا عليهم،

(1) الشافعي، تاريخ مدينة دمشق: ج4/ص218.

(2) ابو فارس، الصراع مع اليهود: ج1/ص149؛ دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص309.

(3) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 259.

(4) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 81-82.

ويكون مصيرهم كمن سبقهم من أبناء جلدتهم إما القتل أو الإجلاء على أقل تقدير، كما أنهم أدركوا في ذات الوقت ضرورة إيجاد أسباب الاتصال مع قريش والتعاون معهم على حرب الرسول ﷺ، في الوقت الذي فكرت فيه قريش بالاستعانة باليهود، فقام زعماء بني النضير بتوثيق عرى الاتصال بين أهل مكة ويهود المدينة[1]، فظاهروا أعداء المسلمين من المشركين وآووهم، كما حدث عندما آووا أبا سفيان عندما جاء إلى حيي بن أخطب وسلام بن مشكم سيدي بني النضير في نفر من المشركين لمهاجمة المدينة عقب معركة بدر، ورغم عدم فتح حيي لباب حصنه، قام ابن مشكم بفتح باب حصنه وآوى أبا سفيان، ودله على مواطن الضعف في المدينة، وأعلمه بأخبار الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم[2].

لقد كانت لكل من يهود المدينة وكفار قريش هدفه من التعاون فيما بينهما، فقريش أرادت أن تجعل من اليهود خط صد أول لإضعاف قوة المسلمين أولاً، وإشغالهم عن مهاجمة القوافل التجارية لقريش ثانيًا. أما اليهود فقد كان هدفهم من ذلك تسخير قريش لمحاربة الرسول ﷺ فتقضي عليه، فتخلصهم منه ومن المهاجرين ومن الأوس والخزرج، فتخلوا لهم الأجواء في المدينة، وقد أتيح للطرفين الاتصال عندما كانت قريش تفد إلى المدينة لفك رجالها من أسرى بدر، فأخذت قريش تحرض اليهود وتخوفهم من أن يكون مصيرهم كمصير بني قينقاع، إذ لم يتعاونوا معًا، كما أخذوا يمنونهم بالدعم والمساعدة إذ ما انتفضوا ضد الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم[3].

حاول اليهود إخفاء العداء للرسول ﷺ وعدم إثارته، رغم حدوث بعض الحوادث التي كادت أن تؤدي إلى الصدام بينهما لولا حكمة الرسول ﷺ وحفاظه على العهود والمواثيق التي عقدها معهم، ومنها حادثة كعب بن الأشرف[4]، وهو من أشد أعداء الإسلام، لذلك اغتاظ كثيرًا من النصر الذي حققه المسلمين على كفار قريش ببدر، فسافر إلى مكة، وأطلق لسانه فيها هاجيًا الرسول

---

(1) دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 311.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج2/ص284؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: ج 7/ص332.

(3) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 85.

(4) كعب بن الأشرف: ينتمي إلى بني نبهان من الطائية، قدم أبوه إلى المدينة في الجاهلية، عندما اصاب دمًا، فتحالف مع يهودها من بني النضير، فتزوج من عقيلة بنت أبي الحقيق، فأنجب منها كعب، توفي والده قبل ولادته، فحملته أمه إلى أخواله، فنشأ بينهم وساد وكبر أمره، كما كان الشعراء المخضرمين عاصر العصر الجاهلي والإسلامي، ولكنه كان ممن ناصبوا الإسلام ورسوله ﷺ. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية: ج3/ ص58؛ الاصفهاني، الاغاني: ج19 / ص106.

ﷺ وداعيًا إلى القضاء عليه، ولم يكتف بذلك بل أخذ بتحريض زعماء قريش وعتاتهم للثأر من المسلمين لقتلاهم، وكي يزيد من شده التأثير عليهم أخذ يبكي هؤلاء في قصائده، واستمر على فعله بهجاء الرسول ﷺ بعد عودته إلى المدينة، ولم تسلم أعراض المسلمين من لسانه، مما أدخله في دائرة نقض العهود والمواثيق مع الرسول ﷺ، وهو أمر يستوجب العقاب وحكم القتل[1]، فأهدر الرسول ﷺ دمه جزاء ما اقترفه، فتم قتله، ويبدو أن بعضًا ممن ذهبوا معه إلى مكة لم يعودوا إلى المدينة خشية من عقاب الرسول ﷺ، لاسيما بعد أن أدركوا فشل محاولتهم، فنجوا بجلودهم من الموت، فقال الرسول ﷺ: ((لو فر كما فر غيره لما اغتيل))[2].

لقد زادت هذه الحادثة من مخاوف يهود المدينة، فالتزموا حصونهم، خشية على أنفسهم من المسلمين[3]، فاضطروا إلى تجديد المعاهدة مع الرسول ﷺ، على الرغم من حنقهم وغضبهم لمقتل كعب بن الأشرف، إذ لم يستطيعوا إظهاره علنًا، فلم يبق أمامهم خيار للانتقام من المسلمين سوى الكيد والتآمر، ولكن رحمة الرسول ﷺ، والتزامه بالعهود والمواثيق، هي ما جعلته يتعامل مع بني النضير بشكل منفصل عن كعب بن الأشرف، ولم يؤاخذهم بما اقترفت يداه من فعل ولسانه من قول[4].

استمر الخوف يسود الأوساط اليهودية في المدينة بعد إجلاء بني قينقاع حتى وقوع معركة أحد سنة 3هـ/ 624م، إلا أن خسارة المسلمين في أحد، بددت مخاوفهم وأثارت النعرة العدائية، وبعثت الكراهية في نفوس اليهود من جديد، فعادوا إلى أساليبهم الخبيثة من دس ومكر وخداع، إذ بدأت الشماته والمرارة تتضحان من خلال أحاديثهم التي تناولوها في مجالسهم وهم يشككون بنبوته ﷺ، فقالوا ((لو كان نبينا ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ولكنه طالب ملك تكون له الدولة مرة وعليه مرة))[5]، فأغاظ ذلك أصحاب الرسول ﷺ وعلى رأسهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13 - 24هـ/634 - 644 م)، فطلبوا الإذن في قتل من تفوه بذلك إلا أنه ﷺ لم يأذن لهم، فقال لعمر رضي الله عنه: ((يا عمر إن الله مظهر دينه ومعز نبيه ولليهود ذمة فلا أقتلهم))، وعلى ما يبدو من

---

(1) العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم (المدينة المنورة: 1992م): ج1/ص304؛ أبو فارس، الصرع مع اليهود: ج1/ص111.

(2) الواقدي، المغازي، ص 150.

(3) علي معطي، التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول ﷺ « استراتيجية الرسول السياسية والعسكرية »، مؤسسة المعارف (بيروت: د. ت.)، ص188.

(4) أبو فارس، الصراع مع اليهود: ج1/ص126.

(5) البيهقي، دلائل النبوة: ج3/ص217.

خلال هذه الحادثة أن الرسول ﷺ كان حريصًا على عدم الاصطدام باليهود طالما هم محافظون على التزامهم بالعهود التي بينهم، وربما يرجع ذلك إلى خشية الرسول ﷺ من انقسام المسلمين من عرب المدينة من جهة، ومن عودة قريش التي لم ترم سلاحًا بعد من جهة أخرى، فضلاً عن عدم إيجاد السبب الذي قد يؤدي إلى اتحاد بني نضير وبني قريظة وتنظيم صفوفهم لحرب المسلمين، لذلك قرر الرسول ﷺ ترك اليهود فإن كفوا والتزموا بالعهد فذلك ما أراد، وإن لم ينتهوا وبقوا على تماديهم، فإنهم سيخسرون أصدقاءهم من الأوس، ويحولهم إلى أعداء، مما يسهل أمر القضاء عليهم[1].

لم يكتف اليهود بما فعلوه بل بدأوا بالاستعداد لقتال المسلمين، والتدبير لاغتيال الرسول ﷺ، عندما خرج ﷺ مع أصحابه عن طريق قباء إلى ديار بني النضير للاستعانة بهم على جمع دية بعض القتلى، إلا أنهم حاولوا الغدر به وقتله، من خلال إلقاء صخرة عليه وهو جالس بقرب جدار، إلا أنه غادر المكان وخرج من بني النضير عندما أعلمه جبريل عليه السلام بذلك[2] فكانت هذه الأعمال العدائية ما هي إلا نقض للعهود المبرمة بين الطرفين وخيانة للمسلمين فأدرك الرسول ﷺ أن أمر محاربة يهود بني النضير أصبح أمرًا لا مناص منه[3].

قبل أن يقرر الرسول ﷺ غزو بني النضير في ربيع الأول سنة 4هـ/ 625م [4]، قام بإنذارهم بأن يجلوا عن المدينة خلال عشرة أيام، فأرسل إليهم الصحابي محمد بن مسلمة رضي الله عنه وقال له: ((اذهب إلى يهود بني النضير، وقل لهم: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليكم أن اخرجوا من بلدي، لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم مما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشرًا، فمن رُئي بعد منكم ضربت عنقه))[5]، وأمام هذا الموقف الصعب الذي وجد اليهود أنفسهم فيه، لم يبق أمامهم سوى الرد بما قالوا لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه ما معناه: لم نتوقع أنك من يأتينا بهذا الخبر وأنت رجل من

---

(1) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 92-93.

(2) الواقدي، المغازي: ج1/ص365؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج2/ص31؛ معطي، التاريخ السياسي والعسكري، ص188-190.

(3) دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 322؛ معطي، المرجع نفسه، ص190.

(4) ابن القيم، زاد المعاد: ج3/ص249؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج4/ص83. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، العبر في خبر من غبر، ط2، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت (الكويت: 1984م): ج1/ص6.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج2/ص84؛ الواقدي، المغازي: ج1/ص363- 370.

الأوس، فأجابهم ابن مسلمة ﷺ: لقد تغيرت القلوب، وألغى الإسلام كل أحلاف الجاهلية وعهودها معكم، وأخذوا يعدون العدة للجلاء[1].

في الحقيقة إن سماح الرسول ﷺ لبني النضير وبني قينقاع من قبلهم مغادرة المدينة وحمل ما يريدون حمله من ممتلكات، كان القصد من وراءه بأن الجلاء لا يعني مصادرة الممتلكات أو تجريدهم مما يمتلكون داخل المدينة، وأنه جزء من إجراءات حفظ الأمن داخل المدينة، والتخلص من احتمالية العودة مرة أخرى للغدر بالرسول ﷺ وأصحابه ﷺ، إلا أن الرسول ﷺ اضطرّ إلى التضييق عليهم بسبب امتناعهم عن الجلاء وعصيان أمره[2].

وفي وسط هذه الأحداث وتطوراتها، برز دور المنافقين المتمثل بشخص عبد الله بن أبي ابن سلول، الذي أرسل إليهم من يطلب منهم الثبات والتحصن في حصونهم وعدم الجلاء من المدينة، ووعدهم بالدعم من خلال إرسال ألفي رجل من قومه ومن حلفائه من أبناء القبائل العربية للقتال إلى جانبهم، كما أخبرهم بانه مستعد للجلاء معهم إن اقتضى الأمر، مما أغرى اليهود، وشجعهم بشكل كبير وعلى رأسهم حيي بن أخطب، الذي أرسل أخيه جدي بن أخطب إلى الرسول ﷺ معترضًا وممتنعًا عن الجلاء ومتحديًا بعدم ترك ديارهم، حتى وصلت به الوقاحة إلى أن يخاطب الرسول ﷺ قائلاً: ((اصنع ما بدا لك))، فكبّر ﷺ، ثم قال لأصحابه ﷺ:((حاربت يهود))[3]، وبعد أن أنهى جدي بن أخطب خبر الامتناع عن الجلاء انطلق إلى عبد الله بن أبي سلول، يطلب العون منه ويذكره بوعوده لهم، فوجده جالسًا في نفر من أصحابه، ممن يضمرون العداء للرسول ﷺ ينادي بالسلاح، ولكن دون جدوى، فعاد جدي إلى قومه وأخبرهم بما جرى، فقال حيي إن هذه مكيدة من محمد، عندئذ أدرك أن الرسول ﷺ نجح في عزل عبدالله ابن أبي سلول عنهم[4].

على الرغم من التحدي والامتناع الصريح بعدم الجلاء، إلا أن الرسول ﷺ التزم بكلمته وإنذاره الذي أبلغهم به، حتى انقضت المدة التي حددها، ولم يخرجوا من المدينة، فأرسل جيوش المسلمين إليهم، وفي أثناء سيرهم أخذ يهود بني النضير يرمونهم بالسهام والحجارة وعندما وصل إلى حصنهم فرض الحصار عليهم لمدة خمس عشرة ليلة وهم متحصنين فيها ولإجبارهم

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية: ج3/ص212.

(2) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 97-98.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج2/ص84؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج4/ص83.

(4) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 103؛ دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 311.

على الخروج أمر ﷺ بحرق بساتين النخيل الخاصة بهم، ليقضي على أسباب تعلقهم بأملاكهم وبساتينهم من جهة، ولإضعاف حماستهم على القتال من جهة أخرى، وبهذه الطريقة نجح الرسول ﷺ في إلقاء الرعب في قلوبهم، مما جعلهم في مأزق لا مفر منه، ولا خيار أمامهم إلا الجلاء، لاسيما بعد أن أخلف رأس المنافقين وعده لهم أولاً، وعجز اليهود من القبائل الاخرى عن تقديم الدعم لهم ثانيًا، فأرسلوا إلى الرسول ﷺ يلتمسون منه الأمان لحين خروجهم من ديارهم، فقبل ﷺ بخروجهم آمنين على دمائكم، وما حملت الإبل إلا ما يمتلكونه من دروع وسلاح[1]، وكجزء من خبث اليهود ودهائهم، قاموا بهدم دورهم وسووا جدرانها بالأرض كي لا يستفيد منها المسلمون، فضلاً عن إخراجهم كميات كبيرة مما يمتلكونه من الذهب والفضة، كما أخرجوا كميات كبيرة من الأمتعة التي بلغت قرابة حمل ستمائة بعير، فتوجه بعضهم إلى خيبر بينما التحق القسم الاخر بيهود قينقاع في منطقة أذرعات[2]، وبهذا الشكل تخلص المسلمون من أكبر قبيلتين من يهود المدينة ممن كان لهم دور كبير في الكيد للمسلمين والطعن بهم والتآمر عليهم مع أعدائهم.

ثالثاً: غزوة بني قريظة وإجلائهم عن المدينة

بعد أن أخرج الرسول ﷺ يهود بني النضير من المدينة، ازداد كرههم وحقدهم على المسلمين، فما أن استقر قسم منهم في خيبر وعلى رأسهم حيي بن أخطب، حتى قرروا التوجه إلى القبائل العربية لتأليبها لحرب الرسول ﷺ وأصحابه، فتولى أمر القيام بهذه المهمة الخبيثة كل من حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وأبن كنانة أخيه، فضلاً عن هوذة بن قيس الوائلي، فتوجهوا إلى كفار قريش ونجحوا في تحريضهم، بعد أن سألتهم قريش عن صراعها مع الرسول ﷺ، وأيّ منهم على حق، فقال حيي بن أخطب: إن دينكم خير من دين محمد، وأنتم أولى بالحق منه، ثم ألبوا قبيلة غطفان فأقنعوها في الانضمام للحلف بعد أن وعدوها بمحصول خيبر من التمر لسنة كاملة[3]، كما انضمت اليهم قبائل أخرى، وتم عقد أتفاق بين اليهود وزعماء قريش من جهة وقبائل الأعراب من غطفان من جهة أخرى، فعاد زعماء اليهود إلى المدينة، ومعهم عشرة آلاف مقاتل من

(1) ابن القيم، زاد المعاد: ج 3/ص248.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت: 1987م):ج2/ ص151.

(3) باشميل، غزوة الأحزاب، ط5، دار الفكر (د.م.: 1977م)، ص 141؛ دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 298.

قريش وغطفان وحلفائهما، وما أن علم الرسول ﷺ بذلك حتى جمع أصحابه واستشارهم، فاستقر الأمر على حفر خندق حول المدينة لتأمينها، كما سعى ﷺ إلى تأمين الجبهة الداخلية، لأنه كان يخشى غدر بني قريظة آخر المتبقين من يهود المدينة لكونهم يقطنون في الجهة الجنوبية منها، لذا فان نقضهم للعهد سيوقع المسلمين بين جبهتين معاديتين، وهما اليهود من خلفهم، وقريش وحلفائها من أمامهم، وبالفعل حدث ما كان يخشاه الرسول ﷺ، إذ تمكن حيي بن أخطب زعيم بني النضير من إقناع زعيم بني قريظة كعب بن أسد في الانضمام إلى الأحزاب في معركة الخندق[1].

لقد اشترط كعب سيد بني قريظة على حيي بن أخطب ثلاثة شروط أساسية كي ينظم إلى الأحزاب، أولهما: أن يدخل حيي معهم في حصن بني النضير في حالة، خسارة الأحزاب أو انسحابهم. أما الثاني: أن ترسل الاحزاب سبعين رجلاً من أشرافهم يبقون كرهائن في حصنهم لحين انتهاء القتال، والثالث: أن تمهلهم الأحزاب عشرة أيام كي يتسلحوا، على أن تقاتل الاحزاب خلالها المسملين قتالاً شديدًا، ليشغلوهم عما يدور خلف ظهرهم، إن الشروط التي وضعها بنو قريظة، تدل على عدم ثقتهم بتحقيق النصر على المسلمين، وهذا ما استفاد منه الرسول ﷺ في تفكيك حلفهم[2].

في وسط هذه الأجواء المتوترة التي تحيط بالمسلمين في المدينة، شاع بين المسلمين بأن يهود بني قريظة قد نقضت العهد مع الرسول ﷺ، وهذا ما كان الرسول ﷺ يخشاه كما أسلفنا لأنه كان على معرفة تامة بطبائع اليهود من غدر وعدم مراعاة للعهد والذمة، فأوكل ﷺ أمر التأكد من الخبر إلى الزبير بن العوام ﷺ، وعندما بان له صدق الخبر، وشاهد قيام بني قريظة يقوون حصونهم، وأن استعداداتهم العسكرية من تدريب وتسليح قائمة على قدم وساق، عاد إلى الرسول ﷺ وأخبره بما رأى[3]، ولاستدراك الأمر ومعالجة الموقف أرسل عدد من الصحابة وعلى رأسهم سعد بن معاذ ﷺ، وقال لهم: ((انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فإن كان حقًّا فألحنوا لي لحنًا نعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله، وقالوا لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد))[4]، ووصل بهم الحال أن تسابوا هم وسعد بن عباد،

---

(1) دراذكه، المرجع نفسه، ص 333؛ الصلابي، السيرة النبوية: ج2 / ص 191-192.

(2) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 114.

(3) الواقدي، المغازي: ج2/ص457.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج 2/ص93؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج288/2؛ ابن كثير، السيرة النبوية: ج4/ ص179.

حتى قال: له سعد بن معاذ اترك مسابتهم فان ما بيننا وبينهم أكبر، فرجعوا إلى الرسول ﷺ، وتحدثوا معه بالرمز، فقالوا: ((عضل والقارة))، والعضل والقارة هما قبيلتان من هذيل، كان لهما موقف غادر بالمسلمين في غزوة ذات الرجيع، وقصدوا بذلك أن اليهود قد غدروا ونقضوا العهد، فعرف ﷺ قصدهم[1].

على ما يبدو أن بني قريظة فسروا موقف الرسول ﷺ على أنه موقف يتسم بالضعف أمامهم وأمام الأحزاب، لذلك نقضوا العهد وانضموا للكفار، وقابلوا وفد الرسول ﷺ باستهزاء وفرض شروط تعجيزية على المسلمين يستحيل تحقيقها كعودة بني النضير وغيرها[2].

اتسم موقف الرسول ﷺ من غدر بني قريظة بالحزم والثبات، فعمد ﷺ بقيادته الحكيمة إلى استخدام جميع الوسائل الكفيلة بتقوية روح الصمود والإيمان لدى المسلمين من جهة وإضعاف جبهة القوات المتحزبة لاقتحام المدينة من جهة أخرى، فكان الإجراء الأول الذي اتخذه تأمين حراسة المدينة، فأرسل خمسمئة رجل بقيادة سلمة بن أسلم ﷺ وزيد بن حارثة ﷺ، وأمرهم بالتكبير والإكثار منه من أجل إظهار الرهبة في قلوب يهود بني قريظة، الذين استعدوا لمشاركة الأحزاب في حربهم ضد الرسول ﷺ، ومن الأمور التي قدمها اليهود لدعم المشركين وتقوية جانبهم حمل عشرين بعيراً من التمر، والشعير، والتين، إلا أن نصر الله كان أقرب للمسلمين فغنموها جميعا ووضعوها بين يدي الرسول ﷺ[3].

عندما أصبح الرسول ﷺ على قناعة تامة بعدم عدول اليهود عن رأيهم، وإصرارهم على التعاون مع المشركين، اتبع سياسة جديدة من أجل الايقاع بين اليهود وحلفائهم، لاسيما بعد أن أدرك مدى انعدام الثقة بين الطرفين، وبالفعل نجحت خطة الرسول ﷺ في الإيقاع بينهما فرفضت قريش وغطفان أن تسليم الرهائن لليهود، وفي ذات الوقت رفض بنو قريظة الحرب إلى جانبهم دون ضمانات، كما ساهمت العوامل الطبيعية التي تميزت بها المدينة عن غيرها وخطة حفر الخندق، وجهود المسلمين، فضلاً عن تعاطف بعض أطراف الاحزاب مع الرسول ﷺ كبني هاشم، مما ساعد على إضعاف الثقة بين الأحزاب فدب الوهن فيهم، وأصبح أمر اقامتهم حول المدينة أمرًا مستحيلاً، ولاسيما بعد أن هبت عليهم عاصفة قوية في ليلة شاتية، اضطروا إثرها إلى الانسحاب والمغادرة،

---

(1) البيهقي، دلائل النبوة:ج3/ ص 492؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج4/ص95.

(2) دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 335؛ السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 118.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية: ج4/ص95-96.

رابعاً: فتح خيبر

ما أن انتشر خبر القضاء على بني قريظة في المدينة وتصفية الوجود اليهودي فيها ووصوله إلى مختلف أطراف الجزيرة العربية، وكان يهود بني النضير وخيبر أكثر الناس توجلاً لمعرفة أخبار بني قريظة وما حل بهم، لارتباط مصير زعيمهم حيي بن أخطب بما يحدث لبني قريظة، وما أن علموا بخبرهم ومقتل حيي عن طريق رجل غطفاني من أحلافهم، حتى صاحت نسائهم رثاءًا له، وأقاموا المآتم حزنا عليه، مما زاد حقدهم على الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وبدأوا يفكرون بالانتقام، فساروا إلى زعيمهم سلام بن مشكم، الذي أشار قائلاً: ((إن محمدًا قد فرغ من يهود يثرب، وهو سائر اليكم فنازل بساحتكم، وصانع بكم ما صنع ببني قريظة))[1] فقالوا له: ما الرأي ؟، فأشار عليهم بتوحيد جهودهم وجمع يهود تيماء وفدك ووادي القرى، ولا يستعينون بالعرب، ولا يهاجمون المسلمين في المدينة لاستئصالهم[2]، فوافقته اليهود، لولا اعتراض سلام بن ابي الحقيق على فكرته، إذ إنه أقنع اليهود بقوله ((إني قد خبرت العرب فرأيتهم أشداء عليه، وحصوننا هذه ليست مثل ما هناك، ومحمد لا يسير إلينا أبدًا لما يعرف))[3] مما اضطره إلى التنحى عن القيادة، وتركهم للتعاون مع العرب مرة أخرى ليلاقوا ما لاقاه أبناء جلدتهم في المدينة[4].

وعلى ما يبدو، فإن هذا الموقف الذي عبر عنه سلام بن مشكم في قوله، إنما ينم عن أمرين، الأول: عدم ثقة سلام بقبائل العرب التي سبق لها أن تخلت عن نصرة يهود المدينة لاسيما بنو قريظة، والثاني: استخدام عنصر المباغته ومهاجمة المسلمين في عقر دارهم قبل أن يسيروا إلى خيبر، فيكون ذلك عامل قوة لهم، وينعكس سلبًا على اليهود في خيبر، فتضعف عزيمتهم، إلا أن اليهود وافقوه الرأي لولا ابن أبي الحقيق واعتراضه عليه.

بعد أن تنحى سلام بن مشكم عن قيادة اليهود في خيبر تولاها أبو رافع سلام بن أبي الحقيق، الذي اتصل بغطفان وتحالف معهم، ولكن الرسول ﷺ بدأ يعد العدة كي لا يتكرر ما حدث يوم الأحزاب، فأرسل سرية بقيادة عبد الله بن عتيك رضي الله عنه لتدبر أمر أبا رافع وقتله في حصنه[5]، فدخلوا الحصن، ووصلوا إلى بيته، ودخل عليه عبد الله بن عتيك رضي الله عنه فوجده بين عياله، وفي وسط الظلمة،

---

(1) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 292.

(2) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 131.

(3) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 293.

(4) السيد، يهود يثرب وخيبر، ص 131.

(5) مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مركز الملك فيصل (الرياض: 1992م)، ص465.

ناداه باسمه، فقال: من؟ فهوى على الصوت بضربة قاتلة بسيفه ثم عدنا إلى الرسول ﷺ فأخبرناه، وقد اشترك بهذه السرية كل من مسعود بن سنان، عبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، وخزاعي بن أسود رضي الله عنه[1].

في الحقيقة لم يظهر يهود خيبر أي عداء للمسلمين قبل نزول بني النضير بينهم، فأخذ زعماؤهم الذين تمتعوا بمكانة اجتماعية كبيرة أموال طائلة، على إقناعهم لمقاتلة الرسول ﷺ لاسيما بعد أن دانت خيبر لهم[2]، فنجح هؤلاء الزعماء في جر خيبر إلى الصراع الدائر مع المسلمين، وأدوا دورًا كبيرًا في حشد قبائل المشركين ضد المسلمين وتسخير أموالهم في ذلك كما أقنعوا بني قريظة على الغدر والتعاون مع الأحزاب[3]، لذلك أصبحت خيبر تشكل مصدر خطر كبير على المسلمين ودولتهم الوليدة.

بعد مقتل سلام بن إبي الحقيق تولى اليسير بن رزام الإمارة على يهود خيبر، فأخذ يعمل على جمع يهود الشمال وتحريضهم لقتال الرسول الله ﷺ، كما ألبّ قبائل غطفان وتحالف معها، ولما علم ﷺ بما يقدم عليه يهود خيبر لم يعجل عليهم ورأى ضرورة التأكد من ذلك قبل أن يتخذ أي إجراء بحقهم، فأرسل الصحابي عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ومعه عدد من المسلمين للتأكد من مما تبيته اليهود لهم[4]، وبعد تأكد الرسول ﷺ مما بلغه أرسل في شوال سنة 6هـ/627م سرية في ثلاثين رجلا بقيادة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وما أن وصلوا إلى خيبر حتى التقوا باليسير وأخبروه بأن الرسول الله ﷺ يريد استعماله على خيبر، فسار معهم في ثلاثين رجلاً وفي الطريق ندم اليسير على مسيره إلى الرسول ﷺ، وعندما أدرك المسلمون ندمهم مال كل منهم على رجل من اليهود فقتله[5].

بعد أن وقع الرسول ﷺ صلح الحديبية مع قريش في سنة 6هـ/627م أُفسِحَ المجال أمامه لتصفية الحساب مع يهود في خيبر، الذين والوا الأحزاب وحالفوهم ضد المسلمين، فضلاً عن

(1) الجامع الصحيح المختصر: ج5/ص33؛ أبو فارس، الصراع مع اليهود:ج1/ص189؛ الحميدي، التاريخ الإسلامي: ج6/ص177.

(2) العمري، السيرة النبوية الصحيحة: ج1/ص319.

(3) المرجع نفسه: ج 1/ص319.

(4) الشقاري، اليهود في السنة المطهرة: ج1/ ص388، 389.

(5) رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص477.

إلجائهم ليهود بني النضير، وبدأوا يعملون معًا على تجميع مختلف القوى كما أسلفنا لمحاربة الرسول ﷺ والقضاء على دولته، وفي وسط هذه التطورات قرر الرسول ﷺ غزو خيبر وفتحها، فسار الجيش ليلاً إليها في محرم سنة 7هـ/628م[1]، رغم بعد مسافتها التي تصل إلى مئة ميل شمال المدينة من جهة، ومنعة حصونها التي يصعب اختراقها من جهة أخرى، وما امتاز به رجالها من شدة البأس، فضلاً عن عدتها وعدد مقاتليها الذي قدرته المصادر بعشرة الآف مقاتل، ورغم مبالغتها في العدد، إلا أنه يدل على كثرتهم، كما أن يهود خيبر لم يكونوا بمعزل عن الوسط الذي يعيشون فيه، فقد ارتبطوا بتحالفات مع اليهود المتبقين في فدك وتيماء ووادي القرى[2]، ولكن المسلمين كانوا كلهم ثقة وإيمانًا بأن نصر الله قريب، فكبروا وهللوا بأعلى صوتهم، فأمرهم الرسول ﷺ بأن يرفقوا بأنفسهم مخاطبًا إياهم: ((أربعوا على أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وهو مَعَكُمْ))[3].

لقد حرص الرسول ﷺ في هذه الغزوة على أخذ من هو راغب بالجهاد، ومتطلعٌ إلى الشهادة، وذلك لصعوبة المهمة التي كانت تنتظرهم، لذلك اعتذر عن قبول انضمام الأعراب الذين تخلفوا عن الالتحاق به في الحديبية، وسعوا للمشاركة في خيبر من أجل الغنائم، لذلك كان جيش فتح خيبر نفسه الذي شارك في الحديبية، وبلغ عدده ألف وأربعمئة مقاتل[4]، وما أن اقترب المسلمون من خيبر صلى الرسول ﷺ العصر بالجيش، وأقام حتى المغرب، ومن ثمة أرسل سرية بقيادة عباد بن بشر رضي الله عنه للتعرف على أخبار اليهود، والتأكد من عدم وجود أي كمين فعلم بالرعب الذي دب فيهم، وأخبر الرسول ﷺ بذلك، فأمر بالسير إلى خيبر، ولما وصل إلى مشارفها، استوقف ﷺ أصحابه قائلاً: ((اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها، وشر ما فيها))، أقدموا باسم الله[5].

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية: ج3/ص455.

(2) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 292.

(3) البخاري، الجامع الصحيح المختصر: ج4/ص1541.

(4) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 293.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية: ج4/ص183.

وكان وصول القوات النبوية إلى مشارف خيبر ليلاً، فأمرها ﷺ بالنوم والاستيقاظ باكرًا فتم ضرب خيامها في وادي الرجيع[1] لقطع الإمدادات القادمة من قبيلة غطفان إلى اليهود في خيبر[2]، ففوجئ اليهود بالمسلمين عندما استيقظوا صباحًا، وهربوا إلى حصونهم، وتم ضرب الحصار عليها حتى تم فتحها واحدًا تلو الآخر، وكان أولها حصني ناعم والصعب ثم حصن أبي النزار، وتقع هذه الحصون في شمال شرق خيبر، ثم سقط بيد المسلمين حصن ابن أبي الحقيق المعروف بحصن القموص، وهو من أمنع حصون خيبر، ثم تلاه حصنا الوطيح والسلالم[3].

لم تكن عملية فتح حصون خيبر مهمة سهلة، إذ لاقى المسلمون صعوبة كبيرة في فتح بعضها بسبب المقاومة، فحصن ناعم، استغرقت عملية فتحه عشرة أيام[4]، وكانت راية المسلمون عند حصاره بيد أبي بكر الصديق ﷺ، ولم يفتح الله عليه، وعندما عاد المسلمين، قال ﷺ إنه سيدفع الراية غدًا لرجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح له فطابت النفوس، وبعد صلاة الفجر في اليوم الثالث أرسل في طلب علي بن أبي طالب ﷺ ودفع إليه الراية، فحملها وفتح الحصن على يديه، وكان علي ﷺ يشتكي آنذاك من رمد في عينيه، فبصق الرسول ﷺ فيهما ودعا له فشفي، كما أوصاه الرسول ﷺ بأن يدعوهم إلى الإسلام قبل مداهمتهم، قائلا: ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن تكون لك حمر النعم))، فسأله علي ﷺ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال ﷺ: ((قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك منعوا منكم دماءهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله))[5]، وقتل مرحب سيد الحصن على يد علي ﷺ مما أضعف معنويات سكانه وسهل هزيمتهم[6]، وأسهم في فتح ما تبقّى من حصون خيبر، وكان آخرها حصني الوطيح وحصن السلالم اللذين التجأ إليهما جميع يهود خيبر.

---

(1) وادي الرجيع: هو واد يقع بين غطفان وخيبر نزله الرسول ﷺ عندما سار لفتح خيبر. ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج3/ص29.

(2) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 294؛ أبو فارس، الصراع مع اليهود: ج2/ص45.

(3) رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص501.

(4) الواقدي، المغازي: ج2/ص657؛ رزق الله أحمد، المرجع نفسه، ص501.

(5) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د.ت.)، ج4/ص1872.

(6) العمري، السيرة النبوية الصحيحة: ج1/ص324؛ رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص502.

فحوصرا أربعة عشر يومًا حتى أجبر اليهود على طلب الصلح[1]، وهكذا فتحت جميع حصون خيبر عنوة[2]، بعد قتال دام قرابة الشهر[3].

بلغت الخسائر البشرية لليهود أثناء فتح خيبر ثلاثة وتسعين رجلاً، كما سبيت نساؤهم وذراريهم، وكانت أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها إحداها، فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها[4]، أما غنائم خيبر فقد كانت كبيرة جدًا إلى حد ظهور أثرها على الجانب الاقتصادي للمسلمين وتحسن حالتهم المعيشية، ويتضح ذلك جليًا من خلال قول عبدالله بن عمر ﷺ ما شبعنا حتى فتحت خيبر[5].

خامساً: فتح فدك ووادي القرى وتيماء

بعد أن تم فتح خيبر على يد الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ، أصبح الطريق مفتوحًا أمام المسلمين الذين امتدت سلطتهم إلى شمال المدينة، حيث التجمعات اليهودية المتبقية التي بدأ الخوف يدب في قلوب سكانها كفدك الواقعة إلى الشمال من خيبر، فأراد الرسول ﷺ أن يستغل خوفهم، فأرسل إليهم محيصة بن مسعود الأنصاري ليدعوهم إلى الإسلام، ويستطلع أخبارهم ويقف على نياتهم، ولما علموا بأن خيبر قد فتحت لم يبق أمامهم خيار سوى طلب الصلح من الرسول ﷺ والأمان على أهلهم ودمائهم، وبذلوا له الأموال[6]، فوافق ﷺ على طلبهم، لذلك كانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنها صلحًا، أما اليهود في وادي القرى الواقعة بين خيبر وتيماء[7]، فقد حاولوا التصدي للقوات الإسلامية، ورفضوا الخضوع لها في بادئ الأمر، فأمر الرسول ﷺ بمحاصرتها، إلا أنهم استسلموا بعد

---

(1) الواقدي، المغازي: ج2/ص658- 671.

(2) رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص504.

(3) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 294.

(4) مسلم، صحيح مسلم: ج2/ص1045؛ العمري، السيرة النبوية الصحيحة: ج1/ص327؛ رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص504.

(5) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 295.

(6) دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 382.

(7) وادي القرى: وهو واد خصب ذو بساتين يقع بين المدينة المنورة والشام وهو من أعمال المدينة كثير القرى والنسبة إليه وادي وإليه نسب عمر الوادي وفتحها النبي ﷺ في سنة سبع للهجرة عنوة، ثم صولح أهله على الجزية. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج 5/ص345.

مقاومة بسيطة لأنهم أدركوا عدم مقدرتهم على الصمود[1]، فأقام الرسول ﷺ بينهم أربعة أيام، فغنم المسلمون منها كمًّا كثيرًا من الأموال. أما الأرض وبساتين نخيلها، فقد تركها الرسول ﷺ بيد اليهود حالهم في ذلك حال يهود خيبر وفدك على أن يدفعوا نصف حاصلاتها للمسلمين في نهاية كل عام[2]، وما أن سمع يهود تيماء بأخبار انتصارات الرسول ﷺ، وحسن معاملته، استسلموا له فصالحهم على ما صالح أهل وادي القرى[3]، وبذلك توسعت دولة الرسول ﷺ لتتحول من دولة مدينة يقتصر نفوذها على المدينة إلى دولة إسلامية كبيرة ضمت مناطق خارج المدينة، وتسعى في ذات الوقت إلى توحيد كافة أجزاء الجزيرة العربية ضمن سلطتها.

المبحث الثاني: التعامل النبوي مع اليهود في بقية أنحاء الجزيرة العربية

أما اليهود القاطنين في المناطق الأخرى من الجزيرة العربية كمنطقة مقنا[4] الواقعة في شمال الحجاز وعلى ساحل البحر الأحمر، فقد أرسل إليهم الرسول ﷺ كتاب أمان، بأنهم آمنون بأمان الله تعالى وأمان محمد ﷺ وأن عليهم ربع غزولهم وربع ثمارهم[5]. أما يهود اليمن فقد تمتعوا بحرية تامة في ممارسة عقائدهم وطقوسهم الدينية دون أي تضييق أو إجبار على اعتناق الإسلام مقابل دفعهم للجزية، فقد كتب الرسول ﷺ إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما كان في اليمن كتاب أمان لليهود على دمائهم وأموالهم وحرية معتقداتهم، كما حدد ﷺ مقدار الجزية في هذا الكتاب على كل بالغ وبالغة دينارًا أو عدله من المعافير، ولا يفتن أي يهودي عن دينه[6].

أما الوجود اليهودي في مكة في العهد النبوي، فكان عبارة عن وجود أعداد قليلة منهم ممن امتهنوا التجارة[7]، لاسيما أن أهل مكة قد ارتبطوا بعلاقات تجارية مع اليهود، الذين عملوا في

---

(1) ابن القيم، زاد المعاد: ج3/ص354، 355.

(2) السمهودي، وفاء الوفا: ج1/ص58.

(3) دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 383؛ الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص 296.

(4) مقنا: تقع في بلاد الشام وتقع قرب ايلة: ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج5/ص178.

(5) الواقدي، المغازي: ج3 / ص 1032.

(6) ابو أحمد حميد بم مخلد بن زنجويه، كتاب الاموال، تحقيق: شاكر ذياب فياض، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية (الرياض: 1988م)، ص129.

(7) ابن الجوزي، المنتظم: ج 2/ ص 342؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج2/ص326؛ دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 111.

مجال صياغة الحلي والمجوهرات التي اعتاد المكيون شرائها لنسائهم وصبيانهم لجودة صناعتها[1]، ومن استوطن مكة منهم فلم يشكلوا جالية، فهم لم يتعدوا كونهم موالي كجبر موالي بني عبد الدار، الذي أسلم وأخفى إسلامه وبقي في مكة، وهذا ما أكده المستشرق ولفنسون[2] مستدلًا بعدة أمور منها عدم وجود كنيسة خاصة بهم، فلو أنهم شكلوا جالية لكان لهم مكانٌ خاصٌ لتأدية عباداتهم وطقوسهم الدينية من جهة، فضلاً عن عدم ذكرهم في القرآن الكريم في المرحلة المكية من جهة أخرى، كما هو الحال في ذكر يهود المدينة، إنما يدل على صحة ما ذكرناه آنفًا، فضلا عن عدم وجود أي ذكر وآثار لهم في الأحداث التاريخية في المرحلة المكية للدعوة الإسلامية[3].

أما نجران فقد كان اليهود فيها أقلية مقارنة بالنصارى لهذا كانوا تابعين لهم، فدخلوا في الصلح[4]، وعاشوا كجزء من أهل الذمة في الدولة العربية الإسلامية، وفي البحرين كان هناك قوم من اليهود استوطنوا إلى جانب النصارى، ومع انتشار الإسلام وقيام دولته في عهد الرسول ﷺ، أرسلوا اليه طالبين الأمان، فمنحهم الرسول ﷺ الأمان على أن يدفعوا الجزية عن رؤوسهم[5]، وقد أكدت المصادر الإسلامية بأن المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين أرسل إلى الرسول ﷺ كتابًا يخبره فيه عن وجود يهود ومجوس، فكتب إليه ﷺ قائلاً: ((من أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية)) [6].

المبحث الثالث: سماحة الرسول ﷺ مع اليهود

على الرغم مما قام به اليهود من دور خياني مخزٍ كما هو حالهم في كل مكان وزمان ونقضهم لجميع العهود والمواثيق التي قطعوها له ﷺ، إلا أنه عاملهم وفق المبادئ الإسلامية السمحاء في التعامل مع من دخل في ذمة المسلمين، وعاملهم كجزء من المجتمع، فكان الرسول ﷺ يقضي بين

(1) جلو، اليهود في المشرق الإسلامي، ص 42.

(2) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص 94.

(3) دراذكه، العلاقات العربية اليهودية، ص 111.

(4) احمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية (بيروت: 2008م)، ص 68.

(5) المصدر نفسه، ص81.

(6) ابن القيم، زاد المعاد: ج3 / ص692.

اليهود، عندما يرغبون بالفصل في قضاياهم، ولكن بعد الاطلاع على أحكامهم[1]، كما حدث عندما فصل بين يهود من بني النضير وبني قريظة عند اختلافهما بشأن دية بينهما[2]، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على إيمانهم بعدلهُ وصدقهُ وأمانته، فضلاً عن القضاء بين المسلمين واليهود بما يحقق العدل والإنصاف ورفع الظلم، وهذا ما حدث عندما أمر أحد الصحابة ﷺ برد مال كان قد أخذه من بعض اليهود[3].

سن الرسول ﷺ سنة حسنة في التعامل معهم، فقد أكدت الروايات التاريخية الواردة في كتب الحديث والسير على أنه ﷺ شاركهم طعامهم، كما كان يحضر ولائمهم، طبقًا لما أباحهُ الله تعالى للمسلمين[4]، فضلاً عن قيامه ﷺ بالمشاركة في تشييع جنائزهم ويعود مرضاهم[5]، وكان للرسول ﷺ غلام يهودي قائم على خدمته، فعاده ﷺ واطمأن عليه عندما أصابه مرض الم به[6] كما اقترض ﷺ النقود من اليهود ورهن عنده أمتعتهُ مقابل دينه، فلما توفي ﷺ كانت درعه مرهونة عند يهودي[7]، كما اقتدى به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مرتين، إذ رهن درعهُ عند يهود، عندما تزوج فاطمة بنت ﷺ[8]، والمرة الثانية أخذ صاعًا[9] من الشعير من يهودي مقابل غزل بعض الصوف له[10]

في الحقيقة إن الهدف الذي كان الرسول ﷺ يعمل على تحقيقه هو أن يسير المسلمون على منهجه في حسن التعامل مع أهل الذمة والتعايش معهم بسلام، ونتيجة لذلك سادت بين المسلمين وأهل الذمة بما فيهم اليهود فيما بعد روح التعاون والتسامح.

---

(1) ابن قيم، أحكام أهل الذمة، تحقيق: صبحي الصالح، د.م. (دمشق:1961م): ج1/ص309.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية: ج2/ ص 196.

(3) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، تهذيب تاريخ دمشق، هذبه: عبد القادر بدران (بيروت: 1979م): ج7/ ص352-354.

(4) ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة:ج1/ص270؛ أبن كثير،البداية والنهاية، ج4/ ص184.

(5) أحمد شلبي، مقارنة الأديان ط4، د.م. (القاهرة: 1973م)، ص170.

(6) البخاري، صحيح البخاري، ج7/ص221.

(7) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ج1/ص42.

(8) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دار بيروت (بيروت: 1957م): م8/ص23.

(9) الصاع: مكيال من موازين أهل المدينة ووزنه خمسة ارطال وثلث. ينظر: فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي (عمان: 1970م)، ص63.

(10) سليمان بن احمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد (الموصل: 1984م): ج6 / ص136.

وقد كان تشريع الله تعالى للمسلمين بالزواج من الذميات، من خلال قوله عز وجل ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[1]، فتزوج ﷺ من نساء يهوديات بعد أن اعتنقن الإسلام كأم المؤمنين صفية ﵂ بنت حيي بن أخطب سيد يهود بني النضير[2]، وأم المؤمنين ريحانة بنت زيد من يهود بني النضر[3].

إن مبدأ التسامح الإسلامي تجاه أهل الذمة، وعدالة الرسول ﷺ، أسهم في تشجيع اليهود ودفع بالعديد منهم على اعتناق الإسلام، فقد أسلمت شخصيات لها ثقلها بين الأوساط اليهودية كالأحبار ومنهم مخيريق ﵁ الذي كان حبرًا من أحبار اليهود وعالمًا من علماء دينهم، وجاهد بنفسه وماله، فقتل يوم أحد. أما أمواله فقد تركها وقفًا للرسول ﷺ وله الأمر في أن يضعها أنى يشاء فجعل ﷺ هذه الأموال صدقة، فقال ﷺ: ((مخيريق خير يهود))[4]، كذلك عبد الله بن سلام ﵁ الذي كان يحمل اسم الحصين قبل اسلامه، فأطلق عليه الرسول ﷺ اسم عبد الله، فضلاً عن عدد كبير من عامة اليهود ممن لم تذكرهم الروايات التاريخية[5].

---

(1) سورة المائدة، الاية: 5.

(2) ابن قيم، زاد المعاد؛ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت:2000م)، ص80.

(3) عبد الملك بن حسين العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، د.م. (القاهرة: 1379هـ): ج1/ ص405.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية:ج1/ص140؛ الطبري، تاريخ الرسل:ج2/ص531.

(5) الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية (بيروت: 1374هـ): ج1/ص26.

الفصل



اليهود في ظل الخلافة الراشدة والأموية والعباسية

- المبحث الاول : اليهود في العصر الراشدي
- المبحث الثاني : اليهود في العصر الأموي
- المبحث الثالث : يهود العراق في العصر العباسي

الفصل

4

اليهود في ظل الخلافة الراشدة والأموية والعباسية

المبحث الاول: اليهود في العصر الراشدي

أولاً: يهود الجزيرة العربية

بعد وفاة الرسول ﷺ في سنة 11هـ /632 م تولي الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ (11-13هـ/632-634م) أمر المسلمين، فسار على النهج النبوي في التعامل مع اليهود، ففي الجزيرة العربية، لاسيما خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء، فقد أقرهم الصديق ﷺ على ما في أيديهم، وفق ما عاملهم ﷺ، ولم يغير شيئًا في التعامل معهم[1]، وعندما توفي ابو بكر ﷺ في سنة 13هـ/634 م تولى الخلافة عمر بن الخطاب ﷺ، فسار على نهج الرسول ﷺ وخليفته أبي بكر الصديق ﷺ خلال السنوات الأولى من خلافته، إلا أنه ﷺ غير سياسته تجاه اليهود عندما بلغه قول الرسول ﷺ وهو على فراش الموت ((أن لا يترك بجزيرة العرب دينان))[2]، لكن عمر ﷺ لم يتخذ أي إجراء إلا بعد أن تأكد وتثبت مما وصل إليه، وهذا جزء من المنهج النبوي الذي تربى عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وبناءً على ذلك أرسل عمر ﷺ إلى يهود خيبر رسولاً يبلغهم أن الله عز وجل قد أذن في جلائهم، وطلب ممن لديه عهدٌ من رسول الله ﷺ أن يأتيه به، وأما من لا يمتلك عهدًا عليه أن يتجهز للجلاء من خيبر[3]، فأخذ المسلمون نصيبهم الذي اعطاه الرسول ﷺ لهم من غنائمهم، فتصرفوا في حصصهم تصرف المالكين[4].

---

(1) جلو، اليهود في المشرق الإسلامي، ص 36.

(2) البيهقي، سنن البيهقي الكبرى: ج6/ص266؛ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الاثير، الكامل في التاريخ، ط2، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية (بيروت: 1415هـ): ج2/ص283.

(3) ابن هشام، السيرة النبوي: ج2 / 350-356.

(4) ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، دار الكتب العلمية (بيروت: 1999م)، ص149.

وجد عمر ﷺ أن الوقت أصبح مناسبًا لتنفيذ وصية الرسول ﷺ، لاسيما بعد أن ظهرت على الساحة آنذاك مستجدات أوجبت التنفيذ دون تأخير، إذ إن اليهود لم يتركوا أعمالهم العدائية تجاه المسلمين رغم ما حل بهم من هزائم، ومنها قيامهم بقتل أحد المسلمين في عهد الخليفة عمر ﷺ [1]، ولم يسلم عبد الله بن عمر ﷺ شخصيًا من أذاهم، فخلعت يده بسببهم، وبعد هذه الاحداث أدرك عمر ﷺ ضرورة إجلائهم، لما يشكلوه من خطورة على المسلمين، ويتضح ذلك بشكل جلي من خلال قوله: ((ليس لنا هناك عدو غيرهم هم عدونا وتهمتنا))[2]، كما أن عقلية عمر ﷺ ورؤيته المستقبلية، وخشيته على مصالح المسلمين من جهة كانت من دواعي قيامه بإجلائهم عن خيبر نهائيًا، لاسيما بعد أن لاحظ كثرة الأيدي العاملة المسلمة واكتسابها للخبرة اللازمة من جهة ثانية[3]، ونتيجة لما سبق ذكره، فقد تم اجلاؤهم من خيبر نهائيًا في سنة 7هـ / 628م [4].

أما يهود فدك، فقد أرسل اليهم عمر بن الخطاب ﷺ يأمرهم بالجلاء عنها، إلا أنه لم يسلبهم ممتلكاتهم دون مقابل، إذ أرسل إليهم ثلاثة من الصحابة ﷺ، هم أبو الهيثم بن التيهان ﷺ وفروة بن عمرو بن حيان بن صخر ﷺ وزيد بن ثابت ﷺ، ليقوموا بتقدير القيمة المالية لنخلها وأرضها، لتتم عملية تعويضهم عنها، وأخذها عمر ﷺ منهم، بعد أن دفع لهم نصف قيمة النخل والأرض، وبلغت قيمتها قرابة خمسين ألف درهم[5].

لقد استثنى الخليفة عمر ﷺ من عملية الإجلاء جميع اليهود الذين منحهم الرسول ﷺ عهود أمان على أنفسهم وأملاكهم، ولم يعترضهم نهائيًا، كيهود وادي القرى وتيماء، مما يدل على امتلاكهم لعهود خاصة بهم بخلاف خيبر وفدك، لذ فقد استمر تواجدهم فيها حتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، كما وجد بعض منهم في تيماء حتى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، إلا أنهم انصهروا في المجتمع بعد ذلك، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال انعدام ذكرهم بعد هذا التاريخ[6].

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية:ج2/ص358.

(2) البخاري، صحيح البخاري: ج2 /ص973؛ بدر الدين محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د. ت.): ج13/ص305.

(3) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، د.م. (جده: 1399هـ): ج1/ص188.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية: ج3/ص455.

(5) الواقدي، المغازي: ج 2/ص707.

(6) جلو، اليهود في المشرق الإسلامي، ص 38.

أما يهود نجران، فقد أمر عمر ﷺ بإجلائهم في سنة 20هـ/640م إلى الكوفة في العراق، واستقروا في منطقة النجرانية الخاصة بهم[1]، كما كان هناك وجود قليل جدًا لليهود في الطائف، وهم ممن قدموا إليها من اليمن والمدينة، وعملوا فيها بالتجارة، وفرضت عليهم الجزية، وعاشوا فيها حتى العصر الأموي[2].

لقد تعامل الخليفة عمر ﷺ مع يهود البحرين على نفس المعايير التي تعامل بها مع يهود وادي القرى وتيماء والطائف، وذلك لامتلاكهم كتاب أمان من الرسول ﷺ، فأبقاهم في الجزيرة العربية ولم يجلهم عنها[3]، فضلاً عن وجود أعداد من اليهود في منطقة القطيف ممن كانوا يعملون في التجارة[4].

ثانياً: يهود بلاد الشام

لم يقتصر الوجود اليهودي في بلاد الشام على منطقة واحدة، إنما انتشروا في عدة أماكن، باستثناء القدس التي حرم البيزنطيون سكناها على اليهود[5]، بعد تحريرها في سنة 9هـ/630م من الفرس في عهد الامبراطور البيزنطي هرقل، وفي منطقة يتراوح قطرها 3- 5 ميل[6]، ويرجع السبب في ذلك إلى دورهم الخياني الغادر ضد البيزنطيين، عندما ساعدوا الفرس في الاستيلاء على فلسطين في سنة 610م[7]، وعلى الرغم من ورود بعض الإشارات حول وجود يهودي في القدس، إلا أن الصلح الذي عقده الخليفة عمر ﷺ مع سكانها من النصارى، يدل على ألّا وجود لليهود فيها، وخلوها منهم أثناء الفتح الإسلامي، إذ اشترط النصارى على المسلمين نبذ اليهود وعدم سكناهم

---

(1) ابن الاثير، الكامل: ج2/ص409.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص 57.

(3) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط2، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب (بيروت: 1403م):ج 1/ص12.

(4) جلو، اليهود في المشرق الإسلامي، ص 41.

(5) ظاظا، ابحاث في الفكر اليهودي، دار القلم(دمشق: 1999م)، ص40؛ جلو،المرجع نفسه، ص59.

(6) يحيى بن سعيد الأنطاكي، التأريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت:1954م)، ص 4.

(7) جلو، اليهود في المشرق الإسلامي، ص 56.

إلى جانبهم، وكان نص البند ((ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود))[1]، كما أن جلاء اليهود من المدينة المنورة إلى أذرعات وأريحا حيث أبناء جلدتهم، ولم يتوجهوا إلى القدس يعد دليلاً آخر على خلوها من اليهود عند الفتح الإسلامي، ومنعهم من السكن فيها، وإلا لما رضوا بغيرها لاستيطانهم، لذلك لم يجرؤوا على الإقامة بها طوال العصر الراشدي بأي شكل من الأشكال، وعدم الوجود هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على صحة الشرط الذي وضعه النصارى حول عدم سكنى اليهود إلى جانبهم في القدس[2].

بعد أن انطلقت الفتوحات الإسلامية نحو بلاد الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، لاسيما القدس في سنة 17هـ/638م دخل اليهود في دائرة النفوذ الإسلامي[3]، فكانوا موزعين على مناطق بلاد الشام التي فتحت في العصر الراشدي، ومنها طرابلس التي فتحت في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ (13-24هـ/634-644م)، وبعد توسع رقعة الدولة العربية الإسلامية، انتشر اليهود في أماكن عديدة من الدولة العربية الإسلامية، وأصبح الحال يتطلب أن يكون لهم رئيس ينظم شؤونهم، ويكون أيضًا حلقة وصل وممثل لأبناء ملته أمام الخلافة، وعلى هذا الأساس تم تنصيب رئيس لهم يدعى الكوهن[4] أو الملك[5] أو رأس الجالوت[6]، ويعد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أول من أعاد الاعتراف بهذه الرئاسة بعد زوالها، فتم اختيار البستاني كأول رأس جالوت تولى شؤون اليهود في الإسلام، وكان موضع تقدير من لدن الخليفة عمر ﷺ، وظل هذا المنصب في أعقابه يتوارثونه حتى عصور لاحقة[7]، وعندما تولى معاوية بن أبي سفيان على بلاد الشام أسكن فيها

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج3/ص 609؛ مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد الجليل نباته، مكتبة دنديس (عمان: د.ت.): ج1/ص253.

(2) جلو، يهود في المشرق الإسلامي، ص59.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص 136.

(4) ابو عبدالله ابن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق:علي سامي، د.م. (بغداد:1977م): ج1/ص947.

(5) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ط3، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريده، مطبعة لجنة التاليف والنشر (القاهرة: 1957م): ج1/ ص60.

(6) رأس الجالوت: هو الممثل المدني والسياسي لليهود، وظهر هذا اللقب بعد الأسر البابلي، ويلفظ بالعبرية (ريش جالوتا) وهي لفظة آرامية تعني رأس الجالية، وعنها أخذ العرب لفظة رأس الجالوت. ينظر: بنيامين بن يونه التطيلي، رحلة بنيامين، دار الوراق (بغداد: 2011م)، ص196.

(7) غنيمة، نزهة المشتاق، ص 101-102.

جماعة من يهود الأردن [1]، فضلاً عن انتشارهم في مناطق أخرى، واستمر هذا الانتشار حتى العصر الأموي، وهذا ما سنتناوله في المبحث اللاحق.

ثالثاً: سماحة التعامل الراشدي مع اليهود

لقد سار الخلفاء الراشدون ﭬ على منهج الرسول ﷺ في التعامل مع اليهود ومراعاتهم وحفظ حقوقهم باعتبارهم جزءًا من مكون أهل الذمة، وكان لانطلاق الفتوح والتحرير والدعوة إلى الإسلام في هذا العصر، أثرها في احتكاك المسلمين مع سكان البلاد المفتوحة، والتعامل معهم وفق مبادئ الإسلام القائمة على التسامح والمساواة والعدل وعدم الظلم ومصادرة الحقوق، لذلك رحب أهل الذمة بهم، بل قدم بعض المسيحيين واليهود المساعدة لفتح مدنهم وبما أن موضوع الدراسة قد اختص باليهود فإننا سنقتصر على ذكرهم فقط دون بقية مكونات أهل الذمة[2]، فأسهم بعض اليهود في تقديم العون والمساعدة للقوات الإسلامية أثناء معاركها، وهذا ما حدث عند تحرير مدينة قيسارية[3] في سنة 19هـ/640م، حيث قدم لهم أحد سكانها من اليهود المساعدة للمسلمين من خلال إرشادهم إلى طريق سهل عملية تحريرها[4].

كان الخلفاء الراشدون ﭬ شديدي الحرص على أهل الذمة والحفاظ على حياتهم وعوائليهم وممتلكاتهم، وخير دليل على ذلك ما قام به الخليفة عمر بن الخطاب ﭬ عندما زار القدس بعد تحريرها، فلم يصلي في كنيسة القيامة مع أن بطركها طلب منه ذلك، تحسبًا من أن صلاته فيها قد تدفع المسلمين لتحويلها إلى مسجد[5]، كذلك الخليفة عثمان بن عفان ﭬ(24-35هـ/644-655م) عندما قام بشراء بئر رومة من رجل يهودي كان يملكه، على الرغم من مقدرته المسلمين على أخذه[6]، كما قام الإمام علي بن أبي طالب ﭬ(36-40هـ/656-660م) برهن درعهُ عند رجل يهود،

---

(1) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ج21/ص356.

(2) ابو الفرج غريغوريوس الملطي المعرف بابن العبري، تاريخ مختصر الدول (بيروت: 1958)، ص 690.

(3) قيسارية: واحدة من مدن الساحل الشامي الواقعة على البحر المتوسط، وهي واحدة من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية مسيرة ثلاثة أيام (قرابة 120كم). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج4/ص214.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص 147.

(5) المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج2/ص 492.

(6) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ط2، د.م. (القاهرة: 1965م)، ص288-289.

كما أشرنا آنفًا[1]، وليس في ذلك فحسب، بل أحسنوا إلى فقرائهم وعادوا مرضاهم، كما حدث في زمن عمر بن الخطاب ﷺ، عندما خصص لأحد اليهود من أهل الذمة مبلغًا من مال الزكاة آخذًا بعين النظر حاجته الماسة إلى المال من جهة، وكبر سنه من جهة أخرى، فطلب من خازن بيت المال يقوم بنفس الشي من نظرائه[2]، كما تمتع اليهود في العصر الراشدي بحرية تامة في ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية وبقوا تابعين لأحبارهم، وذلك وفق عهود الصلح مع المناطق التي دخلها المسلمين، إذ كانت تحمل روح التسامح والرحمة، فترك لهم المسلمون دورهم وأماكن عبادتهم[3]، فضلاً عن حرية التصرف بأموالهم وأملاكهم، وحرية ممارسة الأعمال والمهن بما يتلائم مع شريعة الإسلام، مما كان له دور كبير في حمل الكثير منهم على اعتناق الإسلام[4]، ومن الأمثلة على ذلك إسلام اليهودي يحيى بن أبي حفصة على يد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ[5]، وكذا الحال في عهد الإمام علي ﷺ، عندما أسلم يهودي بين يديه[6]، كما أن رجال الدين اليهود خرجوا لاستقبال الإمام علي ﷺ عندما خرج إلى العراق، وقطع لهم عهدًا يكفل لهم حرية العقيدة وحسن المعاملة، وقد وصل عدد اليهود آنذاك إلى تسعين ألف نسمة[7].

لقد لاقى اليهود من عدالة المسلمين ما لم يلاقوه من أي دين أو قوم ممن عاشوا في كنفهم، حيث سمح لهم بالوقوف أمام القضاء والحصول على حقوقهم من أي شخص مهما علت مكانته الاجتماعية، وارتفع مركزه حالهم في ذلك حال المسلمين، وهذا ما أثبتته كتب التاريخ والسير، حيث اختصم رجل يهودي وآخر مسلم، فتقاضيا إلى الخليفة العادل عمر ﷺ، فقضى ﷺ لليهودي[8]، ولم يقف الأمر عند تقاضي اليهود مع عامة المسلمين، بل تعداه إلى مقاضاة الخلفاء والولاة، وهذا ما

---

(1) ابن سعد، الطبقات: م8/ ص23.

(2) شلبي، مقارنة الأديان، ص 170.

(3) أبو يوسف قدامة بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين(بغداد:1981م)، ص148.

(4) الأصفهاني، الأغاني: ج1/ص141.

(5) أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد،تحقيق:عبد السلام هارون وآخرون (القاهرة: 1949م): ج6/ ص131.

(6) أبن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ج2/ص302.

(7) هاني عبد العزيز السيد سالم، الحركات اليهودية المسيحانية في ظل الإسلام، بحث منشور في مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية (جامعة الانبار 2012م): ع3/ ص119.

(8) محمد بن خلف المعرف بوكيع، أخبار القضاة، تصحيح: عبد العزيز المراغي (القاهرة: 1947م): ج1:/ص45.

حدث عندما وقف الإمام علي ﷺ أمام القاضي شريح[1] مع خصم يهودي[2]، فأنصفه القاضي لعدم امتلاك الخليفة للحجة، فعجب اليهودي من عدل المسلمين وخليفتهم، فأسلم اليهودي واعترف بذنبه تجاه الخليفة، واشترك في القتال في صفوف المسلمين[3].

رابعاً: يهود مصر في العصر الراشدي

لقد تحدثنا في المباحث السابقة عن الوجود اليهودي في مصر قبل الفتح الإسلامي وأشرنا إلى أن هذا الوجود تركز معظمه في الاسكندرية التي مثلت عاصمة مصر آنذاك، لذا فمن الطبيعي إن لا تتناول المصادر الحديث عنهم، إلا بعد الفتح الإسلامي للإسكندرية في سنة 21 هـ/ 641م على يد عمرو بن العاص، وعندما عقد الصلح مع سكان الاسكندرية، كان السماح لليهود بالسكن فيها أحد بنود هذا الصلح[4]، وقد أشار بعض المؤرخين المحدثين إلى أن السماح لليهود بالإقامة في الاسكندرية، كان عبارة عن مكافأة لهم لعدم اشتراكهم في القتال ضد المسلمين، والتزامهم الحياد أثناء فتح الاسكندرية[5]، في الحقيقة إن هذا الرأي ليس صائبًا فإذا ما تتبعنا أوضاع اليهود في ظل الحكم البيزنطي نجد أنهم لم يمتلكوا من القوة شيئًا، ولو أنهم تمتعوا بها لما قبلوا بالخضوع للحكم البيزنطي قبل الفتح الإسلامي من جهة، ولشهروا سيف المقاومة في وجه القوات الإسلامية من جهة أخرى.

لقد بلغ عدد اليهود في الاسكندرية أربعين ألف نسمة حسبما أشارت مصادر التاريخ الإسلامي، عندما أوردت الكتاب الذي أرسله عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ محددًا عددهم بأربعين ألف وجميعهم يدفعون الجزية[6]، وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على

---

(1) هو القاضي أبو أمية شريح بن قيس، وهو من التابعين عينه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قاضيًا على الكوفة، توفي في سنة 87هـ / 706م. ينظر: شمس الدين أحمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محيي الدين (القاهرة: 1948م): ج2/ص167-169.

(2) أبو يعلى محمد بن حسين، الأحكام السلطانية، تصحيح: محمد حامد (مصر: 1938م)، ص50-51.

(3) وكيع، أخبار القضاة: ج2/ص194-200.

(4) جلو، اليهود في المشرق الإسلامي، ص 69.

(5) فاطمة مصطفى عامر، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة: 1999م):ج2/ ص95.

(6) ابو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر (بيروت: 1996م)، ص82.

أنهم جزء من سكان البلاد، وما السياسة التي انتهجها الفاتحون المسلمون تجاه اليهود إلا جزء من سياسة التسامح الإسلامي تجاه الأديان الأخرى في كل زمان ومكان.

لقد عاش اليهود تحت الحكم الإسلامي طوال العصر الراشدي، وهم في ذمة المسلمين وحمايتهم، وعليهم ما على سائر أهل الذمة من واجبات كدفع الجزية، ولهم ما لهم من حقوقهم وقد عومل اليهود وفق مبادئ التسامح معاملة حسنة من قبل المسلمين، فالتزموا بمبدأ حرية العقيدة، فعينوا لهم رأس جالوت يتولى الإشراف على شؤون اليهود، ويحكمهم وفقًا لتعاليم دينهم وعاداتهم وتقاليدهم، ويكون في ذات الوقت مسؤولاً أمام القضاء الإسلامي، ويعتبر أول رأس جالوت تولى شؤون اليهود في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ[1].

المبحث الثاني: اليهود في العصر الأموي

منذ تأسيس الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان، وجد اليهود التسامح وحسن المعاملة من لدن بني أمية، فتمتعوا بحريتهم وحقوقهم كاملة، فعاشوا في كنف الدولة ومارسوا العديد من النشاطات المختلفة[2]، كما أنهم شغلوا العديد من الوظائف الإدارية، وهذا ما سنفصل الحديث عنه في هذا المبحث.

أولاً: السياسة الأموية تجاه اليهود

لقد كان العصر الأموي امتدادًا للعصر النبوي والراشدي من حيث التسامح الإسلامي مع أهل الذمة بما فيهم اليهود، فقد توزعوا في أقاليم الدولة المختلفة، ومنحوا فيها الحرية في ممارسة حياتهم وعباداتهم وطقوسهم الدينية دون أي مضايقة، كما ارتبط رؤساء أهل الذمة وزعمائهم - بما فيهم اليهود - بعلاقات ودية مع الخلفاء والولاة، إذ كانوا يحضرون مراسيم استخلاف أي خليفة أو تولية والٍ جديد[3]، كل ذلك كان يقابله الالتزام للدولة بدفع الجزية التي مثلت ضريبة المواطنة

(1) محاسن محمد الوقاد، اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.م.: 1999م)، ص39.

(2) الامين الشيخ النور، أهل الذمة في العصر العباسي الاول، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الاداب (جامعة أم درمان: 2001م)، ص 35.

(3) موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم السعدي المعروف بابن ابي أصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، دار الثقافة (بيروت: د.ت.): ج2/ص161.

لقاء الحفاظ على أرواحهم وعوائلهم وأماكنهم المقدسة والدفاع عنها أمام أي خطر خارجي، وقد اختلف العصر الأموي نوعًا ما عما سبقه من عصور من حيث التسامح والتساهل مع اليهود من خلال استخدامهم في الأعمال الديوانية، وبعض أعمال الترجمة، وما تعلق بالأمور المالية، كضرب النقود وسكها نتيجة امتلكهم لخبرات ومهارات كبيرة في هذا الجانب[1].

فكانت هذه السياسية المتسامحة عاملاً مشجعًا لليهود على الوفود إلى حواضر الدولة العربية الإسلامية، والاتصال بالخلفاء وولاتهم، ففي دمشق عاصمة الخلافة الأموية استوطن فيها اليهود، لاسيما الطبقة المثقفة منهم كالأطباء والشعراء وغيرهم، إذ ارتبطوا بعلاقات طيبة مع الخلفاء الأموين وكان لهم حضورهم في بلاط الخلفاء، وكان أول حضور لليهود في عهد

معاوية بن أبي سفيان الذي اتخذ من اليهودي سرجون الرومي كاتبًا له، وأصبح له دور بارز في عهده، فظل يعمل في هذه الوظيفة معاصرًا عدة خلفاء بعد معاوية[2].

أما عهد الخليفة مروان بن الحكم(64-65هـ/683-684م)، فهناك شاهدٌ آخر على على ما أشرنا إليه، إذ قرب إليه الشاعر اليهودي مروان بن سليمان، الذي كان على صلة طيبة به، فما كان من أثر هذه الصداقة الطيبة، إلا أن اعتنق هذا الشاعر اليهودي الإسلام على يد الخليفة مروان بن الحكم[3].

لم يكن التسامح الإسلامي تجاه اليهود من لدن الخلفاء فقط، كذلك فعل ولاتهم كوالي العراق خالد بن عبد الله القسري الذي كان متسامحًا مع اليهود وغيرهم من أهل الذمة فقربهم إليه وأوكل اليهم بعض الوظائف الإدارية[4]، وكجزء من السياسة الأُموية تجاه أهل الذمة قام والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي باستخدام اليهود في الأعمال الكتابية والمالية خاصة، إذ استخدم شخصا يهوديًا يدعى سمير في أعمال ضبط أوزان الدراهم[5].

---

(1) وولتر ج. فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية للدولة الإسلامية « العباسية -الفاطمية - الالخانية »، ترجمة: سهيل زكار، دار التكوين للنشر والتوزيع (دمشق: 2005م)، ص 6.

(2) النور، أهل الذمة، ص 35.

(3) كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، د.م. (القاهرة: 1961م): ج2/ص21.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج 7/ص131؛ يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ترجمة: محمد عبد الهادي، د.م. (القاهرة: 1985م)، ص319.

(5) القلقشندي، صبح الاعشى: ج1/ص425؛ المقريزي، النقود الإسلامية، ط5، تحقيق: محمد السيد، د.م. (النجف: 1967م)، ص11.

أن سياسة الشدة التي انتهجها الحجاج تجاه أهل الذمة - بما فيهم اليهود- في بعض الأحيان، أدت إلى قيام بعض المستشرقين المجحفين إلى سحب هذا الفعل على العصر الأموي كله، وهذا ما لا يصح إذ لا يمكن اتهام أحد بجريرة الآخر من جهة، كما أن شدة الحجاج لم تقتصر على اليهود بل طال المسلمين أيضًا.

لم يقتصر دور اليهود على العمل في بعض الوظائف الإدارية في العصر الأموي، بل إن بعضهم قد برع في مجالات أخرى، لاسيما في الحياة العلمية، مثل الانكباب على دراسة الطب وممارسته، فضلاً عن قيامهم بترجمة كتبه من اللغات الاخرى كاللاتينية والفارسية إلى اللغة العربية، وكان الطبيب اليهودي ماسرجيوس واحدًا من أشهر أطبائهم ومترجميهم آنذاك[1] فضلاً عن سرجون الرومي الذي عمل أيضًا في مجال الطب[2].

أما سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ (99-101هـ/717-719م)، فإنها كانت مختلفة تمامـــًا عن سياسة من سبقه من الخلفاء الأمويين، إذ عمل جاهدًا على إحلال الموظفين

المسلمين محل الموظفين اليهود والنصارى في وظائف الدولة الإدارية والمالية، كما حرم عليهم ركوب الخيل، والزمهم ركوب البغال، وكتب بذلك إلى جميع ولاته في أقاليـــم الدولـــة العربيـــة الإسلامية[3]، وعلى الرغم من هذه السياسة، إلا أنه منحهم حرية التعامل معهم بحرية وفق ما منحه لهم الإسلام من حقوق، لاسيما وهو الخليفة العادل مع الجميع سواء كانوا مسلمين أو غير المسلمين، وهكذا كانت السياسة الأموية المتسامحة مثار إعجاب للكثير من المستشرقين الغربيين، فأشادوا بها كثيراً من خلال كتاباتهم التي سطروها، فقد أشار ج. هـ جانس إلى فضل فتح المسلمين للأندلس، ويقصد الفتح الأموي الذي حافظ على حياة اليهود، فيقول: ((في مناسبتين من التاريخ اليهودي في أوربا نرى أن بقاء اليهود على قيد الحياة يعود إلى استضافة وحماية الحكام المسلمين، كانت الفترة الأولى في القرن السادس الهجري، عندما وضعت الفتوحات الإسلامية اليهود في إسبانيا حدًا للاضطهاد اليهودي على يد المسيحيين هناك، ومنذ القرن العاشر فصاعدًا أخذ الضغط على اليهود في أوربا الغربية في الازدياد ببطء حتى إذا ما أطلّ القرن السادس عشر كانت تلك المنطقة قد أفرغت من اليهود ما عدا بعض الجيوب الصغيرة والمبعثرة، لقد انتقلت الجاليات اليهودية نحو الشرق، ووجدت ملجأ لها في الإمبراطورية العثمانية)).

---

(1) جمال الدين ابو الحسن يوسف ابن القفطي، تاريخ الحكماء، د.م (لايبزك: 1908م)، ص 324.

(2) النور، أهل الذمة، ص 79.

(3) ابن عبد الحكم، عمر بن عبد العزيز، المطبعة الرحمانية (مصر: 1927م)، ص 165-166.

كما أشار المستشرق ول ديورانت صاحب قصة الحضارة أثناء حديثة عن التاريخ الأموي ((كان أهل الذمة المسيحيين والزرادشتيين واليهود والصابئين يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نظير لها في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فقد كانوا أحرارًا في ممارسة شعائرهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي لون خاص، وأداء فريضة عن كل شخص، وتختلف هذه باختلاف دخله وتتراوح بين دينار وأربعة دنانير (من 4,75 الى19 دولار أمريكي)، ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويعفى منها الرهبان والنساء والذكور الذين هم دون سن البلوغ والأرقاء، والشيوخ، والعجزة، والعمى الشديد والفقر، وكان الذميون يعفون في نظير هذه الضريبة من الخدمة العسكرية، أو إن شئت فقل لا يقبلون فيها – ولا تفرض عليهم الزكاة البالغ

قدرها قــدرها 2،5 % من الدخل السنوي، وكان لهم على الحكومة أن تحميهم، ولم تكن تُقبل شهاداتهم في المحاكم الإسلامية، ولكنهم كانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم وقضاتهم وقوانينهم)) [1].

ثانياً: التوزيع السكان لليهود في العصر الاموي

كما كان هناك وجود قليل جدًا لليهود في الطائف، وهم ممن قدموا اليها من اليمن والمدينة، وعملوا فيها بالتجارة، وفرضت عليهم الجزية، وعاشوا فيها حتى العصر الأموي وابتاع منهم معاوية أمواله التي بالطائف[2].

أما في بلاد الشام فقد توزع اليهود في مناطق مختلفة منها منذ القدم، إذ لا تكاد مدنها المختلفة تخلوا منهم، إلا أن هذا الوجود تباين من مدينة إلى أخرى، نتيجة لاختلاف الأسباب سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم دينية، وبما أن مدينة القدس من أهم المراكز الشامية لما تتمتع به من قدسية في الأديان السماوية ثلاثة، فإننا سنتناول الوجود اليهودي فيها قبل غيرها من بلاد الشام، فقد سبق وأن أشرنا إلى أن الوجود اليهودي انعدم فيها منذ عهد الرومان الذين حرموا عليهم دخول المدينة، واستمر الحال بعد الفتح الإسلامي طوال العصر الراشدي والشطر الأول من العصر الأموي، ونتيجة للتسامح الإسلامي مع أهل الذمة من جهة، وتغير الأوضاع وتطورها في هذا

(1) محمد إلهامي، اليهود بين أمة الإسلام والأمم الأخرى، مقال منشور في مجلة المجتمع الالكترونية المنشورة على شبكة الانترنيت في الساعة 09:23 في يوم 07/يناير/2018.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص 57.

العصر من جهة أخرى، لاسيما وأن القدس أصبحت مدينة إسلامية وخضعت لسلطتهم، فتسامحوا مع اليهود في الدخول اليها، فاستفاد اليهود من هذا التحول، واستثمروا التسامح معهم، واستغلوا ما حدث من فتن واضطرابات داخل الدولة متسللين إلى بيت المقدس والسكن فيها[1].

لقد أكدت المصادر الإسلامية على أن الوجود الأول لليهود في القدس خلال العصور الإسلامية يرجع إلى العصر الأموي، وتحديدًا في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م)، الذي وافق على دخول عشرة أشخاص منهم إلى المدينة للعمل بصفة خدم في فناء الحرم القدسي، للقيام بأعمال التنظيف مقابل إعفائهم من الجزية السنوية المستحقة عليهم. أما في عهد ولده الخليفة سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/715-717م)، تطور عمل اليهود في القدس إلى أكثر من أعمال التنظيف، إذ تم تكليفهم بإنارة بيت المقدس، وعندما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز(99-101هـ/717-720م)، اتبع سياسة مغايرة لسياسة أسلافه تجاه اليهود، فعزلهم عن الخدمة في الحرم القدسي، وأوكل أعمال الخدمة فيه للمسلمين فقط[2].

المبحث الثالث: يهود العراق في العصر العباسي

أولاً: السياسة العباسية تجاه اليهود

بعد زوال الدولة الأموية على أيدي العباسيين، وقيام خلافتهم في سنة 132هـ/749 م تمتع اليهود بحرية امتدادًا للعصور السابقة، باعتبارهم من أهل الذمة داخل ديار الإسلام وتحت حمايتهم، فتقرب الخلفاء العباسيون وأهل العلم والدراية من اليهود[3]، فازدادت أدوارهم في الجوانب الاقتصادية كالمال والتجارة بشكل كبير، لاسيما بعد بناء مدينة بغداد سنة 146هـ/763م، إذ أصبحت مقرًا لرأس الجالوت منذ عهد الخليفة أبو جعفر المنصور(136-158هـ/753-774م) ليكون على مقربة من قصر الخلافة[4]، واتبعت الخلافة العباسية سياسة متسامحة تجاه اليهود، ومن مظاهر هذا التسامح شارك الخلفاء في احتفالية اختيار رأس الجالوت، فعندما يتم اختيار الشخص المناسب، ويقر من قبل الخليفة، ينصب بعدها وسط احتفالٍ كبير، فيرسل الخليفة بواحدة من ركائبه لتنقله إلى قصر الخلافة، وبرفقته الأمراء والنبلاء، وحاملاً معه الهدايا الثمينة والتحف

(1) جلو، اليهود في المشرق الإسلامي، ص 59.

(2) العليمي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ج1/ص281.

(3) كيوان، اليهود في الشرق الاوسط، ص20.

(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج2/ص475.

النفيسة ليقدمها للخليفة وحاشيته فيستلم كتاب تعيينه، ومن ثمة يعود إلى داره بموكبه الخاص، وسط إحاطة أبناء الطائفة اليهودية، فتستخدم الأبواق وتقرع الطبول عند عودته[1].

بعد أن ينتهي احتفال اليهود يقوم رأس الجالوت بالدعاء للخليفة العباسي وموظفيه، الذين يقدمون المساعدة للمدارس اليهودية[2]، وجرت العادة أن تسند الخلافة المنصب إلى شخص من طائفة اليهود الربانيين، لأنه المذهب الرسمي لليهود في الخلافة العباسية[3].

لم يقتصر دور الخلافة على تعيين رأس الجالوت فقط، بل إنها كانت تقوم بفض النزاعات التي تحدث بين المتنافسين على المنصب، وهذا ما حدث في خلافة أبـي جعفر المنصـور، عندمـا توفي شلومو بن حسدائي فتنازع ولديه

حنينًا وعنان على منصب رأس الجالوت، فتولاه عنان، كما حدث نفس الامر في عهد الخليفة المأمون(198-218هـ/813-833 م)، فتم حل النزاع من قبل الخليفه نفسه[4]، واستمرت هذه السياسة المتسامحة تجاه اليهود حتى سنة 235هـ/849 م، إذ أخذت منحى آخر عندما أمر الخليفة المتوكل (232-247هـ/846-861 م) أن يتميز أهل الذمة بما فيهم اليهود بزي خاص، فيرتدوا الطيلسان العسلي والزنانير، وأن تستبدل ركوب السروج بركوب الخشب وعلى رؤوسهم القلانس المختلفة الألوان، وأن يضعوا على دورهم أساطين من خشب مسمورة، وذلك لتمييز دورهم عن دور المسلمين، وأمر بعدم الاستعانة بهم في دواوين وأعمال الدولة، لاسيما التي تخالف أحكامهم فيها أحكام المسلمين، كما نهى أن يتعلم أبناؤهم في كتاتيب المسلمين، وأمر في ذات الوقت أن لا تسوى قبورهم بالأرض كي لا تتشابه مع قبور المسلمين، وأن يقتصروا على ركوب الحمير والبغال دون الخيل، وهذه الأوامر كانت تطبق بجدية ودون تهاون وتراخ، لكنها سرعان ما تتلاشى، ويعود كل شي إلى ما كان عليه مع مرور الوقت، فترجع سياسة التسامح مرة أخرى[5]

---

(1) التطيلي، رحلة بنيامين، ص 138.

(2) شاكر مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العباسي، دار السلاسل للطباعة (د.م.: 1988م):ج2/ص328.

(3) القلقشندي، صبح الاعشى: ج11/ص385.

(4) أبراهام بن يعقوب، موجز تاريخ يهود بابل من بدايتهم وحتى اليوم، ترجمة: علي عبد الحمزة لازم الناصري، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية اللغات (جامعة بغداد:2000م)، ص46؛ كيوان، اليهود في الشرق الاوسط، ص20.

(5) برهان الدين ابن دقماق، الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين، عالم الكتب (د.م.: 1985م):ج1/142-143.

عندما تولى الخلافة المقتدر بالله (295-316هـ/907-928م) تولى منصب رأس الجالوت داود بن زكي [1]، وفي عهد الخليفة المقتفي بأمر الله(530-555هـ/1135-1160م) تم جمع رئاسة الطوائف اليهودية في جميع منطقة شرقي الفرات لسليمان بن حسداي مهمة، فضلاً عن توليته وظيفة قاضي عامة اليهود، وجعل له عشرة معاونين كي يساعدوه في تدبير أموره، ونظرًا للمكانة التي تمتع بها، فقد نعته المسلمون بسيدنا ابن داود، في حين خاطبه اليهود بسيدنا رأس الجالوت، وتم منحه سلطات واسعة، وأصبحت له كلمة مسموعة عند جميع أبناء طائفته في أراضي الخلافة، وعلى الجميع من يهود ومسلمين الوقوف عند حضوره إجلالاً له، كما يسير معه مجموعة من الفرسان اليهود والمسلمين أثناء خروجه لمقابلة الخليفة، ويسير أمام موكبه رجل ينادي على الناس كي يفسحوا الطريق له، ويرتدي زيًا فخمًا عليه شعار الخلافة وعندما يصل يستقبله الأخير ويأخذ بيده، وحينما يدخل على الخليفة يبادر إلى أخذ يده، والترحيب به، ثم يجلس على كرسي مخصص له قبالة الخليفة[2].

في الحقيقة إن ما أسلفنا الحديث عنه يبين وبشكل جلي مدى احترام الخلافة والمسلمين لرئيس اليهود، وعلو مكانته التي تمتع بها، وتعد مظاهر الأبهة التي احيط بها من فخامة الموكب والتقدير الذي حظي به خير دليل على ذلك، فالخلفاء العباسيون انتهجوا سياسة أسلافهم في التسامح والرفق بهم.

لم تقصر وظيفة رأس الجالوت على ما ذكرنا بل إنه جمع في سنة 570هـ/1174م بينها وبين وظيفة رئيس المدارس الدينية(رأس المثيبة)[3]، الذي كان يمتلك الأفضلية في انتخاب رأس الجالوت، ونتيجة لهذا الجمع أصبح رأس الجالوت يمثل أكبر مرجع ديني وسياسي لليهود في العراق وشرق الفرات[4]، كما كان تولي منصب رأس المثيبة يتم أيضًا بمرسوم من الخليفة، كما حدث في سنة 645هـ/1247م عندما عين دانيال بن شمويل بن أبي الربيع في هذا المنصب، فستصحب بوساطة أحد حجاب الخلافة إلى مجلس قاضي القضاة وقرأ عليه مرسوم توليته على أبناء دينه [5]، ومما

---

(1) علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله الصاوي، (القاهرة:1938)، ص113.

(2) التطيلي، رحلة بنيامين، ص 138.

(3) راس المثيبة: منصب يقصد به رئاسة المدرسة الدينية التي تدرس التوراة والتلمود فيها. ينظر: ابن يعقوب، موجز تاريخ يهود بابل، ص8، هامش (2).

(4) للمزيد ينظر: التطيلي، رحلة بنيامين، ص 198-201.

(5) كمال الدين ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، د.م.(بغداد:1932م)، =

يدل على ذلك التماس البعض من الراغبين بتولي منصب رأس المثيبة من الخليفة أن يعينهم، كما حدث سنة 648هـ/1250م عندما التمس اليهودي المدعو غالي بن زخر الأربلي من الخليفة المستعصم بالله(640-656هـ/1242-1258م)أن يوليه منصب رأس المثيبة لليهود، فوافق الخليفة على طلبه[1].

لقد امتاز المتولين لهذا المنصب بأنهم أصحاب علم ومعرفة دينية ودنيوية متنوعة، كالفلسفة والحكمة والخط، كما أنهم تولوا مناصب إدارية إلى جانب رئاستهم لأبناء دينهم، فأصبح البعض منهم جهابذة[2] في الدولة العباسية[3].

منحت الخلافة العباسية صلاحيات واسعة لرأس الجالوت اليهودي، فكان مخولاً من قبل الخليفة بممارسة سلطاته تجاه أبناء طائفته بحرية تامة، وتسري صلاحياته على جميع اليهود في كل المناطق التابعة للخلافة، كما منحته الخلافة صلاحيات إنابة أشخاص يمثلونه برئاسة اليهود في المناطق الخاضعة لها، فضلاً عن تخصيص راتب له ومخصصات مالية تدفعها له من المبالغ المستقطعة من الجزية التي يدفعها أبناء ملته للدولة[4].

وعندما الاستيلاء الفاطمي على مصر والشام في سنة 365هـ/975م اقتصر نفوذ رأس الجالوت على العراق والمشرق فقط، وتم تعيين أول رأس جالوت ليهود مصر، عندما تزوج الخليفة العزيز بالله الفاطمي(365-386هـ/975-996م) من ابنة الخليفة العباسي الطائع لأمر الله(363-381هـ/973-991م) سنة (366هـ/976م)، وأثناء تفقدها لشؤون بلادها الجديدة لاحظت عدم وجود ممثل سياسي لليهود كرأس الجالوت في العراق، فاقترحت على زوجها الخليفة تنصيب أحدهم لرئاسة اليهود في الفسطاط، فتم ذلك وأطلق عليه لقب ناجيد، ومنح صلاحية تعيين الأحبار والقضاة

= ص218؛ الملك الأشرف الغساني،العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك،تحقيق:شاكر محمود(بيروت:1975م):ج2/ص561.

(1) ابن الفوطي، المصدر نفسه، ص 248.

(2) الجهبذة: الجهبذ في اللغة هو النقاد الخبير بغوامض الامور البارع العارف بالنقد، وقد ظهر هذا اللقب في المصادر العربية منذ ايام الخليفة ابو جعفر المنصور. ينظر: الزبيدي، تاج العروس: ج9/ص392.

(3) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص 224؛ علي بن أنجب المعروف بابن الساعي، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تصحيح: مصطفى جواد (بغداد: 1943م): ج9/ص283.

(4) التطيلي، رحلة بنيامين، ص 137-138، 160؛ بدري محمد فهد، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير (بغداد: 1973م)، ص337.

اليهود ضمن مناطق نفوذ الدولة الفاطمية، وبعد إنهاء الخلافة الفاطمية، وعادت مصر تابعة للخلافة العباسية في سنة 567هـ/1171م، عادت تبعية يهودها مرة أخرى لنفوذ رأس الجالوت[1]، وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل أثناء الفصل المخصص لتناول أوضاع اليهود في العصر الفاطمي.

أما الوجود اليهودي ضمن مناطق نفوذ الخلافة العباسية، فإنهم انتشروا في مناطق مختلفة من الدولة العربية الإسلامية، ففي العراق استقروا في مناطق كثيرة منه، وتفاوتت كثافتهم من منطقة إلى أخرى، فقد بلغ عددهم في بغداد عاصمة العباسيين قرابة أربعين ألف، وكانت أوضاعهم على أحسن ما يرام، إذ عاشوا بأمان وسلام ورفاهية، فأصبح لهم حي خاص في بغداد، واختلطوا بالسكان وتأثروا بعاداتهم، فتكلموا العربية مثلهم[2]، كما استوطنت أعداد أخرى منهم في كل من الموصل وجزيرة ابن عمر[3] الواقعة على نهر دجلة فضلاً عن وجود قسمٍ منهم في الأنبار وبابل والكوفة وغيرها من مدن العراق.

أما في اليمن التابعة للخلافة العباسية، فقد استوطنوا في عدة مدن منها مثل زبيد وخولان وعدن التي تميزت بوجود أعداد كبيرة من اليهود[4]، كما سكنوا بعض المناطق الأخرى من بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند و شيراز[5]، وأصبهان[6]وخراسان[7]، وكان سكناهم بين المسلمين وبقية أهل الذمة، لاسيما بعد الغزو المغولي وإسقاط الخلافة العباسية في سنة 656هـ/1258م، فهربت أعداد كبيرة من منهم إلى مختلف الاصقاع، فكانت هذه الهجرة من أكبر وأعظم موجات النزوح اليهودي من العراق، إذ تفرقوا على إثرها إلى بلاد فارس وأفغانستان وبخارى وسمرقند في تركستان[8]، إلا أن وضعهم تحسن كثيراً، عندما نال أحدهم حظوة طيبة لدى المحتلين، وهو الطبيب سعد الدولة

---

(1) غنيمة، نزهة المشتاق،ص 119؛ مصطفى، المدن في الإسلام:ج2/ص331-332.

(2) عبد الجبار الجومرد، هارون الرشيد (بيروت: 1956م): ج1/ص199؛ داهية العرب أبو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العباس(بيروت:1963م)، ص 388.

(3) جزيرة أبن عمر: بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام أي قرابة 120كم. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج2/ ص79.

(4) التطيلي، رحلة بنيامين، ص 126-127، 135، 141، 150، 169.

(5) المصدر نفسه، ص159.

(6) أحمد بن محمد المعروف بأبن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، د.م. (ليدن:1891م)،ص267.

(7) محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، د.م. (ليدن: 1906م)، ص323.

(8) حمدان، أنثروبولوجيا اليهود، ص62-63.

اليهودي، الذي أصبح مستشارًا للسلطان أرغون (683-691 هـ/1284-1291م)، إذ توصل سعد الدولة إلى السلطان عن طريق الطب وشرح له أحوال بغداد[1]، وبعد أن اقتنع بكلامه مكنه من العراق، وعده من الناصحين له والمخلصين لمصالحه، فصارت بيده خزائن المغول، ومنحوه صلاحيات واسعة، وصار له القول الفصل، فعين أخوته ولاة على بغداد والموصل، وقد بالغ الشعراء في مدح سعد الدولة كثيراً، حتى جمعت المدائح التي قيلت في حقه في مجلد كامل، غير أن سعد الدولة لم يلبث أن أساء معاملة المسلمين، وأضر بنفقات مساجدهم وأوقافهم، فتألموا منه كثيراً وثاروا عليه، فانتقم منهم بقسوة أكسبته عداوة الأمراء، وزادت من كره الناس له ولليهود معًا، فكانت عاقبته القتل على يدهم، بعد أن ثارت العامة على اليهود ونهبت أحياءَهم ثلاثة أيام، وقتلوا عددًا منهم، وحدث مثل ذلك في الموصل ونتيجة لذلك قام جمال الدين الاستجرداني الذي فوض إليه أمر العراق، بمنع العامة من القيام بمثل هذه الأعمال وعاقب بعضهم، فسكنت الفتنة، وبقي الحال على ما هو عليـه حتى الـغزو التيموري للعراق في سنة 802 هـ/1400م، فخاف اليهود أن يحدث معهم ما حدث في أيام

الغزو المغولي، فتجمعوا في بغداد، ورغم ذلك قتل منهم عدد كبير، قدرته الروايات التاريخية بعشرة الآف يهودي في بغداد والبصرة والموصل، ودمروا مدارسهم، وانقطعت رئاسة اليهود بينهم زمنًا، وتفرقوا في البلاد، فغدت حالتهم مؤلمة[2].

ثانياً: اليهود والعمل الاداري والاقتصادي في العصر العباسي

استمر اليهود في حياتهم بشكل طبيعي خلال العصر العباسي، ومع قيام دوائر الجهبذة واتساعها، أصبح جل الجهابذة من أهل الذمة لاسيما اليهود، وعلى الرغم من ازدياد مكانتهم ودورهم المؤثر على الصعيد الاقتصادي في العصر العباسي، إلا أن العباسيين لم يسلموا أحدًا من أهل الذمة سواء من اليهود أو المسيحيين مناصب عليا في الدولة كالوزارة وغيرها، كما هو الحال في العصر الفاطمي في مصر، والذي سنفصل الحديث عنه في مباحث لاحقة[3].

---

(1) يعقوب يوسف كورية، يهود العراق تاريخهم وأحوالهم وهجرتهم، الاهلية للنشر والتوزيع (لبنان: 1998م)، ص9-10.

(2) كيوان، اليهود في الشرق الاوسط، ص 21.

(3) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص6.

اقتصر دور اليهود في العصر العباسي على العمل في الدواوين والأمور المالية في الدولة العباسية، ففي عهد المنصور تم استخدام اليهود كعمال في جباية الخراج، وكان موسى اليهودي واحدًا ممن أوكل اليه المنصور أمر الخراج، وتتبع ما لبني أمية والقبض عليه[1].

أما في عهد الخليفة المعتضد بالله (279-289هـ/892-901 م)، فقد زاد عدد اليهود الذين تم استخدامهم في وظائف الدولة[2]، فوصل بعضهم إلى مكانة مرموقة، وأصبح محل ثقة لرجال الدولة الكبار من خلفاء ووزراء كأبي سعد بن سمحاء اليهودي، الذي اتخذه الوزير نظام الملك السلجوقي(ت:485هـ/1092م) وكيلا له[3]، وبما أن الوزارة في العصر العباسي كانت وزارة تنفيذ لا تفويض[4]، لذا فلا يتقلد أي ذمي وزارة التفويض، ويتم تعيينه من قبل الخليفة العباسي في مثل هكذا منصب رسمي حساس في الدولة[5]، وممن تقلد هذا المنصب في العصر السلجوقي الوزير اليهودي أمين الدولة أبو الحسن بن غزال السامري، الذي تقلد الوزارة للسلطان ملكشاه السلجوقي(ت:511هـ/1117م)[6].

أما وظيفة الكتاب فقد تم استخدام النصارى فيها أكثر من اليهود، وعلى الرغم من ذلك ظهر بعض الكتاب اليهود، لاسيما في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي حيث استخدم أحد القادة الأتراك كاتبًا من أصل يهودي[7] وكان أبرز ممن شغل هذا المنصب من اليهود أبو علي بن فضلان الذي كان كاتبًا لزوج السطان السلجوقي طغرل بك(429-455هـ/1037-1062م) [8].

---

(1) النور، أهل الذمة، ص 53.

(2) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص21، هامش (4).

(3) ابن خلدون، العبر: ج3 /ص475.

(4) كانت الوزارة في العصر العباسي على نوعين هما وزارة تفويض ووزارة تنفيذ، فالأولى يكون متقلدها مفوضًا من الخليفة بالتصرف بجميع الأمور الموكلة له بكل حرية دون قيد. أما متقلد وزارة التنفيذ، فيقتصر واجبه على تنفيذ أوامر الخليفة فقط. علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، د.م.(بغداد:1989م)، ص44.

(5) المصدر نفسه، ص 46.

(6) ترتون، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة:حسن حبشي، دار المعارف(القاهرة:1967م)، ص100.

(7) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي، البلدان، د.م. (ليدن:1891م)، ص238.

(8) ابن الجوزي، المنتظم:ج8/ص190.

وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على سعي الخلافة العباسية إلى الاستفادة من قدرات ومهارات اليهود كموظفين لديها، فقد أشارت المصادر الإسلامية المتأخرة إلى أن الخليفة المقتدر أصدر في سنة 908/296م مرسومًا سمح فيه لليهود بالعمل في مجال الطب والجهبذة ضمن إدارة الدولة ((أمر المقتدر ألا يستخدم أحد من اليهود والنصارى إلا في الطب والجهبذة فقط))[1] ونتيجة توسع عمل الجهابذة وازدياد أعدادهم، استحدثت الدولة ديوانًا خاصًا للأشراف عليهم، وأطلق عليه ديوان الجهبذة، وممن تولى أمر هذا الديوان إبراهيم بن أيوب النصراني في سنة 316هـ/928م[2].

على ما يبدو، فإن السبب في اتخاذ الخلافة العباسية لمثل هكذا قرار يرجع إلى حاجة الدولة اليهم من جهة، ومهارتهم في هذه القرارات أفضل من غيرهم من جهة أخرى.

ونتيجة لهذا الإجراء برز في عهد الخليفة المقتدر بالله شخصيتين يهوديتين حملتا لقب جهبذ، هما يوسف بن فنخاس، والثاني هارون بن عمران[3]، وقد أطلقت عليهما المصادر الإسلامية تسمية - الجهبذان اليهوديان أو جهبذي الحضرة - كما أطلق على أحدهما اسم جهبذ الأحواز، وقد يرجع إطلاق هذه التسمية عليه لتوليه بعض المهام في هذه الولاية، كما أن تداول المصادر للشخصيتين إنما يدل على المكانة التي تمتعا بها خلال تلك الحقبة، ومدى العلاقة الحسنة التي ربطتهما بالخليفة المقتدر بالله ورجال دولته، فقد ورد اسميهما ضمن اللائحة البالغة الأهمية والخاصة برجال البلاط وموظفي الدولة[4].

إن المكانة الكبيرة التي تمتعت بها هاتين الشخصيتين تدل على مدى التسامح والحرية التي تمتع بها اليهود في العصر العباسي، كما مارس أهل الذمة آنذاك مهنًا أخرى مختلفة، فكان لها أثرها الكبير على الصعيد الاقتصادي، وكانوا سباقين في ممارسة بعض الصناعات وبرعوا فيها دون غيرهم. ومما يدل على ذلك خبرتهم الكبيرة في مهنة الصياغة التي توارثتها بعض الأسر اليهودية والصابئية[5]

(1) جمال الدين ابو المحاسن يوسف ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة كوستاستوماس (القاهرة: د.ت):ج3/ص165.

(2) عريب بن سعد القرطبي، صلة تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.م. (القاهرة:1982م)، ص175.

(3) المصدر نفسه، ص69.

(4) للمزيد من التفاصيل ينظر: فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص23-42.

(5) مصطفى، المدن في الإسلام: ج2/ص375.

والمجوسية[1]، إلا أن اليهود كانوا أكثر شهرة وخبرة من غيرهم منذ عصر ما قبل الإسلام[2]، فبرعوا في صناعة المجوهرات وبيعها، مما جعلهم أكثر اتصالاً بالخلفاء والحكام والملوك[3].

ثالثاً: الحياة الدينية ليهود العراق في العصر العباسي

لقد أصبح الزعماء الدينيين لليهود في العراق خلال العصر العباسي مرجعًا لجميع يهود العالم، وإليه يرجعون في جميع ما يتعلق في أمورهم الدينية، لاسيما إنهم اهتموا بالعلوم الدينية وتدارسها في مدارسهم التي ظهرت في العراق منذ عصر ما قبل الإسلام، إذ ركزت على دراسة عقيدتهم وأحكام شريعتهم من قبل علمائهم ورجال دينهم المعروفين بالأحبار[4]، الذين تلقوا تعليمهم الديني ودروسهم في ما يسمونه ببيت المدراس[5]، والمخصص لتدريس أحكام التوراة والتلمود، فضلاً عن أقوال رجال دينهم، ويعتمدون في دراستهم على الأسفار الخمسة الأولى من التوراة، كما أن هناك مدرسة أخرى يتدارسون فيها علومهم الدينية وكان يطلق عليها الفهر[6].

كان في بغداد عشر مدارس من هذا النوع (بيت المدراس)، كما كان لكل منها رئيس يدير شؤونها، وتمثلت وظيفة هؤلاء الرؤساء بالنظر في مصالح أبناء دينهم، وفض النزاعات التي تنشب بينهم طوال أيام الأسبوع كل منهم في مدرسته المسؤول عنها باستثناء يوم الاثنين، حيث يجتمع فيه جميع رؤساء المدارس، ويترأس جميع هذه المدارس رجل دين منهم يطلق عليه اسم (رأس المثيبة)، وكل رؤساء المدارس بما فيهم رأس المثيبة يخضع لسلطة لرأس الجالوت، وهم يختصون بأمور الدين فقط[7].

---

(1) علي، المفصل في تاريخ العرب:ج7/ص507.

(2) المرجع نفسه: ج4/ص564.

(3) المرجع نفسه: ج4/ص564.

(4) المرجع نفسه: ج6/ص551-557.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية: ج2/ ص79.

(6) مجد الدين محمد الفيروز آبادي، القاموس المحيط، د.م. (بيروت: 1983م): ج2/ص112؛ عباس محمود العقاد، أبو الأنبياء، د.م. (بيروت: 1967م).

(7) للمزيد من التفاصيل ينظر: التطيلي، رحلة بنيامين، ص 135-136.

في الحقيقة لم يقتصر الأمر على بغداد فقط، بل عدّت الأنبار أيضًا واحدة من المراكز العلمية والدينية المهمة لليهود[1]، إذ نشأت فيها مدرستين هما مدرسة سورا وفومباديتا، اللتين تعدان من المدارس المهمة بالنسبة ليهود العراق، إذ توافد الكثير من اليهود إلى هاتين المدرستين لغرض الدراسة فيها والتبحر في أمور دينهم، من خلال دراسة شريعة التلمود، فضلاً عن إجابة هذه المدارس على التساؤلات والاستفسارات اليهودية التي كانت تعرض عليها من اليهود في مختلف البلدان، لاسيما فيما يتعلق بمسائل الدين الواردة في التلمود[2]، ولا يتم إعطاء الإجابة على الأسئلة المطروحة إلا بعد التحاور في الموضوع مع جميع أعضاء المدرسة، وفي أحيان أخرى تتم الإجابة عن طريق رئيس المدرسة مباشرة[3]، ومن المهام التي كانت تقوم بها هذه المدارس جمع اليهود في هاتين المدرستين لتعليم أمور دينهم، لأن هاتين المدرستين ضمتا كبار كتاب اليهود ومفسريهم، فضلاً عن موظفين من ذوي المراتب المختلفة.

أما النفقات المالية الخاصة بهذه المدارس، فكانت تصرف من واردات الضرائب التي يتم فرضها على اليهود، وفي حالة العجز كان رؤوسائها يلجؤون إلى الطوائف المختلفة لطلب الأموال الكافية لسد نفقاتها [4].

كما كان للخلافة التزاماتها تجاه هذه المدارس، إذ أسهم الخلفاء ورجال الدولة في تقديم المساعدات المالية لهذه المدارس[5]، وخصصت رواتب كبيرة لرؤساء هذه المدارس، فوصل راتب رئيس مدرسة سورا إلى ألف وخمسمئة دينار سنويًا، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى الدعم المالي الذي كانت تقدمه الخلافة العباسية للمدارس اليهودية إلى جانب التبرعات اليهودية التي كانت تقدم لها[6]، هذا على صعيد التعلم الديني.

لقد كان إلى جانب هذه المدارس الرسمية مدارس يهودية أخرى كمدرسة نهر دعة التي مثلت موردًا مهمًا لليهود، إذ كانت تمثل مركزًا لجمع الأموال والهدايا التي يقدمها يهود بلاد فارس

---

(1) علي، المفصل في تاريخ العرب: ج 175؛ الجومرد، هارون الرشيد، ص199.

(2) ابن يعقوب، موجز تاريخ يهود بابل، ص41.

(3) غنيمة، نزهة المشتاق، ص97.

(4) ابن يعقوب، موجز تاريخ يهود بابل، ص43.

(5) مصطفى، المدن في الإسلام: ج2/ ص328.

(6) أبن يعقوب، موجز تاريخ يهود بابل، ص43.

والعراق للمدارس اليهودية في فلسطين فضلاً عن افتتاح روساء المدارس اليهودية الرسمية في الأنبار للعديد من المدارس الدينية إلى جانب مدارسهم [1].

كما ظهر في العصر العباسي منصب علمي وديني يهودي لا يقل أهمية ومكانة عن منصب رأس الجالوت، وأطلق على صاحبه الجاؤون، ولا يتسلم هذا المنصب أي شخص، إلا إذا كان على مستوى عال من المعرفة الدينية، ولهذا كان يتم اختياره من كبار رجال الدين اليهودي، وكان يمنح هذا اللقب لرئيسي مدرستي سورا وفومباديتا في الأنبار فقط، وينظر اليهود إلى صاحب هذا المنصب نظرة إجلال، ويعدوه أعلى من منصب رأس الجالوت، لاسيما أن الأخير كان منصبًا رسميًا، وللدولة حق التدخل في تعيينه واستبداله. أما الجاؤون فهو منصب ديني بحت، فهو من يقوم باختيار القضاة للمدن التي فيها جماعات يهودية، ومن حق الجاؤون تولي منصب رأس الجالوت عند موته لحين اختيار شخص جديد[2].

بقي اليهود يتمتعون بحرية دينية في ممارسة حياتهم الدينية طيلة العصر العباسي باستثناء بعض الأوقات التي مرت بها الخلافة في العصر البويهي والسلجوقي، حيث تعرضت مدارسهم الدينية في بغداد والأنبار، التي مثلت المرجع الديني لجميع اليهود في مختلف أصقاع الدولة لأضرار كبيرة، حالها حال مفاصل الدولة الأخرى، فهي لم تستثن مسلمًا أو ذميًا، مما اضطر اليهود إلى غلق مدارسهم الكبرى بسبب قلة الواردات المالية التي تدعم نشاطاتها لاسيما في عهد الخليفة القادر بالله (381-422هـ/991-1030م)، وأدى بالتالي إلى انتقال مركز اليهود العلمي من العراق إلى الأندلس[3].

رابعاً: النشاط العلمي لليهود في العصر العباسي

لقد كان لليهود دور اليهود واضح على صعيد العلوم الأخرى، إذ عرفوا بنشاطهم العلمي في مجال العلوم الصرفة مثل التنجيم والطب والحساب واللغة وغيرها، فقد تمتعوا بحرية تامة في طلب العلم أو تدريس علومهم، والتنقل بين حواضر الدولة العربية الإسلامية طلبًا للعلم، ومما يدل على ذلك انتقال أربعة من يهود العراق إلى شمال أفريقية في سنة 359هـ/969م

(1) المصدر نفسه، ص53.

(2) مصطفى، المدن في الإسلام: ج2/ ص329-336.

(3) التطيلي، رحلة بنيامين، ص199-200.

الدراسة والتعلم فيها[1]، ويعد علم الفلك والتنجيم من العلوم التي ازدهرت في العصر العباسي، فشكل المنجمون فئة من موظفي الدولة شأنهم في ذلك شأن الأطباء والكتاب والحُساب، فأسهم في الإنفاق عليهم، إذ خصص لهم الرواتب والأرزاق[2] ويعد أبو جعفر المنصور أول من عني بالتنجيم والنجوم، وعرف بميله للتنجيم فلا يكاد يعمل عملاً إلا بعد استشارة المنجمين فيه، فهو أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم، ثم اقتدى به الكثير ممن جاء بعده من الخلفاء العباسيين[3].

وقد برزت العديد من الشخصيات اليهودية في مجال التنجيم، ويعد المنجم ما شاء الله بن أثري من أبرزهم[4] في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور كما كان من مشاهير زمانه في علم النجوم، وقد عاصر كل من المنصور والمهدي والهادي والرشيد والأمين وحتى عهد الخليفة المأمون، واشتهر بكثرة تصانيفه ومنها كتاب (المواليد الكبير) و(القرانات والأديان)، فضلاً عن تصانيف أخرى[5]، ولم تقتصر دراسة علم الفلك والتنجيم على المنجم ما شاء الله بل برع العديد من اليهود في هذا المجال، لاسيما في عهد الخليفة المأمون فكان من أشهرهم سند بن علي اليهودي، الذي أوكل إليه المأمون مهمة إصلاح آلات الخاصة بالرصد، وصنف العديد من الكتب في علم النجوم، فضلاً عن علم الحساب، كما لمع في هذا المجال الفلكي أبن سمويه، وصنف عدة مؤلفات في علم الفلك النجوم، ومن أهمها كتاب (المدخل إلى علم النجوم)[6]، كما برع أحبارهم في مجال التنجيم، فقد كان أبو الفتح إسحاق بن الشويخ رأس مثيبة اليهود بارعًا بعلم الفلك والتنجيم، كما أنه نظم الشعر وكانت له معرفة بمختلف أنواع العلوم [7].

أما ما يتعلق باللغة وعلومها، فقد أبدى اليهود اهتمامًا بالغًا بالنحو وقواعده، ويعد هارون بن الحائك من أشهر النحويين اليهود في الحيرة، وله عدة تصانيف في هذا العلم، ومن أشهرها

---

(1) محمد أبن أبي يعقوب بن النديم، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، د.م. (طهران: 1971م)، ص25؛ غنيمة، نزهة المشتاق، ص115.

(2) المحسن بن علي التنوخي، الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، د.م. (بيروت: 1978م): ج1/ص90.

(3) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه: محمد محيي الدين (مصر: د.ت.): ج2، ص364.

(4) النور، أهل الذمة، ص 64.

(5) ابن النديم، الفهرست، ص333؛ ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ص327.

(6) ابن النديم، المصدر نفسه، ص336؛ ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ص206 -207، 437.

(7) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص224.



(العلل في النحو)[1]، وسعى اليهود بكل جهودهم للتعلم، وبذلوا الأموال الكثيرة من أجل ذلك، فقد بذل أحد اليهود مئة دينار من أجل تعلم كتاب سيبويه على يد النحوي أبو عثمان بكر بن محمد البصري[2]، كما أن اليهود لم يكتفوا بدراسة التوراة والإنجيل على أيدي أحبارهم، بل درسوها على أيدي علماء مسلمين كالعلامة أبو الفتح موسى بن يونس الموصلي، إذ أقروا بأنهم لم يجدوا من يقدم لهم شرحًا وافيًا لكتبهم المقدسة مثله [3]، ومن مواقف اليهود الأخرى التي تدل على حبهم للتعلم والاهتمام به، وتشجيعهم للإقبال عليه قيام أحد أثرياء اليهود في البصرة، بترك وصية أمر فيها بتوزيع جميع أمواله بعد وفاته على طلبة العلم[4].

لقد برع اليهود في مجال الطب، ودرسوه على أيدي أشهر الأطباء المسلمين كالطبيب رضي الدين الرحبي[5]، وبرز اثنان من تلاميذه هما اليهوديان عمران الإسرائيلي وإبراهيم بن خلف السامري[6]، وبرز من بينهم أشهر أطباء العصر العباسي، وحققوا مكانة كبيرة من خلال عملهم في قصور الخلفاء كالطبيب فرات بن شحناثا في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور[7]، كما رافق ولي العهد عيسى بن موسى، واعتمد عليه كثيرًا في كل أموره[8]، ومن الأطباء الذين عملوا في بغداد في العصر السلجوقي الطبيب أبو البركات هبة الله بن ملكا، وقد أغدق السلاجقة عليه في الأموال والهدايا مقابل الخدمات التي كان يقدمها لهم [9].

---

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، د.م. (بيروت: د.ت.): م10/ج19؛ ص262؛ الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، د.م. (مصر: 1911م)، ص302.

(2) ياقوت الحموي، المصدر نفسه: م10/ج19؛ ص262؛ الصفدي، المصدر نفسه، ص302.

(3) ابو الفلاح عبد الحي ابن العماد العبر الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: د.ت.):ج5/ ص206- 207.

(4) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار تحقيق: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب (د.م.:1960م): م1/ص344.

(5) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء: ج2، ص193.

(6) المصدر نفسه: ج2/ص193.

(7) كيوان، اليهود في الشرق الاوسط، ص20.

(8) ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ص255.

(9) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول،ص210.

لقد كان الطبيب أبو البركات، من أبرز الشخصيات اليهودية التي عملت في الطب واعتنقت الإسلام، في عهد الخليفة العباسي المستنجد بالله(555-566هـ/1160-1170م)[1]،كما كان الطبيب الشهير موسى بن ميمون اليهودي الأندلسي معاصرًا للخليفة الناصر لدين الله(575-622هـ/ 1179-1225م)[2]، ممن برعوا في مجال الطب، واعتنق الإسلام وحفظ القرآن و اشتغل بالفقه[3]، ومن علماء اليهود الذين اشتهروا في هذه الحقبة عز الدولة سعد بن منصور بن سعد، الذي لمع في مجال علم النفس، وصنف كتابا أسماه (الأبحاث عن الملل الثلاث)[4].

لقد خصص الخلفاء والأمراء رواتب شهرية عالية لهؤلاء العلماء والأطباء، فضلاً عن الهبات والهدايا النفيسة[5]، وكان أبو البيان بن المدور الطبيب اليهودي الذي تقاضى راتبًا شهريًا قدره أربعة وعشرين دينارًا خير مثال على ما أشرنا إليه [6].

(1) المصدر نفسه: ج1/ ص278؛ الصفدي، نكت الهميان، ص304.

(2) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء: ج2، ص117.

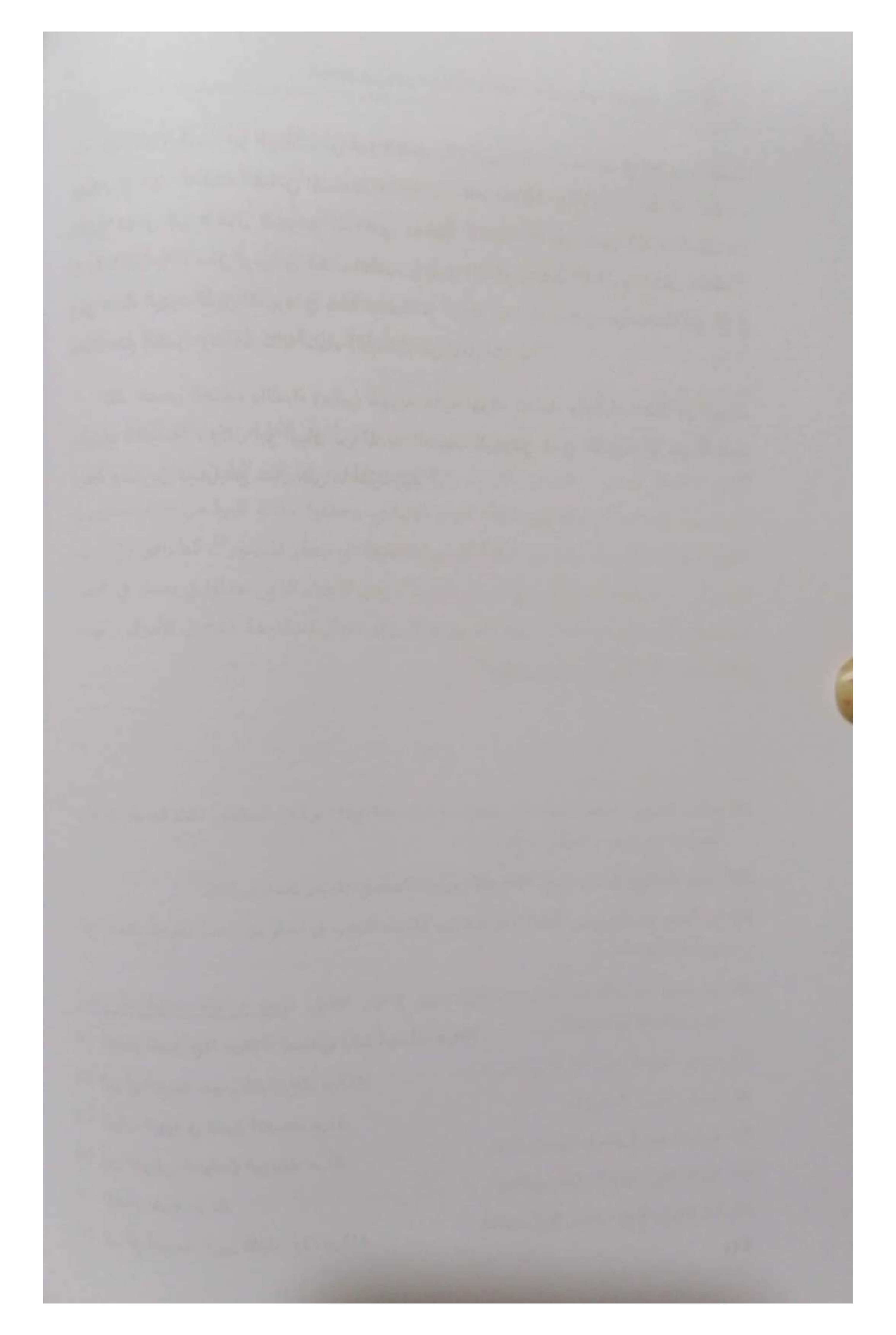
(3) كيوان، اليهود في الشرق الاوسط، ص21.

(4) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص67.

(5) المصدر نفسه، ص67.

(6) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء: ج2/ ص115.





الفصل

5

اليهود في عصر الحروب الصليبية

- المبحث الأول : أوضاع اليهود في أوربا في عصر الحروب الصليبية
- المبحث الثاني:التوزيع السكاني ليهود الشام في عصر الحروب الصليبية
- المبحث الثالث : السياسة الصليبية تجاه اليهود في بلاد الشام
- المبحث الرابع : يهود الشام في عهد صلاح الدين وخلفائه

الفصل 5

اليهود في عصر الحروب الصليبية

لقد تناولت الكثير من المصادر والمراجع الحروب الصليبية التي استهدفت بلاد الشام في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وفصلت في الحديث عنها من حيث الأسباب والماهية، فضلاً عن الاستيطان الصليبي في الشرق الإسلامي لاسيما في بلاد الشام التي أقاموا فيها إماراتهم، التي أصبحت كالخنجر في خاصرة الأمة، وما آل إليه هذا الوجود بعد أن استمر قرابة قرنين من الزمان، وما يهمنا في هذا الجانب هو التفصيل في موقف اليهود منها، باعتبارهم جزءًا من المجتمع الشامي آنذاك، وقد أسلفنا الحديث عن مناطق استيطان اليهود عشية انطلاق الحروب الصليبية، وبما أن اليهود كانوا يشكلون أحد عناصر المجتمع فيها، فلابد أن يكون لهم موقفٌ من الصليبيين سواءً أكان الموقف سلبًا أم إيجابًا حالهم في ذلك حال المكونات الأخرى، وهذا ما سنوضحه في هذا المبحث.

المبحث الأول: أوضاع اليهود في أوربا في عصر الحروب الصليبية

إن الدور الكبير الذي أداه اليهود في أوربا عند انطلاق الحروب الصليبية، يحتم علينا تناول أوضاعهم فيها خلال تلك الحقبة، لاسيما عندما لاقت دعوة البابا أربان الثاني للحروب الصليبية أثناء مجمع كليرمونت 488هـ/ 1095م استجابة سريعة من قبل النبلاء والفرسان الأوروبيين، بل وحتى الطبقة العامة التي أخذت الامر على محمل الجد، بسبب سوء أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية، التي أسهمت في كسب تأييدهم، لأنهم وجدوا فيها المخلص لهم من أوضاعهم المزرية، وكان للوضع الاجتماعي لليهود في أوربا دوره أيضًا في انطلاق الحملة الصليبية الأولى، إذ إنهم كانوا يعيشون منعزلين في مجتمعات خاصة بهم يطلق عليها اسم الجيتو، مما أدى إلى ازدياد الشكوك حولهم، في كونهم مجتمع يتآمر على من حوله ممن يخالفونهم بالدين والمصالح، كما أنهم ظلوا على اتصال بإخوانهم في الدين من يهود المشرق[1] وقد مثل وصول الحملة الصليبية الأولى إلى المشرق

(1) محمد مؤنس عوض، الاضطهادات الصليبية لليهود في حوض الراين بألمانيا عام 1096م / 490هـ من خلال حولية الربي اليعازر بن ناثان، مركز بحوث الشرق الاوسط (القاهرة: د.ت.)، ص 9.



نقطة تحول في العلاقات المسيحية اليهودية، وذلك لأن القوات الصليبية قامت منذ بداية انطلاقها بمذابح واسعة النطاق بحق اليهود، إذ إنهم أطلقوا عليهم اسم أعداء السيد المسيح عليه السلام [1]، فساد اعتقاد لدى الصليبيين بأن قتل الشخص اليهودي سوف يؤدي إلى الحصول على الغفران، ويغسل جميع الخطايا، ومن أجل ذلك يجب أن يبدأ هدفهم المقدس بتطهير الأرض من اليهود، لاسيما من هم في متناول أيديهم فعلى الرغم من عدائهم للمسلمين، فإنهم عدُّوا اليهود أشد عداءً ونكرًا لاضطهادهم للسيد المسيح عليه السلام وصلبه، ولم يكن اليهود آنذاك مستعدين لما سيحدث لهم، لاسيما بعد أن تعهد الصليبيون بالانتقام لدم المسيح عليه السلام من خلال إراقة دم اليهود، وعدم تركهم بدون عقاب، وهم ألد أعداء العقيدة المسيحية[2].

كما كان العامل الاقتصادي من أهم العوامل التي أثارت كراهية الصليبيين الأوربيين لليهود، الذين عرفوا بثرائهم الفاحش، نتيجة عملهم في مجال التجارة التي مارسـوها على طـول الخطوط التجارية الدولية هذا من جهة[3]، وارتباط اليهود القاطنين في أوربـا بعلاقـات وثيقـة مع إخوانهم في بلاد الشرق من جهة أخرى، إذ استقرت الجاليات اليهودية منذ عدة قرون في المراكز المهمة والمحطات الواقعة على الطرق التجارية في أوربا، فحافظوا على ارتباطاتهم بإخوانهم القاطنين في الأراضي البيزنطية والمناطق الإسلامية[4]، لذلك كان دورهم فعالاً وبارزًا في مجال التجارة بين الشرق والغرب، أي إنهم لعبوا دورًا رئيسًا في نشاط الحركة التجارية خلال حقبة العصور الوسطى[5]، مما أسهم في ثرائهم وامتلاكهم للسيولة المالية التي مكنتهم من العمل بالربا الفاحش[6]، وإقراض الأموال للمسيحيين الأوربيين مقابل فوائد كبيرة[7]، وتزامن ذلك مع الازمة الاقتصادية التي كانت

---

(1) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق (القاهرة: 1999م): ج1/ص132.

(2) *Jacobs: «The Jews in England. P.665.*

(3) *N.S. Hecht. An Introduction of The History of Jewish law. Oxford University Press.(Oxford: 1996). p. 301*

(4) سعد بدير الحلواني، اليهود في الحروب الصليبية وموقف صلاح الدين منهم، د.م. (د.م.: د.ت.)، ص 6.

(5) *J. Cohenc. The Decline of European Jewry. in The Middle Ages. ed. By Brian Tierney.(New York: 1962):. Vol. II / P. 277.*

(6) جوناثان ريلي سمث، الحملة الصليبية الاولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة: محمد الشاعر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر: 1999م)، ص95.

(7) يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة: قاسم عبده قاسم وآخر، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (القاهرة: 1999م)، ص 39.

تعاني منها أوربا منذ سنة 393هـ/ 1000م، فاستغل اليهود هذه الظروف لامتلاكهم أموالاً طائلة في مختلف أنحاء أوربا[1].

بدأ الصليبيون باقتراض الأموال من المرابين اليهود لتسليح أنفسهم، فبدأ اليهود باستغلال الأوضاع، واستخدموا سياسة الرهن لأراضي الصليبيين التي استبدلوها بنقود كي يحملوها معهم لسد احتياجاتهم، مما أدى تدهور أسعار المبيعات من الممتلكات العقارية، والأراضي وانخفاضها بشكل كبير[2]، مما أشعل نار العداوة والحقد لدى الأوربيين على كل ما هو يهودي، وغني عن البيان ما عرف عن اليهود من بشاعتهم في التعاملات المالية، وأنهم لا يرحمون من يتعامل معهم في كل مكان وزمان، فقرر رجال الحملة الأولى تطهير الطريق إلى المدينة المقدسة من خلال قتل اليهود، وهم فى طريقهم إلى بيت المقدس عبر ألمانيا والبلقان إلى الإمبراطورية البيزنطية، فارتكبت الجيوش الصليبية المذابح ضد اليهود في إقليم اللورين والراين[3].

أما اليهود في الشرق، فقد اختلفت بشأنهم الروايات التاريخية، فبعد أن كانوا أحرارًا في شؤونهم المالية والدينية، ولم يتعرضوا لأي ضغوطات من قبل المسلمين، فبالغ مؤرخوهم في وصف دورهم في أنهم قد تصدوا للحملات الصليبية إلى جانب المسلمين، وهذا أمر مشكوك فيه فهو ليـــس عامـــًا إذ لا يتعدى بعض الجهود الفرديـــة، كـــما حدث في سنة 493 هـ / 1100 م عندمـــا شارك بعض اليهود إلى جانب أهالي مدينة حيفا في الدفاع عنها ضد الحصار الصليبي فقام المسلمون بتزويد الجالية اليهودية بالسلاح ليقاوموا الصليبيين، إذ رأى اليهود أن من واجبهم كجزء من السكان مساندة المسلمين في حربهم للصليبيين، وذلك من أجل حماية أرواحهم وممتلكاتهم، لاسيما بعد وصول أخبار المذابح التي ارتكبها الصليبيين ضد اليهود أثناء زحفهم إلى الشرق[4].

---

(1) *Esther Benbassa. The Jews of France: Ahistory from Antiquity to the Present. Trans. Debevoise. M.B., Princeton University Press(Princeton: 1999), p.14.*

(2) براور، عالم الصليبيين، ص 39؛ الحلواني، اليهود، ص 4.

(3) *J. W. Thompson . Economic and Social Hist- of the Middle Ages (London:1959) Vol.I / P.P 393-394.*

(4) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، ط2، دار الثقافة (بيروت: 1981م):ج1/ص447.

على ما يبدو أن جميع الأسباب السالفة الذكر، كانت تقف وراء بروز نفسية جماعية عدائية تجاه اليهود في أوروبا إبان الحروب الصليبية، وهذا ما يفسر لنا أن تلك المذابح والاضطهادات التي حدثت ضد اليهود خلال الحملة الصليبية الأولى.

وفي زمن الحملة الصليبية الثانية، لم تكن إنكلترا ببعيدة عما يدور من اضطهاد ضد اليهود، فقد أرسل سان برناد الزعيم الروحي للحملة الصليبية الثانية التماسًا للأمراء الصليبيين للحيلولة دون تكرار المذابح ضـــد اليهود، فقال فـــي هذا الالتماس ((لا يجـــب أن تضـــطهدوا اليهود، لا يجب أن تذبحوهم فإنهم مشتتون في جميع أنحاء الأرض وهذا ثمن العقاب العادل لجريمتهم الشنعاء))[1]، وعلى الرغم من ذلك لم تكن هذه الحملة أقل عنفًا وقسوة ضد اليهود من الحملة التي سبقتها، نتيجة لإقراض المال بالربا، كما عاد اتهاماتهم بالدم يظهر من جديد على الساحة، إذ ظهرت هذه الاتهامات المعروفة بطقوس الدم تزامنًا مع بداية انطلاق الحملة الصليبية الثانية، وفحوى هذا الطقس أن اليهود يقتلون صبيًا مسيحيًا فى عيد الفصح اليهودي سخرية واستهزاء من صلب السيد المسيح عليه السلام[2].

لقد كانت الحملة الصليبية الثانية أشد فتكًا باليهود من الحملة الأولى ، فأشارت المصادر إلى أن ستيفن ملك إنكلترا قد حصل على مباركة الكنيسة للقيام بذلك، فأصدر أوامره بحرق اليهود، فأقام المحارق لهم، كما أمر بإحراق دورهم، وقد أثرت هذه الاتهامات التي وجهت لليهود ســـياسيًا واقتصـــاديًا على أوربـــا، إذ إن هنـــاك كثير من الصليبيين قاموا باقتراض الأموال من اليهود، وأخفقوا فى التسديد، فآلت ملكية أراضيهم ومنازلهم إلى اليهود نتيجة لذلك مما كان سببًا فى حنق الصليبيين عليهم، فلاقى الكثير منهم حتفه على أيديهم، بينما فرت أعداد أخرى هربًا من مصير مماثل على يد هذه الجموع الغاضبة[3].

إن جميع الأوضاع التى أشرنا إليها آنفًا سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو دينية زادت من كراهية اليهود لدى الأوربيين عامة، والكنيسة على وجه الخصوص، فانتهجت الكنيسة سياسة مضادة للربا، فأصدر البابا ألكسندر الثالث في سنة (544-577هـ/1159 - 1181) م أثناء انعقاد

---

(1) المسيري، موسوعة اليهود: ج1/ص 150.

(2) سمث، الحملة الصليبية الأولى، ص 275.

(3) *Langhwir. Thomas Of Monmouth Dectector Of Ritual Murder Speculum(No.p: 1984): Vol. 59/Pp.820-846.*

المجمع اللاتيراني الثالث سنة 622 هـ / 1179 م لما تفشت جريمة الربا في معظم الأماكن حتى أخذ الكثيرون يهملون الأعمال الأخرى ليمارسوا الربا وكأنه حلال، فإن هؤلاء في حالة وفاتهم لا تقام لهم جنازة مسيحية، وهم يمارسون هذه الخطيئة، ولا يحق لأحد أن يقبل تبرعاتهم وإذا قام أحد بعمل جنازة لهم، فيمنع هذا من ممارسة وظيفته حتى ينفذ وصايا هذا المجمع، كما نصت قرارات المجمع على ألا يسمح لليهود، ولا للمسلمين أن يستخدموا المسيحيين كخدم في منازلهم لأي سبب كان، واللعنة على جميع من سمحوا لأنفسهم أن يسكنوا معهم، ومما سبق نجد أن تحريم الكنيسة للربا جعل الربا مقتصرًا على اليهود، كما أصدرت مجموعة من القوانين التي عرفت بقوانين الملك إدوارد التي نصت على أن اليهود وكل ما يملكون ملك للملك باعتبارهم ملكية خاصة به[1].

عندما ألحق صلاح الدين الأيوبي (564-589هـ/1169-1193م) الهزيمة بالقوات الصليبية في حطين سنة 583هـ/1187 م، التي أسر خلالها ملك بيت المقدس الصليبي، وما أن وصلت الأخبار إلى الغرب الاوربي بذلك، حتى أرسل البابا جريجوري الثامن رسائله الشهيرة إلى كافة الملوك والأمراء يحثهم على الخروج بحملة صليبية الثالثة، فكانت هذه الحملة من أكبر الحملات الصليبية على الأرض طموحًا على الأقل في بدايتها[2].

أما اليهود فقد ازدهرت أحوالهم في زمن الحملة الصليبية الثالثة، وبما أنهم مثلوا ملكية خاصة للملك، فإنهم كانوا يتمتعون بحماية وامتيازات خاصة، ونتيجة لذلك فإن أي سلطة غير

البلاط الملكي لا يمكنها التعرض لهم، ومقابل منحهم الحماية، كانوا يقومون بمهام خاصة كالتجارة والربا وجمع الضرائب، فعاشوا أزهى أيامهم في أوربا خلال تلك الحملة[3]، وما أن اعتلى الملك ريتشارد الأول العرش سنة 585 هـ/ 1189 م، حتى بدأ باستغلال الوضع المالي والقانوني لليهود، وحصل على حق وراثة ممتلكاتهم وأموالهم، لاسيما الذين ذبحوا في هجوم عيد الفصح عشية الاحتفال بتتويج ريتشارد ملكًا على إنكلترا في سنة 586 هـ/1190م نتيجة لتفاخرهم بأموالهم الطائلة، واحتقارهم للعادات المسيحية، فاكتفى بإصدار مرسوم السلام الخاص باليهود

(1) Jacobs The Jews Of An Gevin Of England P.P 16 _17.

(2) زينب عبد المجيد عبد القوى، حضارة اوربا في العصور الوسطى ، د.م (جامعة الزقازيق: 2007)، ص 28 ،29.

(3) للمزيد من التفاصيل ينظر: رياض مصطفى شاهين، دور اليهود في الحلمة الصليبية (الجامعة الإسلامية (غزة: 2005م)، ص6-9.



في مارس 586هـ/1190، الذي منح اليهود بموجبه امتيازات مالية وحقوق كبيرة، كما سمح لهم بالانتقال كيفما يشاؤون مع كل منقولاتهم، وبذلك حرر اليهود من جميع الضرائب والمكوس وضريبة النبيذ، وما إن توجه الملك ريتشارد صوب الأرض المقدسة فى الحملة الصليبية الثالثة حتى تآمر الناس ضد اليهود، فتأزم وضعهم المالي بسبب المرابين اليهود، وأدى إلى حدوث إبادة جماعة ضدهم في مدينة يورك[1].

لقد تم فرضت الضرائب على اليهود بالقوة في عهد الملك إدوارد، لاسيما ما عرف بقوانين إدوارد، التي عدتهم مصدرًا مهمًا للمال، وبعد الخسارة الصليبية في الحملة الثالثة ساهم اليهود بمبلغ خمسة آلاف مارك لتمويل الفدية الباهظة التى قدرت بمئة ألف مارك، فرضها الإمبراطور الألماني هنري الخامس مقابل إطلاق سراح الملك ريتشارد، الذي أسر أثناء عودته من الأراضي المقدسة، وملخص الحديث يمكن القول بأن اليهود تمتعوا فى عهد الملك ريتشارد بالسلام عندما كان يتأهب للحملة الصليبية الثالثة[2].

في الحقيقة، إن الاوضاع التي عاشها اليهود في أوربا كانت سيئة للغاية، باستثناء بعض السنوات التي عاش اليهود خلالها بمأمن من القتل والتشريد، وحتى ذلك الأمان كان وفق ما تقتضيه المصلحة الصليبية، وليس حبًا باليهود أو إشفاقًا عليهم، لاسيما وهم الأعداء اللدودون للمسيحية، وقد خلفت تلك الأوضاع المأساوية أعداد كبيرة من القتلى والمشردين اليهود على يد الصليبيين، وإن تلك الأحـــداث تكشف لنا عن مدى الاضطهـــاد المعاناة التي عاشها اليهود في أوربا آنذاك، مما دفعهم إلى السعي من أجل التخلص من هذا الواقع الأليم، بشتى الوسائل والطريق مهما كانت نتيجتها كقتل بعضهم للبعض الآخر، فضلاً عن عمليات الانتحار الجماعي لأعداد كبيرة منهم، لاسيما في المدن الألمانية كسباير وورمز ومينز الواقعة على الضفة الغربية لنهر الراين أثناء الحملة الصليبية الأولى[3].

لقد عد اليهود الأشخاص الذين انتحروا من جراء ذلك شهداء، وأثنت كتاباتهم على هؤلاء القتلى كثيراً، لهذا اعتبر اليهود الحملة الصليبية الأولى من أقسى التجارب وأصعبها على يهود أوربا

(1) المرجع نفسه، ص 45.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، دار النهضة العربية (بيروت: د.ت.)، ص 219.

(3) عوض، الاضطهادات الصليبية لليهود، ص 11، 36؛ براور، عالم الصليبيين، ص38-39.

بشكل عام ودرس يستفاد منه لاحقًا، فكلما انطلقت حملة جديدة يستعيد اليهود ذكريات الحملة الأولى ويشعروا بالخوف والذعر[1]، لم يقتصر الأمر على ذلك، وإنما عانى اليهود من أساليب أخرى اعتمدها الصليبيون ومن أهمها إجبارهم على التنصر وترك اليهودية[2] مما اضطرهم على الهرب من هذا الأمر، حتى وإن كانت النتيجة فقدان حياتهم، إذ يعتقدون أنهم إذ ما تركوا ديانتهم فإن حياتهم ستتحول إلى لا شيء ولا تساوي قيراطًا، ففضلوا الموت عليها، وقد انتقد أحد الباحثين المحدثين عملية التنصير تلك قائلاً بان ((من السخرية أن الديانة المسيحية التي تدعوا إلى المحبة والتسامح يسعى أصحابها إلى فرضها على بالقوة، مما عكس التناقض بين المثال والواقع المسيحي في ذلك الوقت على أيدي أبناء المسيحية التي هي منهم براء))[3].

مثلت تلك الاضطهادات نقطة تحول حاسمة في التاريخ اليهودي في أوروبا، إذ إنها أثرت بشكل كبير في كثافتهم السكانية، لاسيما في ألمانيا، إذ قدر عدد القتلى بعشرة آلاف يهودي، وعلى الرغم من كونها أرقام مبالغ فيها، إلا أنها تدل على أن عدد القتلى اليهود كان كبيرًا[4].

لقد عد بعض الباحثين المحدثين اليهود مثل براور[5] الأحداث الدموية التي تعرض لها اليهود في حوض الراين جزء من معاداة السامية، إلا أن هذه التصوير التاريخي ليس حقيقيًا فمن المعروف أن الحروب الصليبية هي بالأصل حربٌ دمويّة وتخريبية منذ بدايتها ضد الأوروبيين أنفسهم، ثم في بلاد الشام بعد ذلك ضد المسلمين، وخير دليل على ما ذهبنا إليه ما تعرض له المسلمين من مذابح أكثر قسوة ودموية وهم من الساميين أيضًا، كما إن ما تعرض له اليهود خلال الحملات الصليبية، ما هو إلا نتيجة لانتشار التدين المتطرف الذي ساد أوربا خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، فمن الطبيعي أن تفعل الحركة الصليبية ما فعلته ضد كل من هو ليس مسيحي، فضلاً عن الظروف والتطورات الاقتصادية والاجتماعية التي سادت أوربا آنذاك، وما نتج عنها من استغلال اليهود لتلك الظروف، وعملهم بالربا مقابل نسب ربوية، لاسيما ما فرض على الفقراء،

---

(1) براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة: عبد الحافظ البنا، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (القاهرة: 2001م)، ص 24.

(2) سمث، الحملة الصليبية الاولى، ص107.

(3) عوض، الاضطهادات الصليبية، ص19؛ قاسم، الاضطهادات الصليبية ليهود أوروبا من خلال حولية يهودية الظاهرة ومغزاها " ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، د.م. (القاهرة: 1982م)، ص 153.

(4) شاهين، أوضاع اليهود، ص 9.

(5) الاستيطان الصليبي، ص296.

إذ عملوا على إرضاء الحكام والأساقفة لينفردوا بضحاياهم من فقراء المسيحيين، ولما كان المرابون محل كراهية الناس وحقدهم، فقد سعى هؤلاء للانتقام من اليهود[1].

المبحث الثاني:التوزيع السكاني ليهود الشام في عصر الحروب الصليبية

انتشر اليهود في بلاد الشام، ولاسيما في فلسطين التي استقروا فيها[2] وكانت مدينة رام الله من أهم المراكز اليهودية الفلسطينية خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، لاسيما أنها كانت عاصمة للمنطقة الجنوبية من فلسطين، وتحت الحكم الفاطمي في مصر[3]، وانقسم اليهود في رام الله إلى طائفتين متنازعتين بشكل دائمًا، وتمثلت الطائفة الأولى بالقرائين اليهود، وكانت هذه الطائفة ترفض التلمود، ولا تقبل بالرجوع إلا إلى التوراة فقط.

أما الطائفة الثانية فهم الربانيون (اليهود الارثوذكس)، وارتبطت الطائفتان بعلاقات وثيقة مع الجماعات اليهودية الأخرى في كل من القاهرة ودمشق وحلب وبغداد، فضلاً عن ثلاثين منطقة أخرى من مناطق بلاد الشام المختلفة، التي استقر فيها اليهود في ذلك الوقت[4] كما استقرت الطائفة السامرية اليهودية في مدينة نابلس، التي يقع فيها الجبل الذي يحجون إليه[5]، ويطلق عليه جبل جرزيم[6]، احتكر السامريون صناعة الزجاج والصباغة في مدينة نابلس مثل غيرهم من اليهود في المدن الأخرى كيافا وصور[7]، كما اشتهر اليهود في الصباغة، فكانت كل من مدن الخليل والقدس وغزة وغيرها من مدن الشام مشهورة بكثرة المواد الأولية المتوفرة فيها واللازمة لصناعة الأصباغ التي برع اليهود فيها دون غيرها[8]، فضلاً عن استقرارهم في مدن أخرى مثل صيدا

---

(1) شاهين، أوضاع اليهود، ص 9.

(2) زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت: د.ت.)، ص277.

(3) براور، الاستيطان الصليبي، ص 79، 282.

(4) المرجع نفسه، ص 282.

(5) أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارس المعروف بالكرخي الاصطخري، مسالك الممالك، دار صادر (بيروت: 1937م)، ص 58.

(6) براور، الاستيطان الصليبي، ص 81.

(7) زكي النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية د.م. (بيروت: 1958م)، ص 181.

(8) هانس ابرهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: عماد الدين غانم، منشورات مجمع الفاتح للجامعات (د.م:1990م)، ص 232. النقاش، المرجع نفسه، ص 182.

التي انتقلت إليها قيادة اليهود، نتيجة للحروب والنزاعات التي انتشرت في بلاد الشام سواء بين السلاجقة أنفسهم أو مع الدولة الفاطمية [1] كما استقر قسم منهم في بيروت وحمص ونصيبين ودمشق والرحبة[2] الواقعة على نهر الفرات وغيرها، وبما أن الحديث يطول في ذلك، فإننا سنركز الحديث عن مديني القدس ودمشق أكثر من غيرهما كنموذج للأوضاع اليهود في بلاد الشام.

لقد تباين توزع اليهود في بلاد الشام خلال حقبة الاحتلال الصليبي من مدينة إلى أخرى فاستقر قسم منهم في مناطق بيت المقدس والسهل الساحلي، وكانوا يعيشون ضمن أحياء خاصة تســمى الجيتو، كما أشــرنا آنفًا، وتكون إلى جانب المجتمع المسلم، في حين عاش اليهـود في منطقة الجليل ضمن خليط من السكان، لاسيما في المناطق الريفية منها[3]، إلا أن هذا لا يعني أنهم لم يكونوا يختلطون ويتعاملون مع سائر أبناء المجتمع العربي المسلم، فمن الحقائق المتعلقة بالجماعات اليهودية في بلاد الشام والتي لا يمكن نكرانها، أنهم عاشوا في ظل الحكم الإسلامي، باعتبارهم أقلية دينية تتمتع بحرية دينية واقتصادية واجتماعية كفلها لهم الإسلام[4].

في الحقيقة لم ترد أي رواية تحدد أعدادهم في مناطق بلاد الشام، ويرجع ذلك إلى كونهم قلة قليلة فيها بسبب ما أشرنا اليه في المباحث السابقة، فكان أغلب اليهود الموجودين في القدس على شكل حجاج يفدون لزيارة بيت المقدس من مختلف البلدان، وسكنوا في حي خاص سمي باسمهم خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. أما أعداد المستقرين فيها، فقد حددتها المصادر المعاصرة لتلك الحقبة بما يقرب من مئتي نسمة، في حين أشارت روايات أخرى إلى أن وجودهم كاد أن ينعدم، حيث انخفضت أعدادهم بنسبة كبيرة[5].

ينقل آدم متز عن الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي الذي تحدث عن أحوال اليهود وأعدادهم في العصر العباسي، فيذكر كثرة عددهم، فيقول ((يُقدر بنيامين اليهود في المملكة الإسلامية – بعد

---

(1) براور، الاستيطان الصليبي، ص 81.

(2) الرحبة: تقع بين الرقة وعانة وتعرف هذه المدينة برحبة مالك بن طوق أحد قواد الخليفة هارون الرشيد كان موقعها بالقرب من جدول قديم يعرف بنهر سعيد نسبة إلى سعيد الخير صاحب الموصل وتعرف اليوم بالميادين من أعمال دير الزور في سوريا. ينظر: التطيلي، رحلة بنيامين، ص128/ هامش(3).

(3) براور، الاستيطان الصليبي، ص 79.

(4) قاسم عبده قاسم، رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية، مركز بحوث الشرق الأوسط سلسلة دراسات عن الشرق الأوسط، (القاهرة: 1983م)، ص 42.

(5) العليمي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ج 2/ص52؛ التطيلي، رحلة بنيامين،ص 126،150.



صرف النظر عن المغرب - بنحو ثلاثمئة ألف يهودي، على أن بتاحيا - وقد سافر بعد صاحبه بعشرين عامًا- يقدر أن عدد اليهود في العراق وحده يبلغ ستمئة ألف، ولا تنطبق الأرقام على الشام في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، لأن السياسة التي جرى عليها قادة الصليبيين وأمراؤهم إزاء اليهود كادت تفني الطائفة الإسرائيلية، ويقدر بنيامين عدد سكان الحي الخاص باليهود في القدس بأربعة أنفس، ولم يجد بتاحيا هناك إلا شخصًا واحدًا ويقول بايلومارسيليوس جورجيوس في خبر يرجع تاريخه إلى ربيع الآخر 641هـ/ اكتوبر 1243م أنه لم يكن في الحي الخاص بالبندقيين في صور إلا تسعة من شبان اليهود. أما بنيامين، فيقول: إنه كان يسكن دمشق ثلاثة آلاف يهودي تحت حكم المسلمين - وعند بتاحيا عشرة آلاف - وفي حلب خمسة آلاف يهودي. أما على نهري دجلة والفرات فكان اليهود مجتمعين بكثرة[1].

في الحقيقة إن السبب الرئيس لانخفاض مستوى الوجود اليهودي في القدس آنذاك، إنما يرجع للسياسة التي اعتمدها ملوك مملكة بيت المقدس، من خلال منع اليهود والمسلمين دون استثناء من السكن في القدس من جهة، حيث أصدروا مرسومًا ملكيًا بذلك، متذرعين بأن وجودهم فيها يؤدي إلى تدنيس المدينة المقدسة[2]، ويشكل خطرًا يهدد مملكتهم من خلال التحالف مع أي مهاجم خارجي من جهة أخرى[3]، كما أصدروا مرسومًا آخر منحوا خلاله الحق للصليبيين في استملاك الدور والأراضي التابعة لليهود بمجرد وضع اليد عليها[4]، مما يدل على مغادرة اليهود الموجودين فيها خلال تلك الحقبة، ولم يكتف الصليبيون بمصادرة أملاك اليهود في القدس، بل تعدوه إلى التعذيب والقتل، فتم إحراق معبدهم الكبير الذي تجمعوا فيه لعله يحميهم من بطش الصليبيين، وهكذا أدت المذبحة التي أحدثها الصليبيين بحق سكان القدس من مختلف الأعراق ومن ضمنهم اليهود إلى خلو المدينة منهم[5]، وفي ذات الوقت حرم اليهود من حق ممارسة الصناعات ليس في القدس فحسب، بل في جميع مناطق نفوذ الصليبيين، ولم يسمح لهم بمزاولتها الا بعد إعطاء نسبة للملك الصليبي[6].

---

(1) إلهامي، اليهود بين أمة الإسلام والأمم الأخرى، مقال منشور في مجلة المجتمع الالكترونية المنشورة على شبكة الانترنيت في الساعة 09:23 في يوم 07/يناير/2018.

(2) العليمي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ج 2/ص52؛ التطيلي، رحلة بنيامين،ص 126،150.

(3) ريشار، تكوين مملكة القدس اللتينية وبنيتها، تحرير: هادية شكل دجاني، د.م. (بيروت: 1994م)، ص 148.

(4) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسلي، د.م. (عمان: 1990م)، ص76.

(5) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج1/ص2405؛ رفيق شاكر النتشة وآخرون، تاريخ مدينة القدس، دار الكرملي (عمان: 1984م)، ص52.

(6) سعيد عبدالله البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت الصليبية، د.م. (الاسكندرية: 1990م)، ص444.

لقد استمرت السياسة الصليبية الحذرة تجاه اليهود في فلسطين ومملكة بيت المقدس الصليبية تحديدًا، والتي تمثلت بمنعهم من السكن في مملكتهم، حتى عهد الناصر صلاح الأيوبي، الذي حررها في سنة 583هـ/1187م، ليعود التسامح الإسلامي إليها من جديد بعد سنين طويلة، إذ سمح لليهود في سنة 586هـ/ 1190م بالعودة إلى فلسطين والسكن فيها، مما ساهم في عودة أعداد كبيرة من اليهود من مختلف البلدان، إذ لم يقتصر على البلدان الإسلامية بل تعداه إلى الأوربية كفرنسا وإنكلترا[1]، ورغم الإشارة إلى أن أعداد كبيرة عادت إلى فلسطين في العهد الأيوبي، إلا أن روايات أخرى أكدت على أن أعداد اليهود بقيت ضئيلة في القدس في بداية العصر المملوكي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي[2].

على ما يبدو أن هناك سببٌ أخر كان يقف وراء الانخفاض في أعداد اليهود، ألا وهو اعتناق أعداد كبيرة منهم للإسلام نتيجة للتسامح الإسلامي في التعامل معهم[3]، إلا أن أعدادهم أخذت بالتزايد في فلسطين مرة أخرى خلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي بسبب هجرة أعداد كبيرة من اليهود الإسبان، إثر إصدار إيزابيلا ملكة قشتالة (855-910هـ/1451-1504م) مرسومًا يقضي بطرد اليهود من إسبانيا[4].

أما في دمشق فقد أشارت بعض المصادر التاريخية التي عاش مؤلفوها في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وزاروا مدينة دمشق إلى أن عدد اليهود القاطنين في دمشق بلغ ثلاثة آلآف يهودي، بينما أشار البعض الآخر إلى أن عددهم وصل إلى عشرة الآف يهودي، والحقيقة أن العدد الأول هو الأرجح. أما الثاني فمبالغ فيه، ومما يؤيد ذلك ما ذكره أحد مؤرخي القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ممن زاروا دمشق، وتحدث عن أعداد اليهود فيها وقدرهم أربعمئة وخمسين أسرة، ولم تكن الأسرة اليهودية آنذاك تنجب أكثر من طفلين أو ثلاثة، وفقًا لمخاطبات موسى بن ميمون وولده إبراهام اللذين توليا رئاسة اليهود في مصر في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وبذلك فإن الرقم الأول هو الأقرب للصحة[5].

---

(1) عطية القوصي، صلاح الدين واليهود، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية (القاهرة: 1977م): مج 24/ ص41.

(2) علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، دار الفكر (القاهرة: 1986م)، ص101.

(3) جلو، اليهود في المشرق الإسلامي، ص 62.

(4) الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، ط2، دار الثقافة والإعلام، (الشارقة: 2002م)، ص296.

(5) جلو، اليهود في المشرق الإسلامي، ص 56-57؛ كيوان، اليهود في الشرق الاوسط، ص20.

لقد توزع اليهود في مناطق دمشق المختلفة، وفي أحياء سكنية خاصة بهم، حالهم في ذلك حال الأقليات الأخرى، وكانت جميع أحيائهم داخل أسوار المدينة، لاسيما في الجزء الشرقي والجنوب الشرقي من مدينة دمشق وفي الشمال منها، إلا أن أكبر تجمع لهم كان الجزء الشرقي منها[1]، وكانت هذه الحارات شبه مغلقة، والمرور من خلالها غير آمن، وذلك حسب ما أوردته المصادر الإسلامية المعاصرة، ويعد الحي اليهودي الواقع خارج أسوار المدينة على طرفها الجنوبي الشرقي من أكبر أحيائهم وفيه عدد من كنائسهم، وتمت إحاطته بسور المدينة في سنة 1172/568م من قبل الأمير نور الدين زنكي (544-568هـ/1149-1172م)[2].

كما مثلت حلب ثاني كبريات المدن الشامية، ويأتي الوجود اليهودي فيها بالدرجة الثانية بعد دمشق من حيث العدد، إذ بلغ عـــددهم فيها الف وخمسمئة نسمة وفق ما ذكرته المصادر المعاصرة، وتركز وجودهم في شمالي المدينة، لذا سمي الباب الواقع في هذه الجهة بباب اليهود، فضلاً عن وقوع مقابرهم بالقرب منها[3]، وبلغ عدد أحياء[4] اليهود في حلب عشرة أحياء آنذاك جلها يقع في المدينة القديمة[5]، جنبًا إلى جنب مع المسلمين، وكما أن المسلم الغريب ليس غريبًا في بلاد الإسلام، كذلك اليهودي المدني ليس غريبًا في بلاد الإسلام، لأنهم ينتمون إلى تنظيم اجتماعي وسياسي وروحي اعترف به وقبله المسلمين، فعاشوا في حلب ضمن بيئة حلبية، وتشابهوا في كثير من العادات والتقاليد مع المسلمين الحلبيين[6]، كما كان اليهود موجودين في المناطق الساحلية لبلاد الشام، إلا أن أعدادهم كانت قليلة مقارنة بالمناطق الأخرى، وتمثل هذا الوجود في كل من عسقلان ويافا وقيسارية وعكا وصيدا وبيروت وجبيل وطرابلس وغيرها[7]، ولم يقتصر انتشارهم

---

(1) يوسف نعيسة، يهود دمشق، دار المعرفة (دمشق: 1988م)، ص 12.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية: ج14/ ص 308.

(3) عمر بن أحمد بن هبة الله بن ابي جرادة ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر (عمان: د.ت.): ج1/ص55.

(4) ومن حي العقبة الذي أشارت المصادر إلى أن تاريخه يرجع إلى عصر ما قبل الميلاد – العهد السلوقي تحديدًا - حسب النص الحثي الموجود في الجدار الجنوبي لجامع القيقان بحي بحسيتا ذي الاكثيرية اليهودية. ينظر: محمود حريتاني، تاريخ اليهود في حلب، دار شعاع (حلب: 2008م)، ص 13.

(5) المرجع نفسه، ص 17؛ جلو، اليهود في المشرق الإسلامي، ص 58.

(6) حريتاني، المرجع نفسه، ص 17 -18.

(7) التطيلي، رحلة بنيامين، ص136، 137، 115،145 - 117.

على هذه المناطق فقط، بل انتشروا في المناطق الداخلية كطبرية وجلعد القريبة من دمشق وحمص وبالس وبيت جبرين وزرعين واللد وحماه ولكن أعدادهم كانت قليلة جدًا، وقد وصلت في بعضها إلى يهودي واحد، كما أشارت المصادر إلى الوجود اليهودي في البعض الآخر منه دون ذكر أعدادهم مما يدل على قلتهم ومن خلال ما تقدم نستشف أن الوجود اليهودي في بلاد الشام تميز بأمرين، الأول: إنهم كانوا مهاجرين غرباء عن البلاد وطارئين عليها من مختلف البلدان، والثاني: قلة أعدادهم في بلاد الشام بشكل عام والقدس خاصة[1].

المبحث الثالث: السياسة الصليبية تجاه اليهود في بلاد الشام

لقد اتسم الموقف اليهودي من الغزو الصليبي بالعدائية، فقد عارضوا وجودهم في بلاد الشام، وذلك ليس من باب المقاومة أو نصرة للمسلمين، وإنما يرجع إلى العديد من الأسباب منها العداء التاريخي والديني بين الطرفين، وما لاقاه اليهود من بطش واضطهاد على أيدي جيوش الحملة الصليبية الأولى[2]، إلا أن بعض المؤرخين اليهود حاولوا أن يجعلوا منهم أبطال مقاومة، كي يضيفوا إليهم مجدًا تاريخيًا مساويًا لدور العرب المسلمين في الدفاع مدينة القدس بل إن المتشددين من مؤرخيهم كان يقول بأن العبأ الأكبر قد وقع عليهم عندما هوجمت المدينة من جهة حيهم الخاص[3].

في الحقيقة إن هذه الأقاويل لا صحة لها، وذلك لأن الحي اليهودي في القدس شكل نقطة الضعف التي كانت سببًا في اختراق المدينة من خلاله.

أما موقف الصليبي من اليهود، فإنهم لم يفرقوا بين مسلم ويهودي فيما ارتكبوا من مجازر فضيعة، إذ إن الصليبيين قد كفروا الطرفين معًا دون تمييز كونهم أعداء للديانة المسيحية، وقد ارتكبت الجيوش الصليبية مذبحة بحق اليهود عند احتلالهم للقدس، إذ جمعوهم في كنيسة وقاموا بإحراقهم جميعًا[4]، بينما بيع من تبقى منهم على قيد الحياة كعبيد في الأسواق[5]، إن ما تعرض

---

(1) جلو، اليهود في المشرق الإسلامي، ص 65-66.

(2) سمث، الحملة الصليبية الاولى،ص98؛ براور، الاستيطان الصليبي، ص 283.

(3) براور، عالم الصليبيين، ص 47.

(4) ابو يعلي حمزة ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المطبعة الكاثوليكية (بيروت: 1908م)، ص 137؛ سمث، الحملة الصليبية، ص 199.

(5) براور، عالم الصليبيين، ص 285.

له يهود القدس من اضطهاد على أيدي الصليبيين أثار مخاوف اليهود في بقية أنحاء بلاد الشام، فقرروا مشاركة المسلمين في التصدي للصليبيين، أثناء حصارهم لمدينة حيفا في سنة 493هـ/1100م، وهذا ما تم بالفعل، إذ قام المسلمون بتزويد اليهود بالسلاح كي يقاوموا إلى جانبهم، لأن مصيرهم واحد دون تفرقة، اذا ما استولى الصليبيون على المدينة، فتمكنوا من إفشال أكثر من هجوم صليبي على المدينة[1]، وعلى الرغم من هذه الحادثة، فإنها تعد حالة فردية. أما ما ادعاه المؤرخون اليهود بمساواة اليهود في المقاومة مع المسلمين ضد الصليبيين، فهي محاولات لإثبات الزيف القائل بالحق اليهودي في فلسطين، وإن شكلوا أغلبية مقاومة آنذاك، وإنها دافعت عن وجودها أمام الأخطار التي هددت البلاد، التي يدعون أنها موطنٌ لأجدادهم، وهذا ما أثبتتْ خطأه المصادر التاريخية.

لم يكن الموقف اليهودي من الغزو الصليبي واحدًا في جميع بلاد الشام، وإنما اختلف من منطقة إلى أخرى، وذلك حسب ما تقتضيه مصالحهم الخاصة سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، لاسيما أن الأخيرة كانت أهمها فهم من عُرِفَ على مر التاريخ بحبهم للمال وجمعه بشتى الوسائل بغض النظر عن شرعية الوسيلة، ففي الوقت الذي كان موقفهم معاديًا للصليبيين في القدس وحيفا بسبب سياسة الصليبيين تجاههم كما أسلفنا، فإنهم آثروا الاستسلام والخضوع للصليبيين في مناطق أخرى كعسقلان وصور وعكا، كي لا يتعرضوا لما تعرض له إخوانهم في المناطق التي تم احتلالها، مما نجاهم من البطش الصليبي، فلم يتعرضوا للإبادة، وبقوا يعشون فيها، ويمارسوا حياتهم دون مضايقات صليبية، حتى تحريرها على يد الناصر صلاح الدين في سنة 583هـ/1187م[2].

في الحقيقة يرجع هذا الموقف الاستسلامي لأسباب عدة منها خشيتهم أن يحل بهم ما حل بإخوانهم على أيدي الصليبيين في القدس وحيفا من جهة، ولعدم إثارة العداء الصليبي لهم، لاسيما بعد أن تمت لهم السيطرة على المناطق السالفة الذكر وترسيخ سيطرتهم عليها من جهة أخرى، فضلاً عن خشيتهم على مصالحهم الاقتصادية ومراكزهم وممتلكاتهم فيها، لأنها تعد من أهم المراكز التجارية الشامية ذات الموقع الاستراتيجي لوقوعها على الساحل المقابل لأوربا، وعلى الرغم مما ذكرنا من الأسباب التي تم إيضاحها لكل من اليهود والصليبيين، إلا أن موقف اليهود من هذه الحروب ظل موقفًا يكتنفه الغموض لعدم استقراره في أكثر من حادثة.

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج1/ص447.

(2) براور، عالم الصليبيين، ص 88؛ الاستيطان الصليبي، ص289.

لقد حرم اليهود من السكن في المملكة الصليبية التي أقيمت في القدس، واستمر الوضع حتى القرن السادس الهجري /العقد الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، حيث سمح لهم بالسكن في المملكة، ولكن وفق شروط قيدتهم، منها حرمانهم من حق ممارسة الصناعات ليس في القدس فحسب، بل في جميع مناطق نفوذ الصليبيين، ولم يسمح لهم بمزاولتها، إلا بعد إعطائهم نسبة للملك الصليبي[1]، ولم تحدث أي مذابح بحقهم خلال الحقبة التي أعقبت تأسيس مملكة بيت المقدس[2].

المبحث الرابع: يهود الشام في عهد صلاح الدين وخلفائه

1. السياسة الايوبية تجاه اليهود

لقد استمرت السياسة الصليبية الحذرة تجاه اليهود في فلسطين ومملكة بيت المقدس الصليبية تحديدًا، والتي تمثلت بمنعهم من السكن في مملكتهم، حتى عهد الناصر صلاح الأيوبي، الذي حررها في يوم الجمعة 27 شعبان سنة 583هـ/ الموافق تشرين الأول سنة 1187م، ليعود التسامح الإسلامي إليها من جديد بعد سنين طويلة، فتم الاعتماد على اليهود في بعض الوظائف الإدارية، وبرز منهم العديد من الشخصيات كموسى بن ميمون الذي تولى رئاسة الطائفة اليهودية في سنة 583هـ/1187م[3].

أصدر مرسومًا في سنة 586هـ/ 1190م دعا فيه جميع اليهود الفارين من مدينة القدس جراء البطش الصليبي بالعودة إلى فلسطين والسكن فيها، لاسيما العلماء منهم[4]، مما ساهم في عودة أعداد كبيرة منهم من مختلف البلدان، فلم يقتصر الأمر على البلدان الإسلامية بل تعداه إلى الأوربية كفرنسا وإنكلترا[5]، ورغم الإشارة إلى أن أعداد كبيرة منهم عادت إلى فلسطين في العهد الأيوبي، إلا أن روايات أخرى أكدت على أن أعداد اليهود بقيت ضئيلة في القدس في بداية العصر المملوكي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[6].

---

(1) البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص444.

(2) رياض مصطفى أحمد شاهين، أوضاع اليهود وموقفهم في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، قسم الاثار والتاريخ (غزة: 2005م)، ص15.

(3) سالم، الحركات اليهودية المسيحانية: ع3/ص119.

(4) براور، الاستيطان الصليبي، ص 296.

(5) القوصي، صلاح الدين واليهود: مج 24/ص41.

(6) علي، القدس في العصر المملوكي، ص101.

على ما يبدو فإن هناك سببًا أخر كان يقف وراء الانخفاض في أعداد اليهود، ألا وهو اعتناق أعداد كبيرة منهم للإسلام نتيجة للتسامح الإسلامي في التعامل معهم[1]، إلا أن أعدادهم أخذت بالتزايد في فلسطين مرة أخرى خلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي بسبب هجرة أعداد كبيرة من اليهود الإسبان، إثر طردهم من إسبانيا - كما أشرنا آنفًا[2].

لم يقتصر التسامح الإسلامي على صلاح الدين بل استمر طيلة عهود خلفائه من بني أيوب، واعتقد البعض أن هذه السياسة المتسامحة من لدن صلاح الدين كانت تتعارض مع ما قام به من تحويل بعض المعابد اليهودية في بلاد الشام إلى مساجد كمعبد درباك وبغراس في أنطاكية[3].

في الحقيقة إن هذا الاعتقاد بعيد عن الصواب، وما يثبت صحة اعتقادنا هو سياسة التسامح التي اعتمدها صلاح الدين، التي أكدت عليها جميع المصادر التاريخية الإسلامية وغير الإسلامية من جهة، وتبحر صلاح الدين في الأمور الدينية والفقهية مما يمنعه من اتخاذ مثل هكذا إجراء من جهة أخرى، ولكن الراجح أن هذه المعابد كانت في الأساس مساجد إسلامية، فقام الصليبيون بعد احتلالهم لتلك المناطق بتدميرها وتهجير أهلها، وأسكنوا اليهود بدلاً عنهم من أجل الاستفادة من خبراتهم في استثمار هذه البلاد، أو أن هذه الكنائس قد بنيت بعد الإسلام وهذا ما يتنافى مع الشرع الإسلامي.

بعد عودة اليهود إلى بلاد الشام عاد نشاطهم الاقتصادي وازداد أكثر من ذي قبل، ويرجع ذلك إلى التسامح الإسلامي، حيث سمح لهم الأيوبيين بممارسة مختلف الأعمال التجارية والحرفية، فضلاً عن حرية العبادة وممارسة شعائرهم وطقوسهم، فأصدرت قوانين ساوتهم مع المسلمين في دفع المكوس والضرائب، فكانوا يدفعون العشر سنويًا على البضائع التي يستوردونها من أوربا[4]، ثم زادوها على جميع التجار إلى الخمس سنويًا[5]، فضلاً عن دفع اليهود للجزية السنوية باعتبارهم أهل ذمة وفق الشرع الإسلامي[6].

---

(1) جلو، اليهود في المشرق الإسلامي، ص 62.

(2) الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، ص296.

(3) مارشال بلدوين، اضمحلال وسقوط بيت المقدس 1174-1189م، ضمن كتاب تأريخ الحروب الصليبية، تحرير: سعيد عبدالله البيشاوي وآخر، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق (عمان: 2004م): ج1/ص281.

(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج2/ص120.

(5) القلقشندي صبح الاعشى: ج3/ص459.

(6) المصدر نفسه: ج3/ص457.

على الرغم من التسامح الإسلامي تجاه اليهود، لاسيما بعد تحرير القدس من سيطرة الصليبيين، ومنح اليهود الحرية بعد ما عانوه من البطش الصليبي، فقد كانوا كعادتهم عبر تاريخهم الطويل ناكري جميل، فحاول مؤرخوهم التقليل من شأن هذا التسامح وهذه الانتصارات من خلال رفع شأنهم في هذا الجانب، فعزوا هذه الانتصارات إلى إسهامهم فيها، وإلى ما أبدوه من مساعدة ومساندة للمسلمين، وهذا أمر بعيد عن الصحة، فلو كان صحيحًا لكان لمقامتهم دورها في منع الاحتلال من جانب، ولما طردوا من المملكة الصليبية، وحرموا من السكن في أراضيها من جانب آخر، ولما خنعوا للسيطرة الصليبية في المناطق الأخرى من بلاد الشام ومبدين الولاء والطاعة لهم.

لقد برز الدور الخبيث لليهود، وموقفهم المعادي للمسلمين في أوربا بعد تحرير مدينة القدس، عندما استشاطت البابوية غضبًا من جراء هذا التحرير، فدعت إلى الحداد لفقدانها القدس، كما دعت جميع سكان أوربا وحثتهم على المشاركة في استعادتها من خلال التبرع بالأموال لإعداد الجيوش، وأسهمت هذه الضريبة بعشور صلاح الدين، فكان لليهود نصيب من هذه المشاركات والتبرعات المالية الطوعية[1]، فضلاً عن قيام ملوك أوربا بفرض ضرائب إجبارية عليهم لدعم الحملات الصليبية المتوجهة إلى الشرق، وأصدروا القوانين التي جعلت من اليهود وممتلكاتهم ملكًا للملوك الأوربيين، كما حدث مع يهود إنكلترا في عهد الملك ادوارد والملك ريتشارد، مما أدى إلى غضبهم واحتجاجهم على هذه السياسة، فتم قمعهم أكثر من مرة، وكذلك الحال في فرنسا[2].

بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي وانقسام ممتلكاته بين أبناء الأسرة الأيوبية بدأ الضعف يدب في جسم الدولة الأيوبية، ورغم ذلك استمرت سياسة التسامح تجاههم، وبقي اليهود يعيشون في بلاد الشام وأعدادهم في تزايد مستمر، ولاسيما القدس حتى سنة 642هـ/1244م، إذ اضطروا إلى الهجرة منها، بعد سيطرة القوات الخوارزمية عليها، وتركز وجودهم وتزايدت أعدادهم في منطقة الجليل ومدن الساحل الشامي[3]، وبقي اليهود يعيشون بسلام في كنف السلطات الإسلامية، ويتزعمهم زعماء يهود منتخبون، كانوا مسؤولين عنهم أمام هذه الحكومات الإسلامية، باستثناء يهود مدينة

---

(1) قدري قلعجي، صلاح الدين الايوبي، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، ط5، دار الكتاب العربي (بيروت: 1979م)، ص361-362؛ ارنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني، دار النهضة العربية (بيروت: 1967م)، ص86.

(2) للمزيد ينظر: شاهين، أوضاع اليهود، ص 2326.

(3) Davis. H. W. C. *England under the Normans and Angevins. 1066-1272* . Methuen & Co (London. 1905), P 291

عكا التي كانت ترزح تحت الاحتلال الصليبي، الذي عاش اليهود في ظله محرومين من جميع الحقوق التي كان يحصل عليها إخوانهم في ظل الحكم الإسلامي[1]، واستمر حالهم على هذا المنوال حتى تحرير المدينة سنة 690هـ/1291م من قبل المماليك[2].

2ـ دور اليهود في الحياة العلمية في العهد الايوبي

لقد أسهم التسامح الإسلامي والمعاملة الحسنة لليهود في تكوينهم ثروات كبيرة خلال العهد الأيوبي، كما تمتع بعضهم في ذات الوقت بمكانة كبيرة في البلاد الأيوبية، لاسيما في مجال الطب، إذ اشتهروا فيه بشكل كبير، وأدوا دورًا كبيرًا في الحياة العلمية في العهد الأيوبي فبرز منهم عدة شخصيات ذاع صيتها، وقدمت خدمات جليلة لصلاح الدين ورجال دولته[3] فعمل بعضهم أطباء خصوصيين لصلاح الدين الأيوبي وأسرته، كالطبيب اليهودي يوسف بن أبي سعيد بن خلف السامري، الذي لقب بشمس الحكماء، وبقي طبيبًا خاصًا لصلاح الدين حتى وفاته[4]، فضلاً عن عدد من الأطباء اليهود كتمام بن هبة الله بن تمام الذي عالج صلاح الدين الأيوبي، وأبو البيان بن المدور الذي كان مقربًا عنده ومحط ثقته، والطبيب صدقه بن منجا بن صدقة اليهودي الذي كان الطبيب الخاص للملك الأشرف موسى بن الملك العادل الأيوبي، وقدم الأيوبيون دعما كبيرًا لهؤلاء الأطباء، مما شجعهم على تصنيف الكتب الطبية لصلاح الدين الأيوبي[5]، إلا أن أبرزهم كان الطبيب اليهودي موسى بن ميمون القرطبي، ونظرًا للدور الذي أدته هذه الشخصية فإننا سوف نفرد مبحثًا مستقلًا للحديث عنها.

3: الطبيب موسى بن ميمون القرطبي

يعد اليهودي موسى بن ميمون القرطبي من علماء اليهود البارزين، ورئيسًا للطائفة اليهودية في مصر، ولد ابن ميمون في قرطبة سنة 530 هـ/1135م، وقد برع في العديد من المجالات العلمية، لاسيما الطب وصناعة الأدوية، فلمع نجمه في بداية حياته في الأندلس ثم رحل إلى المغرب وأسلم

(1) براور، الاستيطان الصليبي، ص 290.

(2) عاشور، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، ص 219.

(3) شاهين، أوضاع اليهود، ص21.

(4) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء: ج3/ ص 721.

(5) المصدر نفسه: ج2 / ص115-117، 164،230.

فيها، ودرس القرآن الكريم وعلومه من تفسير وحفظ وتلاوة حتى حفظ القرآن الكريم، ثم رحل من المغرب إلى مصر ومنها إلى دمشق، ولقب بالرئيس لبراعته في الطب، وفي أثناء وجوده في دمشق مرض قاضيها محي الدين بن الزكي، وشارف على الموت، فعالجه موسى بن ميمون، وبالغ في نصحه وبعد شفائه، قرر القاضي مكافأته، إلا أنه رفض، وبعد مدة قصير عاد إلى مصر مرة أخرى، فبرز دوره فيها بشكل كبير[1]، وكان ذلك بدعم من الناصر صلاح الدين شخصيًا، ووزيره القاضي الفاضل تقديرًا منهم لدور العلم والعلماء، ونتيجة لتوطيد علاقته بصلاح الدين وأسرته وحاشيته، عمل طبيبًا خاصًا لصلاح الدين، كما استعان به الأخير على تهدئة يهود اليمن أوقات اندلاع أعمال الشغب والتمرد[2].

لم يقتصر علم ابن ميمون على الطب بل برع في مختلف أنواع الفنون كالفلسفة والأدب وغيرها، وصنف العديد من الكتب في مختلف الاختصاصات، منها كتاب (دلائل الحائرين) و(مقالة في معالجة الحدبة) صنفها للقاضي الفاضل، و(مقالة في السموم وتنقيح الفصول) وهو من أجل كتب الطب ومصنفاتها[3]، كما يعد كتاب (المختصر) لموسى بن ميمون الذي لخص خلاله مقالات جالينوس، فضلاً عن تصنيف ابن ميمون مقالة في البواسير وعلاجها ومقالة أخرى في السموم والتحرز من الأدوية القتالة ومقالة في تدبير الصحة، وكتاب (شرح أسماء العقار) تناول خلاله انواع العقارات الطبية المتداولة آنذاك، إلا أن أشهر كتبه في مجال الطب كتاب (فصول موسى)، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى احتوائه على ألف وخمسمئة قانونٍ طبيٍّ، فترجم إلى عدة لغات كاللاتينية والعبرية[4].

لقد كتب موسى بن ميمون عن اليهودية، مما كان سببًا في نفيه من قبل التلموديين[5] ومن الكتب التي صنفها في هذا المجال كتاب (تثنية التوراة) في الشرائع اليهودية[6] واستغرق عشرة سنوات (566-576هـ/1170-1180م) في كتابته، وسماه اليد القوية، وتكون من أربعة عشر

---

(1) همو، الفرق والمذاهب اليهودية، ص 114.

(2) سالم، الحركات اليهودية المسيحانية: ع3/ص119.

(3) همو، الفرق والمذاهب اليهودية، ص 115.

(4) للمزيد من التفاصيل ينظر: الخالدي، اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، ص 454-455.

(5) همو، الفرق والمذاهب اليهودية، ص 115.

(6) حريتاني، تاريخ اليهود في حلب، ص23.

سفرًا [1]، وقد جمع فيه بين الطب، الذي مارسه في مصر والأندلس، وبين فلسفة أرسطو طاليس التي انتشرت في الأندلس على أيدي الفلاسفة العرب المسلمين كابن رشد وابن سينا، ومثلت رمز العقلانية الجديدة التي بدأت تنمو في حقبة العصور الوسطى[2]، وكان هذا الكتاب عملاً منظمًا للقانون اليهودي، لاسيما بعد أن وضع أستاذه إسحق بن يعقوب الفاسي تلمودًا، فلم يعجب هذا العمل تلميذه موسى بن ميمون، فأصدر هذا الكتاب الذي لقب بسببه بنسر المعبد المسيحي، وعرف عمله بمشنا توراة، أي إعادة القانون[3]، وكانت الأحكام التي استنتجها من عنده، وخالف من خلالها الأعراف اليهودية والتقليد التلمودي، سببًا رئيسًا في معاداته من قبل أحبار اليهود، الذين عدوه مرتدًا عن اليهودية، وحكموا عليه بالإعدام، ففر إلى المغرب، ومنها إلى مصر كما أسلفنا، وبقي فيها حتى توفي في سنة 610هـ/1210م[4].

---

(1) همو، الفرق والمذاهب اليهودية، ص 116.

(2) درويش، أسرار اليهود المتنصرين، ص14.

(3) همو، الفرق والمذاهب اليهودية، ص 115.

(4) المرجع نفسه، ص 116.

يهود مصر في العصور الإسلامية

الفصل

6

- المبحث الأول : التوزيع السكاني لليهود في مصر
- المبحث الثاني : اليهود في العصر الطولوني والإخشيدي
- المبحث الثالث : الأوضاع العامة لليهود في العصر الفاطمي
- المبحث الرابع:دور اليهود في الطب والإدارة والاقتصاد في ظل الفاطميين
- المبحث الخامس : وزراء وإداريون فاطميون من أصول يهودية
- المبحث السادس : يهود مصر في العصر الأيوبي والملوكي

يهود مصر في العصور الاسلامية

الفصل

6

المبحث الأول: التوزيع السكاني لليهود في مصر

استوطن اليهود في مصر منذ أزمنة قديمة كما أسلفنا، واستمر وجودهم حتى العصور الإسلامية وصولاً إلى العصر الفاطمي، وتوزعوا في أماكن مختلفة من مصر، إلا أن هذا التوزيع كان متفاوتًا من منطقة إلى أخرى، ويعد بنيامين التطيلي خير من تحدث عن ذلك خلال رحلته إلى مصر، وقد حدد عدد اليهود في الإسكندرية مركز ثقل اليهود بنحو ثلاثة الآف يهودي[1]، ورغم أن الهجرات اليهودية كانت مستمرة إلى مصر والإسكندرية تحديدًا من مختلف البلدان، فضلاً عن كونه عصر اندماج حقيقي في الحياة السياسية العامة للدولة[2]، إلا أن أعدادهم كانت في تناقص خلال هذا العصر، وقد أشار الدكتور قاسم عبده قاسم إلى أن هذا التناقص في أعداد اليهود في الاسكندرية يرجع إلى تدهور الاوضاع في المدينة وتراجع أهميتها الاقتصادية والسياسية خصوصًا بعد تعرضها للهجوم الصليبي بقيادة ملك قبرص بطرس الأول الأول لوزجينان في سنة 767هـ/1365م[3]، وكان لهم حي خاص بهم سمي بالحي اليهودي أو حي الدلتا، ويقع خلف ميناء المدينة[4].

تحتل القاهرة المركز الثاني بعد الإسكندرية من حيث عدد اليهود، حيث أشارت المصادر إلى أنه لم يتجاوز ألف نسمة، وكان في تناقص أيضًا، إلا أن هذا التناقص كان أقل مما هو عليه في مدينة

---

(1) التطيلي، رحلة بنيامين، ص213.

(2) سالم، الحركات اليهودية المسيحانية: ع3/ص118.

(3) قاسم، اليهود في مصر من الفتح الاسلامي حتى الغزو العثماني، عين للدراسات الانسانية والاجتماعية (القاهرة: 2015 م)، ص 24 - 25.

(4) سناء عبد اللطيف حسين صبري، الجيتو اليهودي، دار القلم (دمشق:1999م)، ص 175.

الإسكندرية[1]، وتوزع سكناهم في القاهرة على ثلاثة أحياء خاصة بهم هي حي الجودرية[2] وحي زويلة[3] وحي الوزيرية[4].

أما مدينة الفسطاط فقد استوطنها اليهود أيضًا، وكان لهم زقاق خاص عرف باسمهم، يقع بجوار الكنيسة المعلقة[5]، كما استوطنوا في حي آخر من الفسطاط كان يعرف بالمصاصة.

وتوجد فيها كنيستهم المقدسة [6]، كما كانت مدينة بلبيس[7] من المدن المصرية التي استوطنها اليهود في العصر الفاطمي، وأشارت بعض المصادر التاريخية المعاصرة إلى أن عدد اليهود فيها خلال تلك الحقبة كان يصل ثلاثة الآف يهودي[8].

---

(1) قاسم، اليهود، ص 27.

(2) الجودرية: أحد أحياء القاهرة الخاصة باليهود، ولم تذكر المصادر التاريخية سنة استقرارهم فيها، إلا أنها اشارت إلى تسميتها بهذا الاسم نسبة إلى فرقة الجودرية اليهودية التي استقرت فيها، واستمدت تسميتها من جودر خام عبيد الله المهدي، وتم إختطاطها أثناء بناء جعفر الصقلي لمدينة القاهرة، ثم سكنها اليهود فيما بعد، وبقوا فيها حتى تم سد ابوابها واحراقها من قبل الخليفة الحاكم الفاطمي، بسبب سخريتهم عن المسلمين وإساءة الادب، أثناء اجتماعهم فيها، وعقد مجالس الطرب والغناء، فحرم عليهم سكناها. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى: ج3/ص402؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج3 / ص9.

(3) زويلة: انتقل اليها اليهود بعد حرق حارة الجودرية، ويرجع سبب تجمعهم فيها إلى وجود أماكن مقدسة عندهم تمثلت بخمس كنائس يهودية بنيت في العصور الإسلامية، وهذا يدل على التسامح الاسلامي تجاههم، لاسيما في العصر الفاطمي. ينظر: القلقشندي، المصدر نفسه: ج3/ص402.

(4) الوزيرية: من الأحياء الخاصة باليهود، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الوزير الفاطمي ذي الاصل اليهودي يعقوب بن كلس الذي أعتنق الإسلام على المذهب الاسماعيلي، وعمل في خدمة الخليفة المعز وولده العزيز وتوفي في سنة 386هـ/996م. للمزيد ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج3/ص9؛ فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، تعريب: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي (بيروت: 1996م)، ص 396؛ حسن محمد صالح، التشيع المصري الفاطمي، دار المحجة البيضاء (بيروت: 2007م): ج2/ص 12.

(5) قاسم، اليهود، ص 28.

(6) ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الامصار، المكتب التجاري للطباعة والنشر (بيروت: د.ت.): ج1/ص29-30؛ المقريزي، تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، تحقيق: عبد المجيد ذياب، دار الفضيلة (القاهرة: 1997م)، ص85.

(7) بلبيس: مدينة مصرية تبعد عن مدينة الفسطاط عشرة فراسخ (30ميل). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج/ص479.

(8) التطيلي، رحلة بنيامين، ص 209.

في الحقيقة أن هذا العدد مبالغ فيه، وربما يكون ثلاثمئة يهودي، وقد استندنا في هذا الرأي على أمرين:

- **الأول:** إن مدينة الإسكندرية لم يبلغ عدد اليهود فيها هذا المبلغ، لاسيما إنها كانت تتمتع بموقع إستراتيجي مهم ساهم في نشاط الحركة الاقتصادية فيها، فكانت من المدن الجاذبة للاستيطان أكثر من بلبيس، كذلك الحال بالنسبة للقاهرة وهي عاصمة الدولة آنذاك، واليهود كما هو معروف شعب عرف بمزاولته التجارة والصناعات المهمة، وكانوا يسعون دائمًا إلى الاستقرار في مثل هكذا مناطق.

- **الثاني:** إذا ما تتبعنا عدد الأماكن المقدسة لليهود في بلبيس نجد أنها لم تتجاوز المكان الواحد[1]، وهو لا يتناسب مع عدد الثلاثة آلاف الذي أشارت إليه تلك الرواية.

لقد كانت مدينة دميرة[2] من المدن المصرية الأخرى التي استوطن فيها اليهود، وأشار التطيلي إلى أن عدد اليهود فيها بلغ سبعمئة يهودي، كما كان هناك خمسمئة يهودي في مدينة المحلة - المحلة الكبرى حاليا - الواقعة بين دمياط والقاهرة[3]، والتي مثلت القاعدة الرئيسة لإقليم الغربية منذ أزمنة قديمة، فقد قصدها الكثير من اليهود المهاجرين من المغرب العربي للاستقرار فيها، إذ أشارت المصادر إلى إنها كانت مركز تجمع لإعداد من اليهود، فضلاً عن وجود عدة أماكن مقدسة تابعة لهم، وهم من أغنياء اليهود لامتلاكهم الكثير من العقارات والدور[4]، كما تعد مدينة دمياط[5] من المدن المصرية المهمة نتيجة لامتلاكها ميناء يعد من أهم الموانئ المصرية، فكانت تعيش فيها جالية يهودية قدر عددها بمئتي نسمة، وفدت إليها من مختلف البلدان الأوروبية[6].

(1) جلو، اليهود في المشرق الاسلامي، ص 74.

(2) دميرة: قرية كبيرة من قرى مصر قرب دمياط ينسب إليها أبو تراب عبد الوهاب بن خلف ابن عمرو بن يزيد بن خلف الدميري، وهي مكونة من دميرتين إحداهما تقابل الأخرى على شاطئ النيل على الطريق من القاهرة إلى دمياط. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج2/ص472.

(3) رحلة بنيامين، ص 210.

(4) للمزيد من التفاصيل ينظر: قاسم، اليهود، ص 39-40.

(5) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل مخصوصة بالهواء الطيب وهي ... معجم البلدان: ج2/ص472.

لم يقتصر الوجود اليهودي على المدن التي ذكرناها فقط، وإنما استوطنوا في مدن أخرى كالفيوم[1] حيث بلغ عددهم فيها مئتي نسمة، فضلاً عن مائتي يهودي كانوا يستوطنون في مدينة بوتيج الواقعة في الصعيد المصري، كذلك مدينة سمنود[2] وقوص[3] عاصمة مصر العليا التي بلغ عدد اليهود فيها ثلاثمئة نسمة. أما مدينة حلوان[4] الواقعة في جنوب القاهرة فسكنها قرابة ثلاثمئة يهودي، كذلك مدينة بهنا، فقد استوطنها ستون يهوديًا وتنيس[5] نحو أربعين نسمة، كما توزعوا في مناطق أخرى متنوعة من مصر، ولكن المصادر لم تحدد أعدادهم في مناطق أخرى كمنيات غمر ومميت زفتي والمطرية وقليوب وشطانوف وسبك ومليج وشبرا وبوصير وأشموم طناح وأبوان ودمنهور[6].

المبحث الثاني: اليهود في العصر الطولوني والإخشيدي

لقد عاش اليهود في مصر خلال العصر الطولوني (254-292هـ/868-905م) كجزء من المجتمع المصري، ويعد هذا العصر امتدادًا للعصر الراشدي والأموي، ومن ثم العباسي في مصر، وكان معظم اليهود الموجودين فيها من الأثرياء ورجال الأعمال الذين نشطوا في مجال الاقتصاد، لاسيما التجارة

---

(1) الفيوم: مدينة تقع غربي القاهرة بينها وبين الفسطاط أربعة أيام (160كم) بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين(80 كم) وهي في منخفض الأرض، ويقال إن النيل أعلى منها وإن يوسف عليه السلام لما ولي مصر، ورأى ما لقي أهلها في تلك السنين القحط فكر في حفر نهرا وساقه إلى الفيوم، تسقى منه جميع مزارعها تشرب قراه مع نقصان النيل ثم يتفرق في نواحي الفيوم على جميع مزارعها لكل موضع شرب معلوم. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج4/ص286.

(2) سمنود: بلد من نواحي مصر جهة دمياط مدينة أزلية على ضفة النيل بينها وبين المحلة ميلان. ينظر: المصدر نفسه: ج3/ ص254.

(3) قوص: وهي مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر تقع شرقي النيل، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما (480 كم) وأهلها أرباب ثروة واسعة، وهي محط التجار القادمين من عدن وأكثرهم من هذه المدينة، وهي شديدة الحر لقربها من البلاد الجنوبية. ينظر: المصدر نفسه: ج4/ ص 413.

(4) حلوان: قرية من أعمال مصر بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين (6ميل) من جهة الصعيد مشرفة على النيل. ينظر: المصدر نفسه: ج2/ص293.

(5) تنيس: جزيرة في بحر أكثر قربًا من البر، وتقع ما بين مدينتي الفرما ودمياط والى الغرب من الفرما. ينظر: المصدر نفسه: ج2/ص51.

(6) للمزيد ينظر. جلو، اليهود في المشرق الاسلامي، ص 75 -76.

والصناعة[1]، كما إن هذه الحقبة شهدت تطورات وتغيرات ملحوظة، تمثلت بدخول أعداد كبيرة من أهل الذمة في الإسلام بما فيهم اليهود[2]. في الحقيقة، إن إقدام أهل الذمة على اعتناق الإسلام يرجع إلى التسامح الإسلامي في التعامل معهم.

تمتع اليهود مع سائر أهل الذمة بحرية ممارسة المهن المختلفة، وحرية التملك فامتلكوا الضياع والأراضي الزراعية الخصبة، كما إنهم عملوا في مختلف الوظائف المالية والتجارية والطبية، مما يدل على أنهم تمتعوا في ظل الحكم الطولوني بحرية وافرة[3]، وقد وفد خلال هذا العصر عدد كبير من يهود فارس والعراق إلى مصر، ممن كانوا يزاولون العمل في التجارة بين الشرق والغرب عبر منطقة الخليج العربي، ونتيجة لتعطل هذا الطريق هاجر هؤلاء اليهود إلى مصر، ومما يثبت صحة ما ذهبت إليه المصادر عندما ذكرت الألقاب التي حملها بعض هؤلاء اليهود، مثل السمرقندي والتستري والنيسابوري والبغدادي والبصري والكوفي[4]، كما كان لهم دور في في الحياة العلمية خلال هذا العصر، فبرعوا في مجال الطب وزاولوه، واستخدم أحمد بن طولون (254-293هـ/868-905م) عددًا منهم[5]، وعلى ما يبدو أن العلاقات بين اليهود في مصر وابن طولون كانت حسنة، وأفضل مما كانت عليه مع المسيحيين، ومما يدل على ذلك قيامه ببيع عددٍ من كنائس المسيحيين لليهود، وقد أشارت بعض الروايات التاريخية إلى أن البطريرك ميخائيل الثالث هو الذي اضطر إلى بيع كنيسة بالفسطاط، فضلاً عن ممتلكات مسيحية أخرى، وذلك من أجل جمع الضريبة المترتبة عليه من الدولة الطولونية[6]، إلا أن الروايات التاريخية الأخرى أشارت إلى ما هو أدق من ذلك، وأكدت أن سبب بيع البطريرك ميخائيل الثالث للكنيسة كان من أجل تقديم المساعدة المالية البالغة عشرين ألف دينار لأحمد بن طولون بعد أن طلبها منه، لغرض تغطية نفقات الجيش[7]،

---

(1) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص 41.

(2) علي حسني الخربطلي، الإسلام وأهل الذمة، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية (د.م.:1969م)، ص 218.

(3) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص 42.

(4) القوصي، تجارة مصر في البحر الاحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، د.م. (القاهرة: 1976م)، ص 70.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج3/ص17.

(6) المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج4/ص397؛ سيد كاشف، أحمد بن طولون، سلسلة أعلام العرب (القاهرة 1965م)، ص 218.

(7) ساويرس، سير الاباء، د.م. (القاهرة: 1948م): مج2/ج2/ص 74.

وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على أمرين مهمين أولهما: أن يهود مصر كانوا على درجة كبيرة من الثراء، الذي مكنهم من شراء الكنيسة وملحقاتها، وثانيهما: يدل على مدى التسامح الكبير للحكام المسلمين معهم بحيث سمحوا لهم بشراء بعض المعابد الدينية.

أكدت الروايات التاريخية أن اليهود أدوا دورًا كبيرًا في الأحداث التاريخية خلال تلك الحقبة وشاركوا في العديد من الأحداث التي وقعت أبان العصر الطولوني، ومما يثبت ذلك أن أحمد بن طولون طلب من رعيته بأن يدعوا له بالشفاء عندما اشتد به المرض، فخرج المسلمون بالقرآن، والمسيحيون بالإنجيل واليهود بالتوراة، واستمروا بالدعاء له وعلى هذه الحال حتى وفاة ابن طولون في سنة 293هـ/905م [1]، كما سار خلفاء ابن طولون على نفس منهجه المتسامح تجاه اليهود، ولم تشر المصادر التاريخية إلى أي ذكر لأحداث كان لليهود دور فيها خلال عصرهم، مما يعني أن حياتهم كانت تسير بشكل طبيعي حتى سقوط الدولة الطولونية[2].

على الرغم من الحياة المستقرة التي عاشها اليهود خلال هذه الحقبة، إلا أن ذلك لا يعني أنهم كانوا موضع عناية واحتفاء من لدن الأسرة الطولونية، فقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن أحمد بن طولون قام بتدمير قبور اليهود والنصارى في سنة 256هـ/869م الواقعة في الموقع الذي بنى فيه عاصمته الجديدة التي سميت بالقطائع[3].

عادت مصر ولاية تابعة للخلافة العباسية بعد سقوط الدولة الطولونية في سنة 293هـ/905م، إلا أن سياسة التسامح التي اتبعت مع اليهود لم يطرأ عليها أي تغيير عما كانت عليه. فنعموا بالحرية والأمان، ولم تتأثر حياتهم بشيء، إلا بعد أن اصدر الخليفة العباسي المقتدر بالله مرسومًا في سنة 295هـ / 908 م أثناء ولاية الأمير عيسى النوشري على مصر، إذ تضمن هذا المرسوم عدم استخدام أحد من اليهود والمسيحيين في وظائف الدولة الإدارية، باستثناء العمل في مجال الجهبذة والطب، كما ألزمهم بارتداء زي خاص، من أجل تمييزهم عن المسلمين[4].

آل حكم مصر في سنة 323هـ/935م للإخشيديين الذين حكموا خلال الحقبة (323-358هـ/935-969م)، فنشط اليهود بشكل كبير، لاسيما في الأعمال التي كانت تدر أرباحًا كبيرة كالعمل في

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج3/ص 18؛ كاشف، أحمد بن طولون، ص 218.

(2) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص44.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج2/ص106؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج3/ص15.

(4) المقريزي، المصدر نفسه: ج2/ص124-125؛ ابن تغري بردي، المصدر نفسه: ج3/ص132،152.

التجارة والصناعة وصياغة الذهب والمجوهرات، فبرز من بينهم الكثير من أصحاب الضياع والأطباء والتجار والصيارفة، ولم تشر الروايات التاريخية إلى وقوع أي نوع من أنواع الاضطهادات لأهل الذمة من يهود أو مسيحيين، كما أنها صمتت عن المراسيم التي كانت تصدر لإلزام أهل الذمة بتطبيق الشروط العمرية من حيث الزي والركوب، فضلاً عن امتلاكهم محاكم قضائية خاصة لحل المنازعات التي تحدث بينهم، مع احتفاظهم بحقهم في حرية اللجوء إلى القضاء الإسلامي، مقابل بقاء التزامهم بدفع الجزية المفروضة عليهم مع مراعات مستوياتهم الاجتماعية[1].

ويعد يعقوب بن كلس واحدًا من أبرز اليهود الذي خدموا الدولة الإخشيدية، فقد عمل بالتجارة بعد أن انتقل من بغداد إلى مصر التي اتصل فيها بكافور الأخشيدي، واكتسب شهرته من كافور، إذ إنه عرف بـ(تاجر كافور)، كما إنه نظم الأمور المالية لكافور، فاعتنق ابن كلس الإسلام في نهايات عهد كافور[2]، ونظرًا للدور الكبير الذي اداه ابن كلس خلال حياته على الصعيد الإداري والعلمي في مصر، فإننا سنخصص مبحثًا مستقلاً للحديث عن ذلك.

لقد كشفت إحدى الوثائق اليهودية المسماة بالجنيزة، وهي تتحدث عن سنة 348هـ/959م، عن كيفية اندماج اليهود مع غيرهم من أبناء المجتمع المصري من خلال السكن بالقرب من حصن الروم المعروف بقصر الشمع، إذ يعد هذا من الصور الجلية على التعايش المشترك وحسن الجوار بين جميع الطوائف المجتمعية[3].

لقد عاش اليهود خلال الحكم الإخشيدي لمصر بشكل طبيعي، وكانت حياتهم مستقرة كما كانت عليه الحال في العصر الطولوني، وبقيت على هذا المنوال حتى قيام الدولة الفاطمية في مصر.

المبحث الثالث: الأوضاع العامة لليهود في العصر الفاطمي

استقرت أحوال اليهود في مصر بعد الفتح الإسلامي، نتيجة لما لاقوه من تسامح ومعاملة حسنة من قبل الحكومات الإسلامية في مصر بشكل عام، إلا أن تركيز الروايات التاريخية كان على مدينة الإسكندرية أكثر من غيرها لأنها مثلت مركز ثقلهم.

---

(1) كاشف، مصر في عصر الاخشيديين، د.م. (القاهرة:1950م)، ص239؛ الخربطلي، العرب واليهود في العصر الاسلامي، د.م. (القاهرة: د.ت.)، ص 69-70.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج4/ ص158؛ فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص62.

(3) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص46-47.

لقد عاش اليهود في مختلف المدن المصرية، وسكنوا في أحياء خاصة بهم، ومارسوا عباداتهم في أماكنها الخاصة، كما أصبح للعديد منهم شأن كبير في مجال الحياة السياسة والعلمية كالعمل في الوظائف الإدارية والدواوين[1]، لاسيما في العصر الفاطمي، وقد مثلت ممارسات اليهود واحتفالاتهم بأعيادهم الخاصة خلال هذا العصر جزءًا من التسامح الاسلامي تجاه أهل الذمة، حيث شاركوهم شعبًا وحكومة في احتفالاتهم ومناسباتهم وأعيادهم الدينية، التي أصبحت شبه رسمية آنذاك[2]، كما كان لليهود في مصر زعامات روحية تقوم بتنظيم أمور حياتهم وتدبير شؤونهم الخاصة، وأطلق عليهم تسمية الناجد، ولا يتسنم زمام هذه الوظيفة، إلا إذا كان من كبار علماء اليهود الدينيين وأحبارهم، وكانت مهمته إدارة شؤونهم الخاصة، لاسيما فض النزاعات التي تقوم بينهم، وإصدار العقوبات بحق المخالفين، كما يقوم بتدوين عقود الزواج. أما على الصعيد الديني فيقوم الناجد بتعيين الموظفين في المعابد، وكانت محل إقامته في قصر الخليفة الفاطمي[3].

لقد ارتبط أهل الذمة في مصر وبضمنهم اليهود بعلاقات وثيقة مع الخلافة الفاطمية وكانت الألقاب والهدايا والأعطيات التي منحها لهم الخلفاء الفاطميون خير دليل على ذلك، إلا أنهم رغم ذلك لم يتركوا أعمالهم العدائية وأسلوبهم الاستعلائي تجاه المسلمين، مما أدى إلى امتعاض المسلمين واستنكارهم لما يقومون به من أعمال، ويرجع هذا الاستعلاء إلى تحسن أوضاعهم آنذاك، نتيجة لما تمتعوا به من دور كبير في مجال تولي الوظائف الإدارية، حيث استعان بهم الخلفاء الفاطميين في إدارة الدواوين[4]، مما زاد من مكانتهم، فأصدر الفاطميون أمرًا منعوا بموجبه الاعتداء على اليهود من أي طائفة أخرى، فضلاً عن السماح لهم بأداء طقوسهم وشعائرهم الدينية بكل حرية، فكان العصر بمثابة العصر الذهبي لليهود، إذا ما قورن بما حصلوا عليه من امتيازات بالعصور الأخرى[5].

---

(1) التطيلي، رحلة بنيامين، ص350.

(2) المصدر نفسه، ص350؛ محمد بن أحمد بن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، د.م. (بولاق: 1311هـ): ج1/ص51.

(3) التطيلي، مصدر نفسه، ص349 -350.

(4) سلام شافعي محمود، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الاول، الهيئة المصرية العامة للكتاب(د.ت.: 1995م): ج1/ص9.

(5) هيفاء عاصم محمد الطيار، أهل الذمة ومكانتهم في المجتمع المصري، بحث منشور في مجلة الدراسات في التاريخ والاثار (د.م.: 2009م): ع10/ص488.

عندما تولى أمر الخلافة الفاطمية المعز لدين الله (341-365هـ/952-975م) أصدر عفوًا في سنة 362 هـ 973 / م عن جميع المخالفين من أهل الذمة يهودًا ونصارى، وكان السبب الرئيس الذي يقف وراء تحسن علاقته باليهود، يرجع إلى أن زوجته كانت مسيحيةً، مما أسهم في اعتماده على أعداد كبيرة منهم للعمل في دواوين دولته[1]، فأصبح لهم شأن كبير وكلمة عند الخليفة المعز، وسعوا إلى أن يكونوا هم وحدهم أصحاب الكلمة النافذة دون سائر أهل الذمة الآخرين، ومما يدل على ذلك طلبهم من الخليفة المعز بأن يسمح لهم بمناظرة الأقباط في حضرته فوافق على طلبهم، لاسيما أن كل من اليهود والأقباط كانوا على معرفة بدين الطرف الآخر، وما جاء في التوراة والإنجيل، وتصدى كل فريق لمجادلة الآخر والحط من شأنه، وإبراز ما يراه نقائص في دينهم، وكثيرًا ما شهد البلاط الفاطمي مثل هذه المناظرات والمجادلات الدينية[2].

استمر اليهود على مكانتهم التي حققوها خلال عهد العزيز بالله الفاطمي(365-411هـ/975-1020م) أيضًا، بل زادت مكانتهم إلى درجة كبيرة، فتمت توليتهم لمناصب عليا وحساسة في الدولة، كالوزارة ورئاسة الدواوين ومنصب النيابة عنه في الشام كمنشا بن ابراهيم اليهودي[3]، الذي تولى النيابة وارتفع شأن اليهود في عهده كثيرًا لمعاملته لهم معاملة متميزة عن المسلمين، إذ خفض الضرائب عن اليهود ورفعها على المسلمين، بل لم يتوانَ عن الإساءة إليهم، مما أثار سخطهم وامتعاضهم من تلك السياسة[4]، فعمدوا إلى تقديم الاحتجاج على ذلك عند الخليفة، وخير ما مثل ذلك ما كتبته عجوز تخاطب الخليفة قائلة له بالذي أعز اليهود بالمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذل المسلمين بك، ألا قضيت أمري، وهي تؤكد من خلال حديثها على منشا اليهودي وابن نسطورس اللذين توليا مقاليد الأمور بعد الوزير ابن كلس[5]، وأمام هذه الاحتجاجات اضطر الخليفة الفاطمي إلى عزل النائب اليهودي على بلاد الشام، ومصادرة أمواله [6].

---

(1) متز، الحضارة الإسلامية: ج1 / ص 64.

(2) عامر، تاريخ أهل الذمة: ج2/ص238.

(3) أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية (بيروت: د.ت.)، ص 281.

(4) شهاب الدين احمد بن عبد الله النويري، نهاية الارب في فنون الأدب، تحقيق: يوسف الطويل وآخر، دار الكتب العلمية (بيروت: 2004م): ج28/ص167.

(5) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص 49.

وعندما تولى الخليفة الفاطمي الحاكم(386-411هـ/996-1020م) الحكم، كان معظم رجال الإدارة وموظفي الدواوين من أهل الذمة، واتبع سياسة متسامحة مع هؤلاء الموظفون في بداية عهده، يقابلها التشديد في معاقبة المخالفين منهم ،لاسيما الذين جمعوا ثروات كبيرة من مصادر غير معروفة[1].

على الرغم من المكانة الكبيرة التي تمتع بها اليهود خلال العصر الفاطمي، إلا أن تلك الحقبة لم تخلُ من بعض الإجراءات التي اتخذها الخليفة الحاكم بحقهم، بسبب أعمالهم العدائية تجاه المسلمين، كاستهزائهم بالإسلام والسخرية منه، فعندما علم الخليفة بأفعالهم، تخلى عن سياسة التسامح تجاههم، إذ أمر بتحريقهم وأغلقت أبواب حارتهم التي تم إحراقها ليلاً ،وفرض عليهم الإقامة الجبرية في حارة خاصة بهم تم إنشاؤها في مدينة القاهرة سنة 389هـ/999م وأطلق عليها اسم حارة زويلة، واتخذ بحقهم إجراءات لم يتعرض لها اليهود في مصر منذ الفتح الإسلامي، إلا في عهده إذ انفرد بهذه السياسة، ومن أهم الإجراءات التي اتخذها بحقهم:

1. أجبرهم على ارتداء زي خاص بهم تميزاً لهم عن المسلمين.
2. منع توليتهم أي وظيفة في الدولة الفاطمية.
3. منعهم من مغادرة أحيائهم، وعدم اختلاطهم بالمسلمين.
4. أن يضعوا أجراسًا في أعناقهم، وأن يشدوا في أوساطهم زنانير، ويضعوا على رؤوسهم عمائم سود.
5. تم منعهم من ركوب الخيل والبغال[2].

استمرت هذه السياسة لمدة عشر سنوات حتى سنة 411هـ/1020م، حيث عدل الخليفة الحاكم عنها، فمنحهم كتاب أمان، سمح لهم بموجبه بإعادة بناء كنائسهم وبيعهم، كما إنه أعفاهم من لبس الزي المحدد لهم[3]، وعندما تولى الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (411-427هـ/1020-1035م)، اتبع سياسة متسامحة معهم، فأصبحوا مثار عطف عند الخلفاء الفاطميين[4]، إذ أصدر

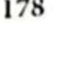
---

(1) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء:ج2/ص576.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج 4/ص 418؛ عبد المنعم سلطان، المجتمع المصري في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية، د.م. (القاهرة: 1985م)، ص 100.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية: ج15/ص521؛ المقريزي، المصدر نفسه: ج4/ص398-399.

(4) عبد المنعم ماجد، تاريخ الخلافة الفاطمية، دار الفكر (عمان: 2010م)، ص 223.



الظاهر الفاطمي مرسومًا منحهم فيه الأمان، وأعلن خلاله أنهم أحرار في عقائدهم وشعائرهم، وأنه لا إكراه في الدين، وإن آثر أحد منهم اعتناق الإسلام بمحض إرادته، فليدخل فيه مقبولاً، ومن آثر البقاء على دينه من غير ارتداد، كان عليه ذمته وحياطته[1]، واستمروا على هذا الحال قرابة قرن من الزمان حتى عهد الخليفة العاضد لدين الله (555-567هـ/1160-1171م)، وبصفة عامة كانت أوضاع اليهود في مصر افضل ما يكون خلال العصر الفاطمي[2].

إن الحرية التي تمتع بها اليهود في ممارسة طقوسهم وعباداتهم الدينية، واحتفاظهم بأماكن عبادتهم، تعد خير دليل على التسامح الفاطمي تجاههم، حيث وجد في مصر العديد من الأماكن اليهودية المقدسة كالكنائس والأديرة، التي قدمت المصادر، لاسيما المقريزي[3] تفصيلات دقيقة عنها، فقد أحصاها كلها فبلغ عددها إحدى عشر دير وكنيسة، كما أشرنا آنفًا كما أكد على أن جميع كنائس القاهرة تم بناؤها في العهود الإسلامية، وتعد كنيسة دموه من أهم المقدسات اليهودية في مصر ومن أعظمها ،وقد اكتسبت قدسيتها من كونها المكان الذي كان يأوي إليه النبي موسى عليه السلام حسب اعتقادهم، وذلك عندما كان يبلغ رسالات ربه إلى فرعون مصر عندما كان يسكن فيها[4]، ويرجعون تاريخ بنائها إلى القرن الأول الميلادي[5]، وهي تستمد قدسيتها مما ذكرنا عند جميع فرق اليهود وطوائفهم، فيجتمعون فيها مع عوائلهم في عيد الخطاب[6]، ويعتقدون أنها بمثابة الحج إلى مدينة القدس، أما كنيسة جوجر، فهي من المقدسات اليهودية بل وأجلها، حسب اعتقادهم وزعمهم بأنها مكان ولادة إلياس عليه السلام ومسكنه[7]، هذا عن الكنائس التي يشترك فيها عامة اليهود، وفي ذات الوقت كانت هناك العديد من الأماكن الدينية الخاصة ببعض طوائفهم، وسميت بأسمائها ككنيسة القرائين التابعة لطائفة القرائين وكنيسة الربانيين التابعة للسامرية، كما كان هناك العديد من الكنائس التابعة لليهود الوافدين إلى مصر من مختلف البلدان كفلسطين والعراق وسميت

(1) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص53.

(2) ماجد، تاريخ الخلافة الفاطمية، ص 223.

(3) المواعظ والاعتبار: ج2 / ص464-472.

(4) للمزيد من التفاصيل ينظر: المقريزي، تاريخ اليهود، ص 55.

(5) التطيلي، رحلة بنيامين، ص 175؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج 2/ص464-465.

(6) عيد الخطاب: أو ما يعرف بعيد الاسابيع أو عيد العنصرة، أو عيد عشرتا أي (الاجتماع)، ويصادف في اليوم السادس من شهر سوان اليهودي للمزيد من التفاصيل ينظر: المقريزي، تاريخ اليهود، ص56.

(7) المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج2 / ص 465؛ السيد، اليهود في شرق البحر المتوسط، ص50.

بأسماء بلدانهم[1] فضلاً عن كنائس أخرى لطوائف مختلفة من يهود مصر ككنيسة دار الحدرة وكنيسة السمرة والكنيس الكبير لسيدنا موسى عليه السلام الواقعة بالقرب من الجيزة، وتقول اليهود بأنها بنيت في المكان الذي وقف فيه النبي موسى عليه السلام، ورفع كفيه إلى السماء داعيًا إلى فرعون لعنه الله، ونبتت فيها شجرة دائمة الخضرة يعتقد اليهود أن النبي موسى عليه السلام غرس عصاه في الأرض فنبتت هذه الشجرة[2]، كما كان يتبع الأماكن المقدسة لليهود الكثير من الأراضي الزراعية والبساتين الواسعة، التي كانت تنفق جميع وارداتها على بناء هذه الأماكن، ومعيشة القائمين عليها[3].

المبحث الرابع:دور اليهود في الطب والإدارة والاقتصاد في ظل الفاطميين

لقد برع اليهود في عدة مجالات خلال العصر الفاطمي، ففي مجال الطب وصناعة الادوية، برزت منهم أسماء لامعة حازت على شهرة واسعة خلال هذا العصر، مثل الطبيب موسى بن العازر الإسرائيلي، الذي عمل في خدمة الخليفة المعز، كما عمل ابنه اسحق بن موسى في خدمة الخليفة ذاته، وفي الحقبة نفسها برز طبيب يهودي كان يسمى بـ(الحقير النافع اليهودي)، وكان أحد أطباء الخليفة الحاكم بأمر الله، فضلاً عن أبي منصور اليهودي الذي عاصر الخليفة الحافظ لدين الله، وأبي الخير سلامة مبارك بن رحمون اليهودي، والشيخ أبي جعفر يوسف بن حسداي الإسرائيلي الذي اختص بخدمة الوزير المأمون البطائحي، كما ذاعت آنذاك شهرة الطبيب أبو كثير أفراييم بن يعقوب الذي خدم بعض الخلفاء الفاطميين، وبعض قادة الدولة ووزرائها، لاسيما خدمته للوزير الأفضل بن بدر الجمالي الذي أحاطه برعايته وأكرمه كثيراً[4].

أما على صعيد الإدارة، فقد أدى اليهود دورًا كبيرًا في هذا الجانب خلال العصر الفاطمي، وبرزت منهم عدت شخصيات ذاع صيتها، كأبي المنجا بن يشعيا الذي كان مشرفًا للأعمال في الشرقية، وهي وظيفة كان يتولاها الموظفون الذين يشرفون على الأمور المالية، لاسيما الأوقاف[5]، وقد أشار القلقشندي إلى أن الوزير الأفضل الجمالي قد أوكل إليه مهمة حفر القناة التي أطلق

(1) التطيلي، رحلة بنيامين، ص 171 -172؛ المقريزي، المصدر نفسه: ج 4/ص371..

(2) التطيلي، المصدر نفسه، ص 394؛ المقريزي، المصدر نفسه: ج 4/ص371.

(3) قاسم، اليهود، ص 66.

(4) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص53-54.

(5) شرف الدين أسعد ابن مماتي، قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال، د. م. (القاهرة: 1943م)، ص302.

عليها قناة أبو المنجا، فضلاً عن شخصية أخرى أوردها القلقشندي، وهي ابن أبي الدم اليهودي الذي عمل كاتبًا في ديوان الإنشاء للخليفة الآمر بأحكام الله [1]، وفي ديوان الخراج عمل اليهودي أبي يعقوب السامري، وذلك في العصر الفاطمي المتأخر [2]، إلا أن أبرزهم في هذا المجال كان الوزير يعقوب بن كلس الذي سنتناوله في مبحث مستقل لأهمية الدور الذي قام به.

أما في الجانب الاقتصادي، فقد نشط اليهود بشكل كبير في الصناعة والتجارة، فعلى صعيد الصناعات، فقد مارسوا صناعة الخمور التي اختص بها أهل الذمة من يهود ومسيحيين آنذاك، فضلاً عن العمل في صناعة السكر والعسل التي اشتهرت بها مدينة الفسطاط، وكان لها مصانع خاصة تدار بوساطة اليهود، كما اشتهروا بمهارتهم في صناعة الزيتون والحلي والمعادن[3]. أما التجارة، فكان لهم دور كبير فيها بفضل التسامح الإسلامي في ظل الخلافة الفاطمية، التي نجحت بشكل كبير في تأمين الطرق التجارية الخارجية، وتوفير المواصلات الداخلية، فمارسوا تجارة الذهب والمجوهرات وأعمال الصيرفة[4]، فكانت النتيجة الطبيعة لعملهم في الصناعة والتجارة أن جنوا أموال طائلة، وحققوا ثروات هائلة، أسهمت في ازدياد نفوذهم ومكانتهم الاجتماعية.

المبحث الخامس: وزراء وإداريون فاطميون من أصول يهودية

بعد أن أصبح لليهود شأن كبير في العصر الفاطمي، نتيجة لتغلغلهم في مفاصل الدولة وتوليهم أعلى المناصب كما أسلفنا، فكان منصب الوزارة واحدًا من المناصب الإدارية المهمة التي عملوا بها آنذاك، فهو يأتي بعد الخليفة من حيث الترتيب الهرمي للإدارة، وبذلك تسلطوا على الخلفاء الفاطميين وشؤون الدولة عامة، فأضفى عليهم هؤلاء الخلفاء ما أضفوه من الألقاب والنعوت، كلقب (رجل الدولة الأول) و(الأمين) و(القائد) وغيرها من الألقاب التشريفية[5] فضلاً عن منحهم رواتب عالية جدًا كانت تصل إلى خمسة آلاف دينار في كثير من الأحيان، مما أمن لهم حياة مترفة، ومكنهم من جمع ثروات طائلة[6].

---

(1) صبح الاعشى: ج3/ص302.

(2) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص55.

(3) جمال الدين الشيال، تاريخ مصر الإسلامية من الفتح الاسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي، دار المعارف (القاهرة: 1967م): ج2/ص108.

(4) قاسم، اليهود، ص 62.

(5) محمد حمدي المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف (القاهرة: 1970م)،ص36.

(6) عارف تامر، الحاكم بأمر الله خليفة وإمام ومصلح، دار الافاق الجديدة (بيروت: 1982م)،ص 65.

لقد تولى منصب الوزارة في العصر الفاطمي العديد من أهل الذمة كالأرمن واليهود وغيرهم وكان من بينهم أربعة وزراء من أصول يهودية هم يعقوب بن كلس، وعسلوج بن الحسين[1]، وأبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي[2] وأبو علي الحسن بن أبي سعد ابراهيم بن سهل التستري[3]، إلا أن الأول كان أشهرهم، لذا فإننا سنتطرق لحياته ودوره في الناحية الإدارية والاقتصادية والعلمية في العصر الفاطمي.

أولاً: الوزير يعقوب بن كلس

1: حياته ودخوله في خدمة الفاطميين

هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن داود بن كِلِّس ،أما نسبه حسب ادعائه فيرجع إلى بني إسرائيل وبأنه من ذرية هارون بن عمران، وقد أشارت رواية أخرى إلى أن نسبه يرجع إلى ذرية السموأل بن عاديا اليهودي[4]، والشيء الثابت أنه ولد في بغداد من أبوين يهوديين سنة

---

(1) هو الوزير الفاطمي الثاني بعد الوزير يعقوب بن كلس وهو من ذوي الاصول اليهودية، وكان مقربًا من الخليفة المعز، وعمل جنبًا إلى جنب مع ابن كلس في الادارة المالية للدولة، وعلى الرغم من قيامة بأعمال الوزارة، إلا إنه لم يتلقب بها، وبقي على ذلك حتى وفاته سنة 392هـ/1001م. ينظر: الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص 396؛ صالح، التشيع المصري الفاطمي: ج2/ص 12؛ الطيار، مدينة القاهرة خلال عصر الخلافة الفاطمية، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة للجامعة المستنصرية (بغداد: 2005م)، ص 234.

(2) من الوزراء الفاطميين ذوي الاوصول اليهودية، اعتنق الإسلام على المذهب الاسماعيلي 94تولى الوزارة في سنة 436 هـ/ 1044من قبل الخليفة المستنصر بالله الفاطمي وبرع في مجال الكتابة والبلاغة، قتل في سنة 440هـ 1048 / م نتيجة للمكائد والدسائس التي كان يدبرها منافسيه ومعاديه، من مؤيدي الوزير التستري. للمزيد ينظر: ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ص106؛ ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء: ج3/ص144.

(3) هو ابو علي الحسن بن ابي سعد ابراهيم بن سهل التستري، أصله يهودي اعتنق الإسلام على المذهب الاسماعيلي، وانكب على دراسة القرآن الكريم وحفظه، استوزر من قبل الخليفة المستنصر في سنة 455هـ/1063م، لاسيما بعد أن اثبت جدارة في الاشراف على بيت المال، ولقب بالعميد بعد توليه الوزارة، وقتل بتدبير من الوزير الفلاحي. للمزيد ينظر: ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن ابن الطوير القيسراني، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: محمد فؤاد سيد، فرانس شتايز شتوتغارت (د.م.:1992م)، ص 74؛ حسن فضل الله، المدرسة في الإسلام نشأتها اتجاهاتها ووظائفها، دار الهادي للطباعة والنشر (بيروت: 2009م)، ص 106.

(4) ابن خلكان، وفيات الاعيان: ج5/ص393؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، اعتناء: هلمون ريتر (بفيبان: 1962م): ج28/ص87.

318هـ/930 م[1]، ونشأ فيها وتعلم، فأصبح متبحرًا متكلمًا في اليهودية وعلوم الحساب وصانئًا لنفسه خبيرًا بالكتابة[2] ومن ثمة رحل إلى بلاد الشـــام بمعية والده، فاســتقر في الرملــة ومنها أرسله والده إلى مصر في سنة441هـ/942م، فأصبح من المقربين لكافور الإخشيدي[3]، الذي أوكل إليه عمارة داره وتولى حجابته، ونظرًا لما تمتع به من صفات حسنة كالإخلاص له والبراعة في الحساب، أسند اليه إدارة حسابته[4].

على ما يبدو أن كافور كان يبحث عن رجل من هذا الطراز للاعتماد عليه وتوظيفه في خدمة الدولة، لذلك منحه ثقة كبيرة، ومما يدل على ذلك أنه أصدر أمرًا بألّا ينفق أي مبلغ مهما قل قدره دون موافقة يعقوب بن كلس، ولم يعد شيء يمر إلا من بين يديه، فأصبح جميع رجال الدولة من حجاب وأشراف يقفون له.

بعد المكانة الكبيرة التي حققها يعقوب بن كلس، وبحكم تأثره بالمجتمع المحيط به اعتنق الإسلام في سنة 356 هـ/966 م[5]، على الرغم من أن اليهودية لم تكن عائقًا أمام تقدمه وشهرته، فقد كان معروفًا باليهودي كما أشرنا آنفًا، وظل كذلك بعد إسلامه، فقد أشارت الروايات التاريخية إلى أنه أخذ شيخًا إلى بيته يعلمه القرآن والفقه وبقية علوم الإسلام[6]، واهتم كثيرا بدراسة علوم الدين والنحو[7]، ونتيجة للمكانة التي اكتسبها يعقوب عن كافور ازداد حسد الوزير ابن الفرات له، وما أن توفي كافور في سنة 963/ 968م حتى قام الوزير باعتقاله، ولم يتم الإفراج عنه إلا بعد أن بذل له مبالغ طائلة، وهرب على إثرها إلى بلاد المغرب سنة 375هـ /973م، والتقى في طريقه اليها بالقائد الفاطمي جوهر الصقلي أثناء سيره لفرض السيطرة على القاهرة، وبعد الاستيلاء الفاطمي على

---

(1) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص62.

(2) ابو القاسم علي بن منجب بن سليمان بن الصيرفي، الاشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: عبد الواحد مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة: 1924م)، ص19.

(3) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص62.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج4/ ص158.

(5) ابن خلكان ،وفيات الأعيان :ج3/ ص393.

(6) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص65 -66، عامر، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية:ج2/ ص234.

(7) شمس الدين ابو المظفر يوسف قزاوغلي بن عبدالله المعروف بابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، تحقيق: جنان جليل، الدار الوطنية للنشر (بغداد: 1990م)، ص240.

مصر اتصل بالمعز لدين الله، وعمل في خدمته، حتى أصبح من المقربين عنده[1]، وإذ منحه المعز الفاطمي صلاحيات وزير على الرغم من عدم توليه إياها رسميًا، وما أن تولى العزيز أمر الخلافة حتى كلفه بالوزارة بشكل رسمي في سنة 368هـ/978م، وأصبح بموجب ذلك أول شخص من أصل يهودي يتولى الوزارة في الدولة الفاطمية، كما أنه أول من خوطب بالوزارة في العصر الفاطمي، ثم أنعم عليه بلقب (الوزير الأجل) في سنة 367 هـ/977م، وأصدر مرسومًا يقضي بألا يخاطب إلا بهذا اللقب[2] وقد أشارت إليه المصادر التاريخية في مصر باسم (اليهودي البغدادي) أو (يهودي من بغداد) أو (الكاتب البغدادي)[3]، وكان سببًا في قيام المعز بإرسال قائده جوهر الصقلي إلى مصر بعد أن عرض عليه أوضاعها، وأطمعه بالاستيلاء عليها[4]، لما له من معرفة في مواطن ضعف الدولة الإخشيدية وعجز جيوشها، فضلاً عن الأزمة المالية التي تمر بها بسبب الطواعين والمجاعات التي ضربتها، وهذا ما أكد عليه لين بول قائلاً: ((وجوده ثبت قرار الخليفة الفاطمي))[5].

لقد عاصر يعقوب بن كلس خليفتين فاطميين هما المعز لدين الله وولده العزيز بالله، فعندما عاد إلى مصر 363 هـ/ 973 م بعد رحيل خمس سنوات عنها، وأدى دورًا كبيرًا في عهد المعز الذي أوكل إليه بعد وصوله إلى مصر شؤون الخراج، وظل يشغل هذا المنصب حتى تولى الوزارة من قبل العزيز، من خلال ما قام به من أعمال وإصلاحات، لاسيما فيما يتعلق بالأمور المالية للدولة كتحصيل الضرائب، كما وضع أسس جديدة لنظام الضرائب[6].

على الرغم مما تمتع به ابن كلس من مكانة، وما حصل عليه من صلاحيات منحها له الخلفاء الفاطميون، وكانت كفيلة بأن تمكنه من الاستبداد بالسلطة دونهم، إلا أنه بقي وفيًا لخلفائه بشكل كبير، ولم يعمل على الاستبداد بالأمور من دونهم، فارتبط معهم بعلاقات يسودها الود والاحترام طوال حقبة وزارته حتى توفي في سنة 380 هـ /990 م عن عمر ناهز اثنين وستينَ سنة [7]، بعد أن

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج4/ص160؛ فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص67.

(2) ابن الاثير، الكامل: ج 7 / ص146.

(3) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص62.

(4) المرجع نفسه، ص65 -66.

(5) ستانلي لين بول، تاريخ مصر في العصور الوسطى، ط4، ترجمة: أحمد سالم، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة: 2016م)، ص101.

(6) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص74.

(7) محمود، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الاول: ج1/ ص50.

خدم العزيز اثنتي عشرة سنة، مما سبب خسارة كبيرة للدولة الفاطمية، ومما يدل على ذلك حزن الخليفة العزيز عليه، فضلا عن رجال الدولة والعامة لما ربطته بهم علاقة حميمة قل نظيرها، فلم يجد الفاطميون قديرًا وخبيرًا نظيرًا له في الإدارة والسياسية والاقتصاد للبلاد، إذ ارتبط الإزدهار الاقتصادي في مصر في ظل الحكم الفاطمي باسمه[1].

إن المكانة الكبيرة التي حققها الوزير يعقوب بن كلس خلال خدمته في منصب الوزارة في العصر الفاطمي، أثارت الحسد في قلوب منافسيه، فوشوا عليه عند الخليفة الفاطمي، وفق ما أشارت بعض المصادر إلى ((أنه كان له وللخليفة طيور حسنة، يعنى كل منهما بتربيتها وكان يجري بينهما سباق، فحدث أن سبق طائر ابن كلس طائر الخليفة، مما أغضب الخليفة وأتاح الفرصة لبعض خصوم ابن كلس للطعن لدى الخليفة، فانشد قائلاً:

قـــل لأمـير المـؤمنـين الـذي ... له العلا والنسب الثاقب

طـــــائرك الســـــابق لكنـــه ... وفي خـدمـتـه الحاجب))[2]

لم يكتفِ منافسو ابن كلس على ما قاموا به من مكائد، بل أخذ بالذهاب إلى أبعد من ذلك، إذ قاموا بالطعن بإسلامه، ويتهمونه بأنه شخص وصولي لا يهمه إلا تحقيق مصالحة الشخصية والمادية مستدلين على ذلك بتركه لديانته اليهودية واعتناق الإسلام من أجل الوصول إلى منصب الوزارة[3].

في الحقيقة إن ابن كلس لم يكن كما قالوا عنه، بل إنه كان مسلمًا مؤمنًا بعقيدته التي آمن بها، ومما يدل على ذلك أعمال الخير التي قام بها، كالتصدق على الفقراء والمساكين والإخلاص لأولياء نعمته، وانكبابه على دارسة العلوم الدينية حتى نهاية حياته، وتعد الروايات التي أوردتها المصادر التاريخية خير ما يدلل على صحة ما ذهبنا إليه، إذ دحضت الافتراءات التي أطلقت ضده، إذ اشارت إلى اهتمامه بالشهر الفضيل، حيث كان يقيم المآدب وأطعمة الافطار للمتعففين والفقراء والفقهاء وطلاب العلم ووجهاء القوم[4].

---

(1) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص77.

(2) عامر، تاريخ أهل الذمة: ج2/ص236.

(3) ابن خلكان، وفيات الاعيان: ج5/ص398؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محب الدين ابي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت: 1997م):ج12/ص 478.

(4) ابن خلكان، وفيات الاعيان: ج5/ص395.

رغم إسلام ابن كلس إلا أن علاقته بأبناء جلدته من اليهود لم يتعكر صفوها، فبعد اتساع مناطق نفوذ الخلافة الفاطمية التي شملت كل من مصر وبلاد الشام، وازدياد مكانة ابن كلس أخذت أعداد رجال الإدارة من اليهود بالازدياد بحكم علاقتهم بابن كلس، فتعاونوا معه على الرغم من تخليه عن يهوديته، وعمل معظمهم في الخدمة في بلاد الشام، إذ بقي ابن كلس على اتصال بهم وتربطه بهم علاقات ود واحترام، ترجع بدايتها إلى حقبة رحيله إلى المغرب، واتصاله بيهودها الموجودين في بلاط المعز، وبقيت علاقته بهم بعد عودته إلى مصر، ونفس الحال كان مع يهود مصر، وقد ربطته علاقة صداقة بيهودي اسمه موسى كان يعمل في بلاط المعز، وعندما علم بإهانة من قبل أسقف مسيحي، وقف ابن كلس إلى جانب صديقه اليهودي، ووجه اللوم للمسيحي، كما إن استخدامه لعدد كبير منهم في إدارة بلاد الشام تعد خير دليل على حسن علاقته باليهود[1].

2: دور يعقوب بن كلس على صعيد الادارة والاقتصاد

لقد عاشت مصر في العصر الفاطمي، لاسيما خلال عهد الوزير ابن كلس عصرها الذهبي، ويرجع ذلك للدور الذي قام هذا الوزير على مختلف الأصعدة[2]، فعلى الصعيد الإداري حقق مكانة كبيرة[3]، فغدا الرجل الثاني في الدولة بعد الخليفة، وأصبحت جميع الكتب والمراسلات الرسمية تصدر باسمه[4]، كما كان يستشار في مسائل السياسة الخارجية والاستراتيجية، وتعد هذه الاستشارات المتعلقة بالقضايا الخارجية ذات أهمية كبيرة في علو شأنه واحتلاله فيما بعد للمكانة السامية في الدولة الفاطمية بتسلمه للوزارة[5].

اهتم كلس بالدواوين وتنظيم أمورها، ومن أجل ضبط عملها وضعها تحت إشرافه المباشر من خلال نقل مقراتها إلى قصره، كما قام بتعين العديد من الكتاب لكل ديوان كديوان الجيش والخراج والإنشاء[6]. أما ديوان الأموال فقد زوده بعدد من الجهابذة، ونتيجة للإعمال الجليلة التي قام بها أصبح من أبرز وزراء الخلافة الفاطمية من ذوي الأصول اليهودية[7].

---

(1) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص78.

(2) المناوي، الوزارة والوزراء، ص241.

(3) ابن الجوزي، المنتظم: ج8/ص485.

(4) المقريزي، الواعظ والاعتبار: ج2/ص5.

(5) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص74.

(6) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص74.

(7) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص74.

إن قرب ابن كلس من قصر الخلافة وظهور مهاراته الإدارية، جعلت الخليفة المعز يعجب بحسن تدبيره وخبرته، فأوكل إليه مهمة الإشراف على الخراج وتنظيم أموره وجبايته وجميع أنواع الضرائب، كما أوكل إليه عمل الشرطتين السفلى والعليا[1]، واستمر في خدمته حتى تولى الخلافة العزيز بن المعز، ونتيجة لقوة تدبيره ودهائه المتميز تمكن من الإيقاع بين العزيز وولاته وقادته[2]، فأكثر من استخدام أهل المشرق، مما زاد من حنق القادة الفاطميين وعلى رأسهم جوهر الصقلي[3]، فكادوا له المكائد التي كانت سببًا في سجنه في سنة 373هـ/983م لعدة أشهر مما شكل فراغًا أمنيًا[4]، فاضطر الخليفة إلى إطلاق سراحه نظرًا لحاجته لخدمته وخبرته، وأعاده إلى منصب الوزارة، ومنحه صلاحيات واسعة وأموال طائلة وعدد كبير من الغلمان للعمل في خدمته[5]، كما أعاد إليه كل ما تمت مصادرته من أموال وأملاك، وأمر بإعادة الدعاء له في الخطبة بعد الخليفة[6]، وكان من ضمن ما قام به من أعمال، وما طرحه على الخليفة العزيز من مقترحات، إقناع الخليفة بأن يستخدم عناصر متنوعة الجنس في جيشه من أجل خلق نوع من التوازن بين العسكر، وتكون الطاعة التامة له[7]. في الحقيقة أثبت هذا المقترح نجاحًا كبيرًا، مما أبهر الخليفة العزيز وزاد من ثقته به.

أما على الصعيد الاقتصادي فقد انتعشت مصر كثيرًا، نتيجة للسياسة الاقتصادية الناجحة التي انتهجها والإصلاحات التي قام بها، والخبرة التي تمتع بها في الأمور المالية والإدارية[8]، حيث تميز عن غيره من الوزراء بشخصية قوية جمع خلالها ما بين السياسة والإدارة والاقتصاد، فكان مثالاً للوزير

---

(1) علي ابراهيم حسن، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة: د.ت.)، ص 218؛ قاسم، اليهود، ص140.

(2) صالح، التشيع المصري الفاطمي: ج3 ص 17.

(3) النويري، نهاية الارب في فنون الأدب: ج 28/ ص 103.

(4) محمد بن عبد الملك بن ابراهيم بن احمد الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: البرت يوسف، المطبعة الكاثوليكية (بيروت: 1958م):ج1 / ص228.

(5) ابن الصيرفي، الاشارة إلى من نال الوزارة، ص 21-21.

(6) المقريزي، اتعاظ الحنفا: ج1/ص299.

(7) الملك المؤيد عماد الدين ابو الفدا ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد ديوب، دار الكتب العلمية (بيروت: 1997م): ج1/ ص 449.

(8) المقريزي، اتعاظ الحنفا: ج2/ ص40.

الناجح ،إذ طبق كل خبراته على أرض الواقع، فعد بذلك المؤسس الحقيقي لنظام الوزارة في العصر الفاطمي، فضلا عن تأسيسه لنظام إداري دقيق لمدينة القاهرة ابتداءً من عهد العزيز بالله[1]، لقد كانت جميع هذه الإجراءات كفيلة بزياد واردات خزينة الخلافة الفاطمية، وأسهمت في استقرار الأوضاع الداخلية في مصر[2]، فمن الإجراءات التي اتخذها ابن كلس في هذا الجانب قيامه باستحداث مؤسسة الخزائن، فقد أقام في قصره عدة خزانات متخصصة لكل منها وظيفتها، وعليها ناظرٌ خاص، كان قسم منها خاص بالأموال والأخرى للدفاتر، فضلاً عن تخصص خزنة مستقلة للأشربة[3]، فكانت هذه المؤسسة السمة الخاصة بالإدارة الداخلية للفاطميين[4]، ونظرًا للعقلية الاقتصادية التي تمتع بها الوزير ابن كلس بحكم عمله في التجارة منذ الصغر إلى جانب والده، فقد أدرك أهمية الصناعات ودورها في تقوية اقتصاد أي بلد، فاتخذ الإجراءات الكفيلة بتطوير الصناعات المصرية والترويج لها، لاسيما صناعة الغزل والنسيج التي اشتهرت بها المدن المصرية كمدينة تنيس ودمياط وغيرهما، وضبط الوارداتها والصادرات المتعلقة بها، من أجل إخضاعها لنظام ضريبي دقيق در الكثير من الأموال إلى خزينة الدولة آنذاك[5]، وبموجب هذه الصلاحيات التي حصل عليها من الخليفة الفاطمي، أصبحت بيده الأمور الإدارية للدولة الفاطمية بأكملها والتي اشتملت آنذاك على كل من مصر وبلاد الشام والمغرب والمدينين الشريفتين مكة والمدينة في بعض الأحيان، فقد خضع جميع الموظفين في تلك البلاد مع أعمال الدولة له[6].

3: يعقوب بن كلس وأثره في الحياة العلمية

أما الحياة العلمية في مصر في العصر الفاطمي، فقد ازدهرت كثيرًا نتيجة لاهتمام الخلفاء الفاطميون بها، إذ أصبح قصر الخلافة مقرًا لأشهر أطباء العصر، كما إنهم أغدقوا عليهم في الإنفاق

---

(1) صالح، التشيع المصري الفاطمي:ج2/ص 12، الطيار، مدينة القاهرة، ص 234.

(2) هاينز هالم، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، ترجمة: سيف الدين القصير، منشورات المدى (دمشق: 1999م)، ص 61.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا: ج3/ ص 12.

(4) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص75.

(5) ابو القاسم أبن حوقل النصيبي، صورة الارض، منشورات المكتبة الحيدرية (قم: 1428هـ)، ص152-153؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج3/ص140.

(6) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص74.

والهدايا[1]، وسار وزرائهم على نفس المنهاج، وكان يعقوب بن كلس أبرز من أهتم بالعلم والعلماء، لذلك لازمه كثير منهم، ولاسيما الفلاسفة والأطباء فمن الفلاسفة اليهود في هذا العهد أبو الخير سلامة بن رحمون، وهو من يهود مصر اهتم كثيرًا بجمع كتب الفلسفة الطبيعية والإلهية[2]، والطبيب أبو عبد الله محمد بن سعيد التميمي، صاحب الكتاب الموسوم ((مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء ،والتحرُّز من ضرر الأوباء))، هذا فضلاً عن كثير من الأطباء الذين كانوا يحضرون مجلسه يوميًا للنظر بحالة الغلمان ومن هو بحاجة للرعاية[3].

لقد شجع ابن كلس حركة تأليف الكتب ونسخها بجميع اختصاصاتها، وعين كتاب ونساخ خاصين لهذا الغرض، ولم يكتف بذلك فحسب بل أمر بتدقيقها بعد النسخ من قبل اشخاص متخصصين من أجل ضبطها، فكان قصره أشبه ما يكون بمؤسسة تعليمية وإدارية جامعة لجميع العلوم وإداريي الدولة، لاسيما ما يقع ضمن صلاحياته[4]، وإذا ما حاول منافسوه الطعن في ذلك والادعاء بأنه ما كان يفعل ذلك إلا من الشهرة وحب الجاه، فإننا نقول لهم لم يكن الاهتمام بقصره فقط، وإنما تعداه إلى الاهتمام بالمؤسسات التعليمية والدينية في ذات الوقت، مما يدلل على حبه للعلم والمعرفة والاهتمام بها، كما فعل في الجامع الأزهر، إذ أراد أن يجعل من التعلم عملية تعليمية علمية متخصصة ،فحوله مقرًا لدارسة العلوم النقلية والعقلية في عهد العزيز الفاطمي[5].

أما سيرته العلمية، فقد ظهر اهتمامه بالجانب العلمي، وذاع صيتها بعد أن اعتنق الإسلام على المذهب الإسماعيلي، ودخل في خدمة الخلافة الفاطمية، إذ انكب على دراسة علوم القرآن والعلوم الدينية الاخرى، واهتم كثيرا بالفقهاء وعلماء الدين وملازمتهم وحضور مجالسهم التي كثيرًا ما عقدها في قصره، من أجل تحقيق هدفين الأول: بذل المزيد من الرعايا

والاهتمام بالجانب العلمي، والثاني من أجل نشر الدعوة الإسماعيلية[6]، كما انه لم يقتصر على تعليم ودراسة علم دون الآخر، ومما تميز به الاهتمام بالأدب وفنونه، فكان ذواقًا للشعر

---

(1) عامر، تاريخ أهل الذمة: ج2/ص235.

(2) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص200.

(3) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء: ج3/ص143-145؛ عامر، تاريخ أهل الذمة: ج2/ص235.

(4) فضل الله، المدرسة في الإسلام، ص 66-67.

(5) العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 282.

(6) المرجع نفسه، ص 282.

بشكل ملحوظ، مشجعًا للشعراء داعمًا لهم من خلال بذل الأموال والهدايا. أما في مجال العلوم الشرعية، فقد اهتم فيها اهتمامًا كبيرًا بعد أن دخل الإسلام ليس دراسةً وتعلمًا فقط، بل أصبح من روادها وبرع فيها، فصنف كتابا قيما اختص بالفقه سماه (الرسالة الوزيرية) نسبة إليه وذلك في سنة 370هـ/980م، دون فيه كل ما سمعه عن طريق الخليفتين الفاطميين المعز لدين الله وولده العزيز بالله ،وقد أطلع عليه العامة والخاصة كالوزراء وأصحاب الدواوين، فضلاً عن أربعين فقيها من فقهاء عصره وأيدوا ما كتبه[1]، وسلم هذا الكتاب من الضياع والإتلاف الذي تعرضت له الكتب في الحقبة الأخيرة من عصر الدولة الفاطمية إثر سقوطها على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي، وعودة مصر إلى نفوذ الخلافة العباسية في سنة 567هـ/1171م[2].

لم يكن مصنف ابن كلس الذي أسماه الرسالة الوزيرية هو الوحيد الذي صنفه، بل كانت له مصنفات أخرى في مجالات متعددة ما عدا الفقه كالقراءات، إذ صنف كتابًا مهمًّا في هذا المجال، فضلاً عن تصنيفه لكتاب آخر في الأديان، وهو عبارة عن اختصار موجز لكتاب الفقه، كما صنف كتاب مهما تناول فيه صفات الرسول ﷺ وآدابه، وتطرق لعلم الأبدان من خلال مصنف له تخصص في هذا الجانب، وبلغ عدد أوراقه ما يقرب الألف ورقة[3].

كان الوزير يعقوب بن كلس حريصًا على تنشيط الحركة العلمية، وتشجيع رجال الدولة والعامة على النقاش والتعلم، فكان يجمعهم كل يوم جمعة للتدارس، ويقرأ مصنفاته عليهم خلال هذه المجالس سواء في قصره أو في الأزهر، وذلك بحضور العلماء من القضاة والفقهاء والقراء وأهل الحديث، فضلاً عن كثير من علماء اللغة من النحاة والأدباء لإلقاء الاشعار والمدائح[4]، واستفادت مكتبة القصر الفاطمي كثيراً من شغف ابن كلس بالعلوم والآداب، وولعه بجمعه الكتب المختلفة، ونقلت جميع كتبه إلى مكتبة القصر الفاطمي بعد وفاته، إذ استفاد منها الفقهاء والعلماء وكتاب الحديث والأدب والطب[5].

---

(1) ابن خلكان، وفيات الاعيان: ج5/ص496؛ ابن الصيرفي، الاشارة إلى من نال الوزارة، ص20-22.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ج 9/ص112؛ صالح، التشيع المصري الفاطمي: ج4 / ص 35.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج3/ ص12؛ عامر، تاريخ أهل الذمة: ج2/ص235.

(4) لين بول، تاريخ مصر، ص249.

(5) عامر، تاريخ أهل الذمة: ج2/ص236.

في الحقيقة لم يقف الأمر عند إسلام ابن كلس فقط بل كان لتشجيعه للحركة العلمية ودعم العلماء اليهود إلى إسلام عدد منهم، وأصبح لهم دورٌ كبيرٌ في خدمة الجانب العلمي لاسيما العلوم الدينية، ومن أشهر هؤلاء كان أبو علي الحسن بن أبي سعد إبراهيم بن سهل التستري، الذي ترك اليهودية واسلم في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وعنى بدراسة القرآن وحفظه[1].

المبحث السادس: يهود مصر في العصر الأيوبي والمملوكي

أولاً: يهود مصر في العصر الأيوبي

لقد أسلفنا الحديث عن دور اليهود في بلاد الشام خلال العصر الأيوبي، ووفقًا لخطة الكتاب التي قسمناها حسب البلدان، فإننا سنكمل الحديث في هذا المبحث عن دور اليهود في مصر خلال العصر الأيوبي، وما قاموا به من دور كبير نتيجة سياسة التسامح التي انتهجها الأيوبيون تجاههم، فعندما سقطت الخلافة الفاطمية على يد الناصر صلاح الدين في سنة 567هـ/1171م، أصدر الأخير مرسومًا سلطانيًا يقضي بإنهاء خدمات اليهود في وظائف الدولة التي مارسوها خلال العصر الفاطمي[2].

على ما يبدو أن الناصر صلاح الدين هدف من وراء مثل هكذا إجراء استئصال شأفتهم والتخلص من سيطرتهم على دواوين الدولة ووظائفها كي لا يشكلوا خطرًا على مشروعه من جهة، إذ إنه كان يخطط لاستكمال مشروعه في توحيد الجبهة الإسلامية لمواجهة الخطر الصليبي وتحرير القدس من ربق الاحتلال الصليبي، وإبعاد جميع الموالين للدولة الفاطمية، خشية من التآمر عليه من جهة أخرى، لاسيما اليهود الذين فقدوا امتيازات كثيرة كانوا قد حصلوا عليها أبان العصر الفاطمي وفي مختلف المجالات.

لقد أثبتت الأحداث التاريخية مدى الرؤية المستقبلية التي كان يمتلكها صلاح الدين الأيوبي، إذ قام أحد اليهود بمراسلة الفرنجة لغرض التحالف معهم[3]، وعلى الرغم من ذلك فإن سياسة صلاح الدين اتسمت بالحكمة في التعامل معهم، ومن الطبيعي أن يتخذ مثل هكذا إجراءات، فقد عرف عنه أنه الحاكم المتسامح حتى مع أعدائه، لاسيما في الأوقات التي تدعوا الحاجة إلى

(1) المرجع نفسه: ج2/ص237.

(2) المقريزي، السلوك: ج1/ق1/ص47.

(3) ابن الاثير، الكامل:ج11/ص345.

انتهاج مثل هكذا سياسة، كما أنه كان عطوفًا متسامحًا مع رعيته مهما اختلفت أعراقهم وأديانهم، والدليل على ذلك تسامحه مع اليهود لاحقًا، وسماحه لهم بالعمل في دواوين دولته، والكتابة وجباية الضرائب[1]، في الحقيقة إن ما دفع الناصر صلاح الدين إلى إتباع هذه السياسة، ولاء اليهود الذين اضطروا عليه بسبب قلة عددهم، فضلاً عما تمتعوا بـه من خبرة طويلة ومهارة عالية في مجال العمل في الدواوين، وعدم مقدرة كثير من موظفي الدولة من المسلمين على القيام بها، بسبب خبرتهم القليلة في الأمور الإدارية والمالية، ويعد ابن كوجك من اليهود الذين تولوا رئاسة ديوان التحقيق في سنة 624هـ/1227م خلال عهد الملك الكامل شقيق صلاح الدين[2].

لقد عمل اليهود في مصر خلال العصر الأيوبي في مجال الطب وبرعوا فيه، ووصل الكثير منهم إلى مواقع حساسة في الدولة، والعمل كأطباء خاصين للأسرة الأيوبية، التي اهتمت بهم كثيرًا من خلال توفير كافة احتياجاتهم أثناء عملهم في البيمارستانات، فضلاً عن إكرامهم وتقديم الهدايا لهم، وتقريبهم منها، وتخصيص الرواتب لهم، وتسامح معهم في مسألة الزي وركوب الخيول[3]، ومن أبرز أطبائهم في مصر خلال هذا العصر الطبيب ابن جميع الإسرائيلي، وأبو البيان بن المدور، والرئيس هبة الله والموفق بن شوعة وأبو المعالي بن تمام وأبو البركات ابن شعيا، والأسعد المحلى، ويوسف بن أبي سعيد بن خلف السامري[4]، إلا أن أبرزهم كان إبراهيم بن موسى بن ميمون، الذي تولى منصب رئيس الطائفة اليهودية في مصر في سنة 602هـ/1205م، وهو في عمر التاسعة عشر من العمر، وبقي فيه حتى وفاته في سنة 635هـ/1237م، وقام خلال الحقبة التي قضاها في منصب رئاسة اليهود بالعديد من النشاطات الأخرى الشرعية والدينية، فضلاً عن الشؤون العامة لليهود، بما في ذلك رعاية شؤون المرضى والأيتام والغرباء وغيرهم، ممن يحتاجون إلى المساعدة[5].

لم يقتصر الأمر على الأطباء الذين بقوا على ديانتهم، بل برز العديد من الأطباء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، مثل الحكيم السموآل بن يهوذا المغربي، الذي قدم من الأندلس إلى المشرق، وصنف

---

(1) *(shtor.Saladin and Jews. HUCA. No XXVII. No. p.(Jerussalem:1956).p.306.*

(2) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص 57.

(3) *Ashtor.Saladin and Jews. p.306.*

(4) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء: ج113/2، 188.

(5) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص58.

العديد من الكتب في علم الطب، كما صنف كتابًا في إظهار عيوب اليهود[1]، كما لا يفوتنا ذكر موسى بن ميمون الاسرائيلي، الذي يعد من أشهر أطباء اليهود وقد فصلنا الحديث عنه في المبحث الخاص بالحديث عن دور اليهود في الحياة العلمية في بلاد الشام خلال العصر الأيوبي.

أما على صعيد الحياة الاقتصادية في مصر في العصر الأيوبي، فإن اليهود أدوا فيها دورًا كبيرًا، فعمل عدد كبير منهم في مختلف الحرف والصناعات، التي تعد امتدادًا لما كانوا يقومون به خلال العصر الفاطمي، رغم بعض التغييرات التي طرأت على هذه الحرف والصناعات، فمن الصناعات التي برعوا فيها صناعة الأصباغ والمعادن والزجاج والحلي فضلاً عن صناعة الخمور والسكر والعسل[2]، كما عمل اليهود في مجال التجارة، فقد برز دورهم بشكل واضح على صعيد التجارة الداخلية بين المدن المصرية والخارجية بين الشرق والغرب عبر البحر المتوسط، ويرجع ذلك إلى التسامح الإسلامي الذي نعموا به في زمن الدولة الأيوبية، مما ساعدهم في جني ثروات كبيرة لا حدود لها، كما أنهم كانوا يعملون في استثمار أموال ابناء جلدتهم الآخرين[3]، ومن العوامل التي أسهمت في نجاحهم في هذا الجانب مرور الطرق التجارية عبر مصر، فضلاً عن معرفتهم بمختلف اللغات العربية والفارسية والإسبانية، نتيجة سفرهم الدائم بين المشرق والمغرب برًا وبحرًا، فيجلبون من بلاد المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف، كما إنهم كانوا يبحرون للتجارة عبر الفرما إلى البحر الاحمر حيث جدة، ومنها يتوجهون إلى بلاد السند والهند والصين، ويجلبون من تلك البلاد المسك والكافور الصيني، ثم يرجعون إلى البحر الأحمر ومنه إلى الفرما ثم إلى القسطنطينية[4].

درت التجارة مبالغ طائلة على اليهود، فأصبحوا من أصحاب الثراء الفاحش، وأشارت بعض الروايات إلى أن بعض مستشاري صلاح الدين، قد أشاروا عليه بأن يتحين الفرصة لمصادرة أموال أحد الأثرياء اليهود ممن يمتلكون ثروة طائلة، وذلك عندما كان الناصر صلاح الدين يمر بضائقة مالية، ولا يفوتنا أن نذكر بأن العمل بالصيرفة والتعامل بالربا كان أحد أهم مصادر الثراء الفاحش ليهود

---

(1) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء: ج117/2؛ عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية، د.م. (القاهرة: 1975م)، ص386.

(2) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص60.

(3) القوصي، صلاح الدين واليهود، ص 42-34.

(4) ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله،ابن خرداذبة، المسالك والممالك، د.م.(لندن:1889م)، ص153-154.

مصر[1]، ومثل ما كان عليه وضع اليهود في كل زمان ومكان من الولايات الإسلامية، فإنهم كانوا ملتزمين بدفع الجزية السنوية للدولة الأيوبية، كما سمح الأيوبيون لليهود بحرية ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية، وتركوا أمر حل القضايا الدينية والدنيوية العالقة بين اليهود لزعمائهم الدينيين، مع احتفاظهم بحق اللجوء إلى السلطات القضائية الإسلامية، إذا كان ذلك بمحض إرادتهم[2].

إن ما يدل على عدل صلاح الدين، ووقوفه إلى جانب رعيته من اليهود، منعه لتجاوزات أحد أثرياء اليهود المتنفذين، عندما اغتصبت رئاسة اليهود عن طريق دفع المبالغ المالية كرشوة لوزير مصر، فأصدر أمرًا بعزله من منصبه وطرده مع عائلته من الفسطاط وعين رئيسًا جديدًا بدلاً عنه[3]، لقد كانت لسياسة التسامح التي انتهجها الأيوبيين مع اليهود دورها في أن جعلت عصرهم عصر أمان واطمئنان بالنسبة لليهود، فعدوه عصرًا ذهبيًا لما تمتعوا به من حرية دينية وشخصية، نتيجة التزاماتهم بما عليهم من فروض تجاه الدولة.

ثانياً: يهود مصر في العصر الملوكي

1ـ أوضاع اليهود في ظل الحكم المملوكي

ما حياة اليهود التي عاشوها في العصر المملوكي بمختلف جوانبها إلا استكمالٌ لحياتهم التي عاشوها في العصر الأيوبي، وما سياسة السلاطين المماليك إلا تطبيقٌ لسياسة التسامح الإسلامي منذ عهد الرسول ﷺ وانتهجها بعده الخلفاء والحكام المسلمين ممن تولوا السلطة في الدولة العربية الإسلامية، فقد اتسمت العلاقة بين اليهود وسلاطين المماليك بكونها حسنة، إذ إنها كانت قائمة على مدى التزام اليهود بما فرض عليهم بموجب العهدة العمرية من دفع جزية وعدم الاعتداء على المسلمين سواء فيما يتعلق بدينهم أو حياتهم الخاصة، مقابل حمايتهم والدفاع عنهم[4]، وعلى الرغم من سياسة التسامح والالتزام بالعدالة تجاه اليهود، إلا أن بعض الأوقات لم تخل من ممارسة الضغوط تجاههم من أجل إرضاء رجال الدين المسلمين من ذوي النفوذ الواسع[5]، ومراعاة

---

(1) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص61؛ ظاظا، اليهود ليسوا تجار بالنشأة، د.م. (القاهرة: 1975م)، ص 123.

(2) القوصي، صلاح واليهود، ص 43؛ Ashtor، Saladin and the Jews، p.307-308.

(3) أحمد عبد الرزاق، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، د.م. (القاهرة: 1979م)؛ تاريخ وآثار مصر الإسلامية، د.م. (القاهرة: 1993م)، ص199.

(4) قاسم، اليهود، ص94.

(5) عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، د. م. (القاهرة: 1962م)، ص 42.

لمشاعر العامة، فضلاً عن رغبتهم في الظهور بمظهر حماة المسلمين، والقائمين على حراسة دينهم، من أجل تدعيم مركزهم، وإثبات شرعية حكمهم في نظر رعاياهم من المسلمين، لاسيما بعدما تركته الحروب الصليبية من إثارة روح العداء بين المسلمين وغير المسلمين في مناطق نفوذ الدولة المملوكية، ومع ذلك لم يتعرض اليهود لأي نوع من أنواع الاضطهاد، إلا إذا تمردوا وكانوا جزء من الفتن والاضطرابات التي تثار ضد الدولة، وما عدا ذلك فإن اليهود كانوا يعيشون كجزء من المجتمع ويتمتعون بما يتمتع به المسلمين[1]، ومما يدل على ذلك المراسيم السلطانية التي كان يصدرها السلاطين المماليك بحق أهل الذمة من اليهود والنصارى، فيدافعون بموجبها عن حقوقهم، ففي سنة 755هـ/1354م نودي في مصر بعدم التعرض لليهود[2].

يعد السماح لليهود باتخاذ الألقاب في العصر المملوكي أحد مظاهر التسامح الإسلامي تجاههم، فمن الألقاب التي كانت تتداول آنذاك (الشيخ) و(الشيخ سيد الاهل) و(الشيخ الأجل) و (الشيخ الجليل) و (الريس) و(الحضرة السامية) و(الرئيس) و (الكافي) و (المقرب) و (الحكيم) و (تاج الحكمة) و (ثقة الملوك والسلاطين)، وقد أكد القلقشندي أن لقب (الحضرة) كان أعلى ألقابهم وأجلها ثم يأتي بعده (حضرة الشيخ) من حيث الترتيب، ثم (الشيخ)[3].

تولى زعامة اليهود أشخاص من ذوي المكانة الدينية والاجتماعية، وكانوا يمثلون الواسطة بين اليهود والسلطات المملوكية، ويعد زعيمهم مستخدمًا رسميًا، إذ تتم توليته بمرسوم سلطاني يصدر عن ديوان الإنشاء، كما يتم توجيه العديد من الوصاية، وذلك بعد أن يتم اختياره من قبل أبناء الطائفة اليهودية، ويقوم هذا الزعيم بتنظيم العلاقات بين أبناء طائفته ضمن إطار الدولة المملوكية من جهة، فضلاً عن علاقات الطائفة اليهودية بالسلطة المملوكية من جهة اخرى[4].

أما في حالة خروج زعيم الطائفة اليهود عن قواعد الملة وعادات الزعماء الدينيين، فيقوم أبناء الطائفة بتقديم طلب للسلطان المملوكي يلتمسون فيه عزله، وتعيين شخص كفء جدير بتمثيلهم

---

(1) المقريزي، السلوك:ج3/ق1/ص75؛ عاشور، المرجع نفسه، ص 42.

(2) المقريزي، المصدر نفسه:ج2/ق3/ص925.

(3) صبح الاعشى: ج9/ص265؛ سلوى علي ميلاد، وثائق أهل الذمة في العصر العثماني وأهميتها التاريخية، د.م.(القاهرة: 1983م)، ص 35.

(4) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، المطبعة الاميرية (د.م.: 1896م)، ص 36؛ المفضل بن أبي الفضائل، النهج السديد والعقد الفريد في تاريخ ما بعد ابن العميد، تحقيق: بلوشيت، د.م (باريس: 1932م): ج1/ص452.

والقيام بأمورهم، كما حدث في سنة 846هـ/1442م خلال عهد السلطان الظاهر جقمق (842-857هـ / 1438-1453م)[1].

أما ما يتعلق بتوليهم الوظائف الإدارية، فإن السلطات المملوكية أصدرت عدة مراسيم منعت بموجبها استخدام اليهود لأهل الذمة في هذه الوظائف، كما حدث في عهد السلطان المنصور قلاوون(678-689هـ/1279-1290م) عندما أصدر مرسومًا في سنة 689هـ/1290م يقضي بعدم تولية اليهود في أي وظيفة حكومية، فضلاً عن عزل كل من يتولى وظيفة منهم، إلا أنه استثنى من يدخل الإسلام منهم بإرادته، ومـــا أن علم العامة بخبر المرسوم، حتى قاموا

بملاحقتهم، ونهبوا دورهم وأخرجوا نسائهم مسبيات، وقاموا بقتل جماعة منهم، ولما وصلت الأخبار إلى السلطان، أمر الوالي بالمناداة «من نهب بيت نصراني أو يهودي يشنق، فتم الإمساك بجماعة من الحرافيش، وأشهروهم... فلما نادى السلطان كفوا عن ذلك...»[2].

استمرت أحول اليهود على هذا المنوال حتى تولي السلطان الأشرف خليل(689-693هـ/1290-1293م)، الذي انتهج معهم سياسة التسامح في السنوات الأولى من حكمه، إلا أن سياسته لم تلبث أن تغيرت تجاههم، لاسيما بعد أن أساء بعض الكتاب من اليهود والنصارى إلى مرؤسيهم، مما أدى إلى إثارة مشاعر العامة تجاه أهل الذمة، فأمر السلطان الأشرف بعدم استخدامهم في الوظائف الإدارية، كما أمر جميع أمرائه بأن يعرضوا الإسلام على من يعمل عندهم، وأن يعزلوا من لم يدخل فيه[3]، وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون (693-741هـ/1293-1340م)، تغيرت أحوال اليهود نحو الأحسن، وذلك نتيجة لسياسة التسامح التي انتهجها هذا السلطان الذي حباهم بعطفه، فنعمت حياتهم بالهدوء والراحة، باستثناء بعض الحوادث التي لم تلبث أن زالت بزوال أسبابها، واستمرت أوضاعهم على هذا الحال حتى سنة 700هـ/1300م، إذ إنهم لم يعودوا يرتدون الزي الخاص الذي يميزهم عن المسلمين، مما أغضب السلطان الناصر، لاسيما بعد أن اتضح له ثرائهم الفاحش، فأصدر مرسومًا يقضي بارتدائهم العمائم الصفراء، ويمنعهم فيه من ركوب الخيل والبغال، فالتزموا بذلك المرسوم[4] واستمرّ صدور المراسيم السلطانية تجاه اليهود واتخاذ العديد من الإجراءات بحقهم طيلة العهد المملوكي، والتي تضمنت التأكيد في أكثر من مرسوم على إلزامهم بالزي الخاص بهم،

---

(1) السخاوي، المصدر نفسه، ص39-40؛ الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص83.

(2) المقريزي، السلوك: ج1/ق3/ص753.

(3) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص87.

(4) المرجع نفسه، ص 89.

ومنعهم عن تولي وظائف إدارية في الدولة المملوكية، وخلاصة القول إن هذه المراسيم المتعددة كان الالتزام بها يخف تدريجيًا حتى يُنسى أمرها، ومن ثم يعاد العمل بها مرة أخرى، كما أن هذه المراسيم كانت تصدر في بعض الأحيان لمعالجة الأوضاع السائدة، بسبب سيطرة اليهود وغيرهم من أهل الذمة على بعض الوظائف السلطانية، مما كان يحول دون اشتغال بعض المسلمين فيها، لذلك كان المسلمون يطالبون بعزلهم وإحلالهم محلهم فيها، وقد يأتي هذا الاعتراض في كثير من الأحيان بدفع من رجال الدين، وعلى الرغم من ذلك لم يستطع سـلاطين

المماليك الاستغناء عنهم في هذه الوظائف، لما امتلكوه من خبرة ومهارة في هذه الوظائف، كما التزم السلاطين المماليك في الدفاع عنهم باعتبارهم جزء من الرعية من جهة، ونفوذهم في البلاد السلطاني من جهة أخرى، فضلاً عن تأثير القوى السياسية لصالحهم، مما كان يغضب العامة من المسلمين، فيقوموا بمهاجمة أهل الذمة، كما حدث في سنة 714هـ/1314م، عندما ركب أحد سكان الحسينية فرسًا في يوم الجمعة وشق القاهرة شاهرًا سيفه، فما وجد يهوديًا ولا نصرانيًا إلا ضربه، فقتل عدد منهم وجرح عدد كبيرًا منهم، قبل أن يتم القبض عليه وقتله[1].

لم يكن موقف المماليك مضادًا دائمًا لليهود، بل كانوا في كثير من الأحيان اتخاذ مواقف حازمة لحمايتهم، وخير مثال على ذلك ما حدث في سنة 755هـ/1354م عندما أصدر مرسوم سلطاني، نودي به في القاهرة ومصر ألّا يتعرض أحد لليهود والنصارى بأذى[2].

لقد شارك اليهود في الأحداث الجارية في المجتمع المصري أثناء عصر المماليك مشاركة فعالة، وقد تأثروا بها وخضعوا للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية نفسها التي خضع سائر أبناء المجتمع المصري، كما شاركوا إلى جانبهم في كثير من المناسبات ذات الطابع السياسي، من أجل التعبير عن رأيهم في تلك الأحداث، ويعد إحياء السلطان الظاهر بيبرس للخلافة العباسية في القاهرة، والخروج للقاء الخليفة العباسي أبي القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر حين قدم إلى مصر، خير دليل على ذلك، إذ خرج المسلمين يحملون القرآن واليهود يحملون التوراة والنصارى يحملون الإنجيل[3]، كما أنهم شاركوا في أكثر من مرة إلى جانب المسلمين في الخروج إلى الصحراء من أجل الابتهال، وأداء صلاة الاستسقاء[4].

---

(1) المقريزي، السلوك: ج2/ق1/ص139-140، 173-174.

(2) المصدر نفسه: ج2/ق3/ص924-925.

(3) ابن ابي الفضائل، النهج السديد والعقد الفريد: ج1/ص423-424.

(4) السخاوي، التبر المسبوك، ص 311.

كما شاركوا في احتفالات تنصيب بعض السلاطين المماليك، وفضلاً عن المشاركة في الاحتفالات والمناسبات المتعدد، فإنهم شاركوا في كثير من الأعمال القائمة على خدمة المجتمع بشكل عام، كصيانة الأنهر، وحفر الترع والخلجان وبناء الجسور وما إلى ذلك، وكان مشاركاتهم هذه بمحض إرادتهم وليست أمرًا إجباريًا، أو تسخيرًا كما كان يتم مع جميع المصريين أحيانًا، كما في سنة 818هـ/1415م أثناء عهد السلطان المؤيد شيخ (815-824هـ/1412-1421م)[1].

2ـ دور اليهود على الصعيد العلمي والإداري

لقد كانت مشاركة اليهود في مصر خلال العصر المملوكي واضحة بشكل جلي، وعلى المستويات كافة الإدارية منها والعلمية والاقتصادية، وعلى الرغم من كونهم أقلية مقارنة بباقي المجتمع المصري، إلا أنهم لم يكونوا منعزلين، فكانوا جزءًا لا يتجزأ منه خلال هذ العصر فأدوا دورًا كبيرًا على صعيد العلمي والإداري والاقتصادي، فعلى الصعيد العلمي فإننا سنكتفي بالحديث عن مجال الطب الذي برعوا فيه، وتميزوا عن غيرهم بشكل ملحوظ، وذلك بفضل تشجيع السلاطين المماليك لهم، إذ إنهم استعانوا بالأطباء اليهود، فتمتعوا بمكانة رفيعة في البلاط المملوكي.

أكدت المصادر المملوكية على أن أعداد الأطباء اليهود في مصر كان كبيرًا، مقارنة بأعداد أبناء الجالية اليهودية داخل المجتمع المصري، وأشارت إلى أن اليهود عدُّوا الطب مصدرًا للتكسب خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[2]، فقد ارتبطت مهنة الطب باليهود إلى درجة كبيرة، ومارسوا من خلالها تأثيرًا ملموسًا على رجال البلاط، فأسهم في ارتفاع مكانتهم بين أهل طائفتهم وتوليهم الأشراف على شؤونهم الخاصة وإدارتها، فالكثير منهم كانوا زعماء دينين بالإضافة إلى كونهم أطباء، مثل الشيخ المهذب أبو الحسن بن الموفق بن النجم بن المهذب أبي الحسن بن صموئيل، الذي تولى رئاسة اليهود في سنة 684هـ/1285م، إذ قلد هذا المنصب بمرسوم سلطاني، وعبد اللطيف بن إبراهيم بن شمس الذي تولى رئاسة اليهود إلى جانب عمله في الطب[3].

لم تقتصر ممارسة الطب على اليهود ممن بقوا على ديانتهم، بل كان هناك أطباء مسلمين من أصول يهودية، مثل علم الدين سليمان الذي تولى رئاسة الأطباء في عهد السلطان فرج بن الظاهر

---

(1) المقريزي، السلوك: ج4/ق1/ص 317-318؛ الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص101.

(2) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، القسم المسمى النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب المصرية (القاهرة: 1970م)، ص 28؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار:ج1/ص367.

(3) المقريزي، السلوك:ج1/ق3/ص728.

برقوق (808-815هـ/1405-1412م)، وذلك لما امتلكه من مهارة وخبرة كبيرة في مجال الطب، فقد حاز على شهرة واسعة نتيجة نجاحه في معالجة الأمراض، كما وصل بعضهم إلى البلاط المملوكي، وأصبح طبيبًا خاصًا للسلاطين، مثل الريس زين الدين خضر الإسرائيلي الذي اتخذ منه السلطان الأشرف برسباي(825-841هـ/1438-1442م)طبيبًا خاصًا له، والريس محب الدين الطبيب الخاص للسلطان خشقدم(865-872هـ/1461-1467م)، وعلى الرغم من أن المصادر العربية لم تمدنا بمعلومات واضحة عن الطرق التي استخدمها الأطباء اليهود في معالجة مرضاهم، إلا أن الشيء الذي لا يمكن تجاهله هو أنهم قد تخصصوا في مختلف فروع الطب، لاسيما ما يتعلق في طب العيون، الذي كان يطلق عليه تسمية (كحالة) [1].

نشط اليهود في مجال الإدارة في مصر أيضًا، لاسيما بعد أن أصدرت دولة المماليك مرسومًا، يقضي بعزل النصارى البيزنطيين من الدواوين وبقية وظائف الدولة، وإحلال اليهود محلهم، ونتيجة لهذه السياسة لم يعد المماليك على مستوى السلاطين والأمراء قادرين على الاستغناء عنهم، فتمسكوا به رغم اعتراض الفقهاء والقضاة المسلمين على وجودهم في دواوين الدولة، وذلك لما تميزوا به من خبرة ومهارة في المسائل الإدارية[2].

أثار استخدام السلطات المملوكية لليهود في الوظائف الإدارية ودواوين الدولة غضب عامة المسلمين، بسبب السياسة المتعالية التي مارسوها تجاههم، فضلاً عن استخدام نفوذهم في خدمة مصالح أبناء دينهم، فعارض المعاصرون لهم هذه السياسة، لاسيما الطبقة المثقفة التي كانت تدرك مدى خطورة الوضع، فكتبوا الرسائل في التحذير من استخدامهم في وظائف الدولة، أو في خدمة السلاطين والأمراء ككتبة خاصين لهم أو جباة للأموال[3]، كما كان للفقهاء وعلماء الدين المسلمين دور كبير في دعم رأي المعارضين لاستخدام اليهود في الوظائف الإدارية، وذلك لأن آرائهم كانت تجد آذان صاغية من لدن السلاطين والأمراء كونهم زعماء روحيين من جهة، وكون بعضهم من أصحاب الوظائف المهمة في الدولة من جهة أخرى، ومن هذين المنطلقين كان تأثيرهم بالغ القوة على رجال الدولة وسلاطينهم عن طريق الفتاوى التي كانوا يصدرونها في هذا الجانب[4].

(1) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص 106، 110.

(2) قاسم، أهل الذمة في مصر الإسلامية، د. م.(القاهرة: 1992م)، ص 84.

(3) فوزي امين، المجتمع المصري في ادب العصر المملوكي الاول، د. م. (القاهرة: 1982م)، ص211.

(4) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص 117.

على الرغم من معارضة العامة التي كانت تؤيدها فتاوى علماء الدين المسلمين، حول عدم استخدام اليهود في وظائف الدولة، فقد استمروا في إشغالها، بسبب تراجع السلاطين المماليك عن المراسيم التي كانوا يصدرونها بين الحين والآخر، ويصدرون مراسيم تسمح بعودة اليهود إلى وظائفهم، كما في سنة 682هـ/1283م[1].

تعد الوظائف المالية من أهم الوظائف التي تولاها اليهود، فعملوا في الصيرفة، وجباية المكوس المفروضة على التوابل في الإسكندرية،، كما عملوا في دار السكة بمدينة القاهرة ونخلص من الحديث السابق أن اليهود تولوا عدد من الوظائف المهمة في الدولة المملوكية[2].

(1) المقريزي، السلوك: ج4/ق1/ص402-403.

(2) الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص 124-129.

الفصل

7

يهود المغرب والأندلس في العصور الإسلامية

- المبحث الاول : يهود المغرب في العصور الاسلامي
- المبحث الثاني : اليهود في الأندلس في العصور الاسلامي

الفصل

7

يهود المغرب والأندلس في العصور الإسلامية

المبحث الاول: يهود المغرب في العصور الاسلامي

أولاً: الفتح الاسلامي للمغرب وموقف اليهود منه

لقد شكل اليهود جزءًا من المجتمع المغربي عند انطلاق عمليات الفتح الإسلامي في شمال أفريقيا، وقد فصلنا الحديث عن ذلك في المباحث السابقة التي تناولت الجذور التاريخية لليهود في المغرب، وقد اختلف موقفهم من الفاتحين المسلمين عن موقف أبناء جلدتهم في الأندلس، إذ إنه كان معاديًا من جهة، وانطلق عبر محورين من جهة أخرى، تمثل الأول بمقاومتهم إلى جانب السكان البربر، والثاني تمثل بمقاومة الجيل الجديد الذي ظهر في المغرب نتيجة التزاوج بين اليهود والبربر، إذ حمل هذا الجيل الطبائع والعادات اليهودية، وتأثر بموقفهم كثيرًا، بل كانوا أشد حماسًا على المقاومة أكثر من اليهود أنفسهم، ومما يدل على صحة ما ذهبنا إليه، وجود كثير من المفردات البربرية ذات الأصول اليهودية[1].

تعد المواجهة بين الفاتحين المسلمين والبربر المتأثرين بأفكار اليهودية من أتباع الكاهنة خير ما عبر عن موقفهم المعادي، ولم ينته القرن الأول الهجري/السابع الميلادي حتى خضت جميع بلاد المغرب للدولة العربية الإسلامية، وما أن زالت الخلافة الأموية، وحلت محلها الخلافة العباسية في سنة 132هـ/749م، حتى خضع اليهود لحكمها، حالهم في ذلك حال بقية المجتمع المغربي، فاستمروا باتباع ذات السياسة التي انتهجها أسلافهم من الخلفاء السابقين تجاه اليهود باعتبارهم أهل الذمة، إلا أن التطورات السياسية التي حدثت في المغرب خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، أدت إلى ظهور الأدارسة[2] ككيان سياسي مستقل عن الخلافة العباسية، فاتبع الأمير

(1) *Bernard Lewis Semites and Ante- Semites: An Inquiry into Conflict and prejudice. W.W. Norton (No. p.: 1986), p. 96.*

(2) قامت هذه الدولة بعد إلتجاء أحد ابناء البيت الحسني العلوي، وهو إدريس بن عبد الله المحض بن الحسن =

إدريس الأول(172-175هـ/788-791م) سياسة متسامحة تجاه اليهود، فمنحهم نوع من الحرية من خلال ممارسة حياتهم الدينية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة بهم[1]، كما استخدمهم ضمن جيشه أثناء فرضه السيطرة على عدد من المدن المغربية المهمة[2]، فأدت هذه

السياسة إلى تماديهم كما هو طبعهم دائمًا عندما تقوى شوكتهم، ويحصلوا على امتيازات تعزز سطوتهم، فاصطدموا بالسكان المحليين، الذين استاؤوا من الوضع، بسبب محاولات اليهود للعب الدور الرئيس في الحياة السياسية خلال تلك الحقبة، وعلى الرغم من ذلك بقيت الجزية المقررة على عليهم في عهد الأدارسة، كما استوطنوا في المدن التي تم تأسيسها، كمدينة كطنجة وفاس التي أسست في عهد الأمير إدريس الثاني (177-213هـ/793-828)[3].

ثانياً: التسامح الاسلامي تجاه اليهود في المغرب

لقد مثل اليهود أحد مكونات المجتمع المغربي، التي تمتعت بحرية ممارسة طقوسها الدينية وحياتها الاقتصادية والاجتماعية، ويعد هذا التسامح امتداد لسياسة الرسول ﷺ وخلفائه ﵃ ومن الحقوق التي منحوها لهم على صعيد الحرية الدينية حرية ممارسة الطقوس والشعائر الدينية الخاصة بهم، وعدم التعرض لكنائسهم ومعابدهم الدينية بأي أذى، كما تركوا لهم حرية التصرف في الأوقاف الخاصة بها[4]، على أن يسمح لهم بإعادة ترميم معابدهم وتشييدها من جديد، كما لا يسمح لهم في الوقت ذاته ببناء كنائس ومعابد جديدة بعد الفتح الإسلامي، سواء كانت المناطق المفتوحة صلحًا أو عنوة، وفي المقابل كانوا ملزمين بدفع الجزية السنوية المفروضة

= المثنى بن الحسن بن علي بن ابي طالب، عقب موقعة فخ. ينظر: علاء عبد الرزاق، الدور السياسية والفكري ليهود المغرب الاقصى، بحث منشور في مجلة بحوث ودراسات التي يصدرها مركز الدراسات الفلسطينية (جامعة بغداد: د.ت): ع11/ص3.

(1) ابن أبي زرع الفاسي، الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة (الرباط: 1972م)، ص 8.

(2) عبد الرزاق، الدور السياسية والفكري ليهود المغرب: ع11/ص3.

(3) *Norman Stillman. Jews of Arab Land in Modern Times. Jewish Publication Socity (Philadelhia: 2003). p.*

(4) أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، دار الغرب الاسلامي (بيروت: 1981م):ج10/ص56.

عليهم، مقابل إعفائهم من الخدمة في الجيش، وما هي إلا ضريبة مواطنة لقاء تمتعهم بالخدمات التي تقدمها الدولة[1].

أما ما يتعلق بإدارة شؤونهم الخاصة ضمن إطار المجتمع العربي، فإنها تركت لهم ليمارسوها بكل حرية على أن لا تتعارض مع مبادئ الإسلام، فقد اعتمدوا شرائعهم في تطبيق الحكم فيما بينهم، ولا يحاكموا بموجب الشريعة الإسلامية، إلا إذا طلبوا ذلك بإرادتهم[2]، كما استمرت تعاملاتهم مع المسلمين دون أي تعكير في أمور البيع والشراء والتهادي على أن تكون جائزة شرعًا، فقبل المسلمين منهم الهدايا في عيد الفطر وغيرها من المناسبات الدينية الأخرى، فضلاً عن منحهم حق الإقامة والتنقل والعمل والتعلم[3].

على ما يبدو أن ما أشرنا إليه آنفًا، قد جعل اليهود جزءًا لا يتجزأ من المجتمع المغربي مما ساعدهم في الوصول إلى مناصب حساسة في الدولة خلال العصور اللاحقة، وكان لها أثرها على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لقد أسهم التسامح الإسلامي مع اليهود وسائر أهل الذمة من جهة، واستقرار الأوضاع السياسية من جهة أخرى، في ازدهار الحياة الاقتصادية، الذي أدى بالتالي إلى ازدياد أعداد المهاجرين اليهود إلى بلاد المغرب خلال العصور الإسلامية، وما يدل على ذلك أن أعداد الجماعات اليهودية فيها كان كبيرًا، وقد فاق التواجد المسيحي، لاسيما في مدينة فاس منذ بدء تأسيسها من لدن العرب المسلمين في سنة 193هـ/808م[4].

إن ما يؤكد صحة ما ذهبنا اليه حول ازدياد أعداد اليهود، هو المقدار الكبير للجزية المفروضة على اليهود في فاس من قبل الأمير إدريس الثاني، إذ بلغ مقدارها ثلاثين ألف دينار[5]، وكذلك الحال أيام الفاطميين في بلاد المغرب، حيث كانت أموال الجزية المفروضة على اليهود تشكل موردًا مهما للخزانة الفاطمية، وهي ما كانت تسمى بضريبة الجوالي التي يعتقد أنها هي نفسها الجزية[6]،

---

(1) ريه، اليهود في بلاد المغرب الاقصى، ص 21-22.

(2) الونشريسي، المعيار المعرب:ج10/ص56.

(3) المصدر نفسه: ج7/ص73؛ ج11/ص112.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب: ج1/ ص11.

(5) ابن أبي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس، ص85.

(6) ف. ب. هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب (ليبيا: 1980م)، ص 69.

وعلى الرغم من استقرار أوضاع اليهود في المغرب، وما وصلوا إليه من مكانة اقتصادية واجتماعية مرموقة، إلا أن الملاحظ بشكل جلي أنهم لم يقوموا بأي دور إداري مطلقًا حتى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي سوى عمل بعضهم في مجال الإدارة على نطاق ضيق جدًا، وفي وظائف صغيرة ضمن النظام الإداري للدول التي ظهرت في المغرب [1].

لقد كانت الوظائف التي تولاها اليهود خلال الحقبة التي أشرنا لها لا أهمية لها، لذلك أغفلتها المصادر التاريخية، ولم تورد سوى إشارات بسيطة، وهذا ما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن السبب في ذلك يرجع إلى قوة النفوذ العربي واستحواذه في مجال الإدارة، لاسيما أن أنظمة الحكم في المغرب كانت عربية إسلامية خالصة إلى جانب توفر الكادر العربي الكُفء في مجال الإدارة، إذ إنها كانت تتفوق على غيرها علمًا ومعرفة وخبرة، هذا فضلاً عن تماسك الدولة وقوة شكيمتها.

ثالثاً: مناطق الوجود اليهودي في المغرب

لقد كان في المغرب جماعات يهودية مستقرة كما أسلفنا الذكر، وتعيش حالها حال اليهود الآخرين ممن يعيشون في البلدان العربية الأخرى، وقد انتشرت هذه الجماعات في عدد كبير من مدن وبلدان المغرب، التي تمتد من حدود بلدة شالة في المغرب الأقصى حتى مدينة تاهرت[2] الواقعة في المغرب الأوسط (الجزائر حاليًا)، ومن بداية أفريقية (تونس الحالية) حتى نهايتها، وقد تركز وجود الجماعات اليهودية بشكل خاص في المدن الكبرى، مستغلة روح التسامح الإسلامي مع اتباع الديانات السماوية ممن دخلوا في ذمة المسلمين من جهة، وقدرة العرب المسلمين على استيعاب جميع السكان بما فيهم اليهود، والمساواة فيما بينهم من جهة أخرى، لاسيما إذا التزموا بالقوانين التي تحدد ما لهم من حقوق، وما عليهم من واجبات[3].

---

(1) محمد زيود، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، بحث منشورة ضمن مجلة دراسات تاريخية (جامعة دمشق: 1996م): ع57-58 / ص 166.

(2) تاهرت: اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لإحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة بينهما وبين المسيلة ست مراحل وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد وهي كثيرة الأنداء والضباب والأمطار حتى إن الشمس بها قل أن ترى. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج2/ ص7.

(3) زيود، اليهود في الأندلس والمغرب: ع57-58 / ص 166.

أما القسم الشمالي من المغرب العربي الذي ضم قرطاجنة[1] وتوابعها، فقد عاشت في وسط المجتمع جماعات يهودية، وترجع بدايات وجودها فيه إلى سنة 588ق.م.، إثر قيام الملك البابلي بختنصر بتنقية مجتمع مدينة القدس في فسلطين من شرور اليهود وأفعالهم الماكرة وتآمراتهم الخبيثة[2]، كما انتقلت مجموعات أخرى من اليهود الموجودين في إسبانيا آنذاك إلى المغرب قبل عملية الفتح الإسلامي للمنطقة، ومما يؤكد ذلك ظهور دور اليهود وتدخلاتهم في المجتمع، لاسيما على الصعيد السياسي لكل من إسبانيا والمغرب، كتقدمهم المساعدات للوندال في إسبانيا، وانتهجوا المنهاج ذاته تجاه الوندال أثناء احتلالهم لبلاد المغرب، يدفعهم في ذلك عامل الانتقام من الإسبان الذين، أساؤوا معاملتهم بشكل كبير أثناء وجودهم هناك[3].

ظل اليهود في المغرب بعد الفتح الإسلامي يعيشون إلى جانب الفئات الأخرى غير العربية، وليس لهم أحياء خاصة بهم، كما لم يكن لهم زي خاص، الذي يتميزون به عن غيرهم من السكان خلال القرون الإسلامية الأولى من حكم المغرب على الأقل، كما كانت العادة في المشرق الإسلامي[4]، إلا أن أوضاع اليهود اختلفت في الحقبة الواقعة ما بين القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وحتى القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي، وعلى مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية والتجارية، فإنها أصبحت تعيش مستقلة في أحياء خاصة بها، كما هو الحال في مدينة تلمسان وغيرها من المدن المغربية، وكانت هذه الأحياء مغلقة، وقد أسهم هذا الأمر كثيراً في تسهيل مهمة مراقبتهم نشاطاتهم من قبل السلطات الحاكمة، ولهم أماكن عبادتهم الخاصة في هذه الأحياء، ويديرها رئيس الطائفة الذي يقوم بدور الوسيط بينهم وبين السلطات الحاكمة، كما كانت لهم مقابرهم الخاصة بهم[5].

---

(1) قرطاجنة: اسم هذه المدينة قرطا وأضيف إليها جنة لطيبها ونزهتها وحسنها بلد قديم من نواحي إفريقية، وقد ذكرها بطليموس في كتاب الملحمة، كانت مدينة عظيمة شامخة البناء أسوارها من الرخام الأبيض وبها من العمد الرخام المتنوع الألوان ما لا يحصى ولا يحد وقد بنى المسلمون من رخامها لما خربت عدة مدن. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج4/ص323.

(2) د.م. دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة: سهيل زكار، ط2، دار حسان (دمشق:1990م)، ص179.

(3) علي أحمد، تاريخ المغرب العربي الاسلامي، مطبعة جامعة دمشق (دمشق: 1992م)، ص 39.

(4) فروخ، العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط، ص 186.

(5) عميرات محمد أمين، هجرة يهود الأندلس إلى المغرب الاوسط، مجلة مركز الدراسات الأندلسية (الجزائر: 2017م): ع23/ص165-166.

أما بيوتهم في هذه الأحياء فكانت قريبة من بعضها البعض، وتتصل فيما بينها بدروب ضيقة وساحات صغيرة، كما يوجد في هذه الأحياء يوجد بعض الحمامات والمعابد[1]، وتمتعت هذه الجماعات بحرية تامة بحكم مبادئ التسامح الإسلامي، فكان لها حق ممارسة الطقوس والعبادات الدينية والاحتفال بأعيادهم وزيارة الأضرحة الخاصة بأوليائهم، فضلاً عن السماح لهم بالتملك والتصرف فيما يمتلكون، وكانت بحوزتهم الكثير من العقارات التي تحوي المنازل والفنادق، كما ابتنوا المدارس لتعليم أبنائهم[2]، كل ذلك ساهم في تمتعهم بمكانة كبيرة في المجتمع المغربي، وزاد نفوذهم السياسي، وتحديدًا في عصر الدويلات التي تمتعت بحكم مستقل أو شبه مستقل، كدولة بني مدرار في سجلماسة في المغرب الأقصى، والدولة الرستمية في تاهرت في المغرب الأوسط، ودولة الأغالبة في تونس، فضلاً عن الدول الأخرى التي قامت بعدها [3].

لقد كانت النتيجة الطبيعية للمكانة التي تمتع بها اليهود، والاستقرار الاجتماعي وتزايد ثرواتهم، أن أصبح لهم دورٌ مؤثرٌ في مختلف النواحي، لاسيما التجارة بسبب امتلاكهم للثروات كما أشرنا آنفا، فضلاً عن امتلاكهم للخبرة الجيدة في هذا المجال، كما أسهم نشاط الحركة التجارية في حقبة القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بين مختلف أجزاء المغرب وأفريقية من ناحية، ومع الأندلس من ناحية أخرى، وخاصة ما يتعلق بتجارة الذهب التي اشتهر اليهود بها أكثر من غيرهم، لمعرفتهم بأسرارها وبراعتهم بصناعاتها، وطرق المتاجرة بها[4].

رابعاً: اليهود في ظل الدويلات الإسلامية في المغرب

لقد كان وجود اليهود في المغرب واضحًا، لاسيما في مدن وقرى وجبال الجهات الشمالية والجنوبية منه، وعاشوا في كنف السلطات الإسلامية المتعاقبة منذ الفتح الإسلامي ومن أجل تقديم صورة واضحة لأوضاع اليهود خلال هذه الحقبة، فعندما قامت دولة الأدارسة في المغرب، وثبتت أركانها قام الأمير إدريس الأول في سنة 173هـ/789م، بغزو البربر ممن على دين اليهودية، فتحصن قسمًا منهم في المناطق الجبلية، واستمر الأمير إدريس في غزوهم حتى هزمهم، فهدم حصونهم[5]،

---

(1) بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص64.

(2) محمد أمين، هجرة يهود الأندلس: ع23/ص 166.

(3) زيود، يهود الأندلس والمغرب: ع57-58 / ص 166.

(4) بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص 166.

(5) ابن ابي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس، ص8.

فأسلم من أسلم منهم، وبقي القسم الآخر منهم على يهوديته فكان استقرارهم في المناطق القريبة من مدينة فاس، كما وافق الأمير إدريس الثاني على إقامتهم في مدينة فاس ذاتها، وذلك مقابل دفع الجزية المقررة عليهم[1]، فضلاً عن سماحه لهم ببناء حي خاص بهم في المدينة عندما تم تأسيسها، فقاموا ببناء الدور والحوانيت والرباع[2]، ولم يقتصر الأمر على فاس فقط، بل عاشت مجموعات يهودية في مدن أخرى مثل نكور[3] واستمر إدريس الثاني في انتهاج سياسة متسامحة تجاه اليهود حتى وفاته في سنة 213هـ/828م[4].

أما في العهد الفاطمي في المغرب فقد تمتع اليهود بحرية واسعة في ممارستهم لأعمالهم العادية والضرورية، مما جعل الفرصة سانحة لهم في شغل المناصب الحساسة في بلاد المغرب سواء كان على المستوى الإداري والاقتصادي والعلمي، ويعد اليهودي يعقوب بن كلس خير مثال على ذلك، وقد سبق أن فصلنا الحديث عن هذه الشخصية، وما قامت به من دور على صعيد الإدارة والاقتصاد والحركة العلمية في المغرب قبل توليه الوزارة، وبعد توليه الوزارة في مصر للخليفة الفاطمي المعتز الفاطمي ومن ثم ولده العزيز بالله[5]، ولم يقتصر الأمر على يعقوب بن كلس، بل برزت شخصية يهودية أخرى تمثلت بالفلكي اليهودي الحاخام بلطيل بن شفاطيا، الذي اعتمد عليه الخليفة الفاطمي المعتز، وعينه كمستشار ومن ثم وزيرًا له أثناء وجوده في القيروان[6].

كما استمر الوجود اليهودي في كنف الدولة المرابطية، وعاشوا كجزء من المجتمع، إلا أن سياسة المرابطين تجاه اليهود اختلفت عن سياسة سابقيهم، بسبب اختلاف الأوضاع والتطورات التي حدثت على الساحة السياسية، لاسيما بعد تعاظم قوة الإسبان، وتولي المرابطون مهمة التصدي لأطماعهم، فقرر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين في سنة 500هـ/1106م السماح لليهود

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب: ج1/ص11؛ بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص9.

(2) ريه، اليهود في بلاد المغرب الاقصى، ص32.

(3) نكور: واحدة من المدن المغربية المعروفة، تقع بالقرب من مدينة مليلة، وعلى بعد عشرة أميال عن ساحل البحر. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان (بيروت: 1984م)، ص 576.

(4) ريه، اليهود في بلاد المغرب الاقصى، ص32.

(5) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية الإسلامية في العصور الوسطى، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر (بيروت: 1988م)، ص78.

(6) زيود، اليهود في الأندلس والمغرب: ع57-58 / ص164.

بدخول عاصمته مراكش في النهار، ومغادرتهم لها ليلاً، من أجل الحفاظ على سرية المعلومات والخطط العسكرية، وضمان عدم نقل الأخبار من قبل اليهود إلى الإسبان، ومن يخالف هذا الأمر يكون عرضة للقتل، لذلك كان اليهود يخشون البقاء في مراكش ليلاً، كي لا يتعرضوا للقتل[1].

انتهج الموحدون سياسة شديدة تجاه اليهود، ومن أهم مظاهرها، تخيرهم بن الدخول في الإسلام أو مغادرة المغرب من جهة، وإجبارهم على ارتداء زي خاص بهم، وذلك من أجل تميزهم عن المسلمين من جهة أخرى، فضلاً عن عدم السماح لهم بإعادة بناء كنائسهم ومعابدهم مما أثار استياؤهم، واضطرهم إلى مغادرة المغرب[2].

وفي حقبة الحكم المريني، الذي انتهج أمراؤه سياسة متسامحة تجاه اليهود، الذين تمتعوا بحقوق واسعة، فأصدرت العديد من الفتاوى التي حرمت قتال أهل الذمة، إذ لم ينقضوا العهد، فلهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين[3]، مما أسهم في بروز عدة شخصيات يهودية خدمت في البلاط المريني أثناء عهد السلطان يوسف المريني، الذي قربها إليه منذ صغره، فاستخدم بعض اليهود في خدمته والإشراف على شؤون بيته وإدارته، فكانوا مستشارين له في أمور الحكم، وندماء له في مجالس أنسه حتى اعتمد عليهم في قضاء أموره الخاصة مما أدى إلى تعاظم مكانة اليهود، وعلو شأنهم في العصر المريني، إذ بدأوا بحياكة المؤامرات والدسائس التي هددت الدولة، مما أثار مخاوف السلطان يوسف، الذي قتلهم جميعًا في سنة 701هـ/1302م[4].

على الرغم من المقتلة التي حلت برجال الإدارة اليهود من ذوي المكانة المرموقة، جراء الأعمال التي قاموا بها، إلا أن السلاطين المرينيين[5] لم يتعظوا من ذلك، فأعادوهم مرة أخرى إلى العمل في الإدارة، بل وفي مناصب حساسة للغاية، مثل ما حدث في عهد السلطان عبد الحق المريني، الذي اجتث وزيره يحيى الوطاسي وبطانته، وقام بقتلهم جميعًا بتحريض من اليهود القريبين منه، وعين بدلاً عنه يهوديين، ومنحهما صلاحيات واسعة، شجعتهم على ممارسة أعمال

---

(1) ريه، اليهود في بلاد المغرب الاقصى، ص 33.

(2) عبد الرزاق، الدور السياسية والفكري ليهود المغرب: ع11/ص4.

(3) الونشريسي، المعيار المعرب: ج2/ص224.

(4) أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لاخبار المغرب الاقصى، تحقيق: جعفر الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء: 1954م):ج3/ص80، 100.

(5) للمزيد من التفاصيل عن دور اليهود في العهد المريني. ينظر: ريه، اليهود في بلاد المغرب الاقصى، ص34.

البطش والقسوة بحق السكان العرب المسلمين في فاس، والاعتداء عليهم ومصادرة حقوقهم، يقابله في ذلك دعم أبناء جلدتهم من اليهود، الذين تمادوا في تحقيق مصالحهم الشخصية، فأدى ذلك إلى احتجاج الأهالي المسلمين في فاس على سياسة السلطان عبد الحق، وثاروا ساخطين عليه في سنة 869هـ/1465م، فتم قتله خلال هذه الثورة[1].

لقد ورث السعديون حكم المغرب بعد الموحدين والمرينيين خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وقد شهد المغرب خلال الحكم السعدي هجرة واسعة من يهود إسبانيا، وفدت اليه نتيجة لما كانوا يعانونه من أوضاع سيئة، ومعيشية متردية، وما رافقها من انطلاق محاكم التفتيش الإسبانية، فكانت بلاد المغرب من المناطق التي نشدوها باحثًا عن الأمان، فعملوا في التجارة والحرف اليدوية، وقد عدت مدينة فاس من أكبر مراكز تجمعهم في المغرب، إلا أنهم واجهوا منافسة شديدة من السكان المسلمين، فحرك هؤلاء السلطات السعدية ضدهم، فانتهجت معهم سياسة شديدة مماثلة لسياسة الموحدين، مما اضطرهم على مغادرة المغرب والتوجه إلى إسبانيا مرة أخرى، ولكن الأوضاع فيها لم تكن أفضل حال من الأوضاع في المغرب لوجود محاكم التفتيش الإسبانية، كما أنهم منعوا من الدخول إلى إسبانيا والبرتغال فاضطروا إلى العودة إلى المغرب مرة أخرى[2]، وعاشوا فيها تحت ظل السلطات المتعاقبة التي مارست الشدة معهم تارة، واللين تارة أخرى حتى العصر الحديث، وذلك تبعًا لمواقفهم الإيجابية والسلبية تجاه هذه السلطات ورعاياها.

خامساً: دور اليهود في الحياة العلمية في المغرب

لقد نشطت الحركة العلمية في المغرب بعد الفتح الإسلامي، حالها في ذلك حال ولايات الدولة العربية الإسلامية الأخرى، وكان لجميع طبقات المجتمع المغربي ومكوناته نصيب منها، فكان المكون اليهودي على تماسّ مباشر مع المسلمين المغاربة، الذين درسوا على أيدي إخوانهم ممن وفدوا عليهم من المشرق بعد انتشار شهرتهم وذبوع أمرهم، فاستفاد اليهود كثيرًا من هؤلاء العلماء في مختلف مجالات العلوم اللسانية والعقلية، فنشأت أماكن مخصصة للتعليم، ظهرت في

(1) ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت: 1997م): ق1/مج2/ص68.

(2) عبد الرزاق، الدور السياسية والفكري ليهود المغرب: ع11/ص4.

بداية الأمر في مدينة القيروان وفاس وتلمسان[1] وغيرها من المدن المغربية، ثم نشأت أماكن أخرى إثر هجرة اليهود من الأندلس إلى المغرب، وهي شبيهة بالكتاتيب في المشرق فكانت في كل كنيسة ومعبد مدرسة تابعة له[2]، وعنيت هذه المدارس بدراسة العلوم النقلية أو العلوم الشرعية من جهة والعقلية أو الحكمية من جهة أخرى.

1ـ العلوم النقلية والشرعية

لقد برع يهود المغرب في مجال العلوم النقلية، لاسيما أنهم دأبوا على اعتماد نفس منهج المغاربة المسلمين القائم على الدقة والاختصار، والعناية الكبيرة في التعامل مع النص الديني، وما تفرع عنه من معارف كالتفسير واللغة والتشريع وعلم التصوف، كما أنهم تأثروا بمنهج المفسرين المسلمين، فقدموا منهج مشابه للمنهج الإسلامي في تفسيرهم للكتاب المقدس، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أصدروا فتاوى وأحكامًا دينةً مشابهة لما نصت عليه الحدود الإسلامية[3]، فنشطت حركة التفسير التلمودي خلال القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي، وذلك عندما تنبه المختصين إلى أسرار لغوية لم ينتبه إليها اليهود بعد، فضلاً عن قيامهم بترجمة التوراة إلى اللغة العربية التي مثل لغة اليهود في البلدان الإسلامية ومن ضمنها بلاد المغرب[4].

اهتم اليهود باللغة العربية ودراستها وما دار في فلكها من نحو وصرف وبلاغة وشعر وبحوره وقوافيه، لذلك نشطت الدراسات اللغوية العربية نشاطًا ملحوظًا بشكل كبير، وأصبحت علومها، لاسيما النحو والصرف ذات تأثير كبير بالنسبة لتوضيح وتفسير التوراة، وفهم معانيها بدقة، وإزالة ما اكتنفها من غموض في المعاني والألفاظ[5].

تعد المدرسة اليهودية في فاس من أعرق مدارسهم في المغرب العربي، وأدت دورًا كبيرًا في

---

(1) تلمسان: وهما مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر إحداهما قديمة والأخرى حديثة والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب واسمها تافرزت فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس واسم القديمة أقادير. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج2/ ص44.

(2) ديورانت، قصة الحضارة:ج 14/ص73.

(3) شحلان، اليهود المغاربة، ص 12؛ ريه، اليهود في بلاد المغرب الاقصى، ص 191-192.

(4) محمد بحر عبد المجيد، اليهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (القاهرة: 1970م)، ص34؛ قنديل، الاثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، ص 212.

(5) قنديل، الاثر الاسلامي في الفكر الديني اليهودي، ص 212؛ ريه، اليهود في بلاد المغرب الاقصى، ص 194.

حركته العلمية، ولم يقتصر تأثيرها على المغرب، بل تعداه إلى مناطق خارج نطاقه، كما تعددت الاختصاصات التي درست فيها، كالفلسفة واللغة والشرائع اليهودية وغيرها من العلوم فأصبحت هذه المدرسة مقصد الدارسين اليهود، وخرجت العديد من المثقفين والعلماء المختصين بمختلف العلوم والمعارف[1].

لقد برزت عدة شخصيات يهودية في المغرب في العصور الإسلامية، خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، وكان لها دورها الكبير في الحركة العلمية لاسيما في مجال العلوم العقلية، لذا فإننا سنسوق البعض منها في هذا المبحث، فمن الشخصيات اليهودية التي لمع اسمها خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي في مدينة تاهرت اللغوي يهود بن قريش، الذي يعد أول من وضع مقارنة بين اللغة العربية والعبرية من خلال مصنفه الذي أسماه (الرسالة)، ووجهه إلى علماء اليهودي في مدينة فاس، وقد تضمن هذا الكتاب ثلاث موضوعات، اختص الأول منها بمقارنة اللغة الارامية باللغة العبرية.

أما الثاني فقد قارن اللغة العبرية باللغات الأجنبية، في حين تطرق الثالث منها إلى مقارنة اللغة العبرية باللغة العربية[2].

ظهرت شخصية يهودية أخرى في مجال اللغة العبرية، وهو دونش بن لبراط الذي ولد في مدينة فاس، ورحل منها إلى بغداد وتعلم فيها اللغة وعلومها، ومن ثمة رحل إلى قرطبة فعاش فيها في منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وبرع في اللغة العبرية، ويعد أول من جدد في الشعر العبري، من خلال نظمه على بحور الشعري العربي، كما أنه جدد في المضامين الشعرية، وتناول فيه الكثير من المواضيع كالمحاورات والمدح، وتفنن في وصف الطبيعة، فأصبح بمثابة مدرسة شعرية لمن جاء بعده من الشعراء اليهود المجددين، كما أنه عد مؤسس المدرسة النحوية العبرية، إذ أورد آراء جديدة في هذا المجال وعلى غرار مدرسة النحو العربي [3]، كما كان اللغوي أبي الوليد مروان بن جناح، واحدًا من أبرز من خرجتهم مدرسة دونش بن لبراط، وقد برع في مجال اللغة وصنف كتابًا في النحو العبري أسماه (اللمع)، ويعد أول كتاب جامع شامل للنحو

---

(1) شحلان، اليهود المغاربة، ص13.

(2) سليم شعشوع، العصر الذهبي صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس، د.م. (تل ابيب: 1979م) ص 116.

(3) شحلان، اليهود المغاربة، ص 12.

واللغة العبرية إلى يومنا هذا[1]، وقد برزت شخصية أخرى خلال هذه الحقبة هو أبو سليمان داود بن إبراهام الفاسي، ويعد واضع أول معجم لغوي في كتاب التوراة أسماه (جامع الألفاظ) أو (الأجرون)، إذ سار في تأليفه على نفس منهج معاجم اللغة العربية، وكان الغرض الرئيس من تأليفه شرح مفردات التوراة[2]، وفي هذه الحقبة برز موسى بن ميمون الفاسي في مجال الفلسفة[3]، الذي عرفت فلسفته طريقها إلى المشرق، وأصبح من كبار علمائهم، حتى قال فيه اليهود من موسى (ويقصدون النبي عليه السلام) إلى موسى (يقصدون ابن ميمون) لم يظهر مثل موسى[4]، فضلاً عن براعته في الطب وصناعة الأدوية[5]، وقد فصلنا الحديث عنه أثناء الحديث عن الحياة العلمية في العهد الأيوبي، كونه طبيبًا خاصًا للأسرة الأيوبية الحاكمة آنذاك.

2ـ العلوم العقلية والحكمية

لم تقتصر براعة اليهود في المغرب على العلوم النقلية فقط، بل إنهم برعوا أيضًا في مجال العلوم العقلية التي أعملوا فيها العقل، واهتدوا من خلالها إلى الفكر ومداركه، وأخضعوها للتجربة، ومما يميز هذه العلوم أنها لا تختص بدين أو ملة، بل هي مشاع للجميع ممن يرغبون في تعلمها، وقد اشتملت هذه العلوم على الطب والفلسفة والمنطق والفلك، ففي مجال الطب وصناعة الأدوية برع العديد من اليهود المغاربة، نتيجة لتطور علم الطب في المغرب وكان أشهرهم موسى بن ميمون الذي سبق ذكره، ومن مشاهير أطباء اليهود في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، الطبيب أحمد بن المغربي الاشبيلي، الشهير ب(سليم)، اعتنق الإسلام، كما أنه لم يكن طبيبًا فقط، بل برع في العديد من العلوم، فكان إمامًا في الفلسفة وغيرها، ونظرًا للخبرة التي تمتع بها، فقد تمت توليته لرئاسة الأطباء في مصر، التي عاش فيها حتى وفاته سنة 718هـ/1317م[6].

---

(1) المرجع نفسه، ص 114.

(2) قنديل، الاثر الاسلامي في الفكر الديني اليهودي، ص 221؛ ريه، اليهود في بلاد المغرب الاقصى، ص 204.

(3) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، ص448-449.

(4) شحلان، اليهود المغاربة، ص 114.

(5) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء: ج3/ص 498.

(6) المقريزي، السلوك: ج2/ق1/ص188.

عندما التجأ اليهود الفارين من محاكم التفتيش الإسبانية في الأندلس إلى المغرب، كان من بينهم العديد من العلماء والأطباء الذين عملوا في خدمة الحكومات الإسلامية كالوطاسيين وغيرهم[1]، ومن الأطباء اليهود الذين مارسوا مهنة الطب والتأليف المعلم يوسف الأندلسي في مدينة مراكش، وهو من أصول أندلسية وله خبرة كبيرة بالتنجيم إلى جانب الفلسفة وعلم الكلام والفلك[2]، فضلاً عن عدد آخر من الأطباء منهم ابن نظير اليهودي والطبيب هارون بن إسحاق بن عزرون[3]، إلا أن أبرزهم جميعًا الطبيب أفرايم بن إسرائيل بن عنقاوه الذي هاجر من الأندلس إلى المغرب الاقصى في سنة 795هـ/1391م، واستقر به المطاف في مدينة تلمسان، وقد جاء تميزه عن غيره من اليهود لسببين؛ الأول منها هو الدور الكبير الذي قام به أفرايم، والمتمثل بجلب الجالية اليهودية من الأندلس إلى تلمسان بعد ما تعرضوا له من اضطهاد، أما السبب الثاني فيرجع إلى العلوم التي كان يحملها كالطب وصناعة الأدوية، فضلاً عن تمكنه ومعرفته بالتعاليم التلمودية التي ورثها عن أبيه، الذي كان عالماً بدوره وله عدة مؤلفات، ونتيجة لذلك أصبح أحد أقطاب اليهودية خلال حياته، وأحد أوليائها بعد وفاته في سنة 846هـ/1442م، إذ تحول قبره إلى مزار مقدس وحج سنوي يفد إليه اليهود من جميع مدن المغرب[4].

أما ما يتعلق بالفلسفة اليهودية، فإنها عانت ما عانته الفلسفة الإسلامية في المغرب في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، بسبب موقف السلطات الحاكمة منها، لاسيما بعد ما حدث لابن رشد من سجن وحرق كتبه، وكذلك الحال بالنسبة لفلاسفة اليهود من تلاميذ مدرسة موسى بن ميمون الفلسفية، فقد عانوا من الاضطهاد الذي قام به رجال الدين اليهودي[5]، واستمر ذلك حتى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، حيث ازداد تصدي رجال الدين اليهودي، الذين استعانوا في محاربتها بفكر الإمام الغزالي الذي اشتد في هجومه على الفلسفة في العالم الاسلامي، فترجموا كتابه (تهافت الفلاسفة)، مما اضطر الكثير

---

(1) محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، أفريقيا الشرق (الدار البيضاء: 1991م)، ص 283.

(2) ربه، اليهود في بلاد المغرب الاقصى، ص 215.

(3) رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، ص 275.

(4) محمد أمين، هجرة يهود الأندلس؛ ع23/ص163.

(5) محمود قاسم، دراسات في الفلسفة الإسلامية، دار المعارف (مصر: 1972م)، ص139-140؛ محمد غلاب، الفلسفة الإسلامية في المغرب، جمعية الثقافة الإسلامية (القاهرة: 1948م)، ص135.

من الفلاسفة اليهود إلى مغادرة المغرب والأندلس واللجوء إلى الممالك الإسبانية ومناطق جنوب فرنسا، التي تسامحت مع الفلاسفة، وازدهرت فيها الثقافة الفلسفية نتيجة نقل كتب الفلسفة إليها مع الهاربين، فتمت ترجمتها إلى لغات تلك البلاد كالإسبانية والفرنسية [1].

كما يعد علم الفلك من العلوم التي اهتم بها اليهود بشكل كبير في المغرب، ويرجع ذلك لاهتمام اليهود بمسائل التنجيم والتنبؤات التي ترتبط بعلم الفلك، الذي يعنى بدراسة حركة الكواكب والنجوم، وقد برزت عدة شخصيات يهودية في هذا العلم، كانت لهم خبرة كبيرة في علم التنجيم خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ومن أشهرهم المعلم اليهودي يوسف الأندلسي الذي عاش في المغرب، وعرب رسالة (زيج زكرط) المتخصصة بدراسة الأزياج والفلك إلى اللغة العربية في سنة 877 هـ / 1472 م، فأقبل أهل المغرب عليه وانتفعوا به كثيراً [2].

في ختام الحديث عن الحياة العلمية لابد من القول بأن التسامح الإسلامي تجاه اليهود في المغرب، قد جعلهم ينظرون بعين القدسية لمدنهم المغربية حالها في ذلك حال مدينة القدس ذات القدسية الدينية عند باقي اليهود[3]، فكانت تلمسان إحدى هذه المدن، التي كان يسميها اليهود اسم (قدس شمال أفريقيا) لما لها من أهمية في تاريخهم بالمغرب الإسلامي من جهة، ومن كثافة بشرية ونشاط اقتصادي وأماكن مقدسة لم تتوفر لهم في بقية الأماكن التي استقروا فيها من جهة أخرى [4]، كذلك الحال بالنسبة لبقية المدن المغربية، التي أنجبت العديد من العلماء البارعين، ممن كان لهم دور كبير في حياة اليهود العلمية والدينية، فأصبح بعض علماء اليهود المغاربة وأحبارهم مرجعًا دينيًا لجميع اليهود في المغرب والمشرق، وظلوا يكتبون ويؤلفون في العلوم والتشريع وازدادت العناية بالفتوى، كما اهتموا بتدوين أحداث تاريخهم[5].

---

(1) توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ط2، مكتبة مصر (مصر: 1958م)، ص94؛ غلاب، المرجع نفسه، ص 136.

(2) محمد المنوني، ظاهرة تعريبية، مقال منشور في صحيفة الدراسات الإسلامية (مدريد:1964م): مج11-12/ ص348.

(3) شحلان، اليهود المغاربة، ص 114.

(4) محمد أمين، هجرة يهود الأندلس، ص162.

(5) شحلان، اليهود المغاربة، ص 114.

المبحث الثاني: اليهود في الأندلس في العصور الإسلامي

أولاً: موقف اليهود من الفتح الإسلامي للأندلس

لقد كان لليهود حضورهم في المجتمع الأندلسي عند انطلاق عمليات الفتح في سنة 92هـ/711م، ومن الطبيعي أن يكون لسكان أي منطقة تتعرض للفتح موقفها من الفاتحين سواء كان سلبًا أو إيجابًا، وما يهمنا هنا هو الموقف اليهودي من عمليات الفتح باعتبارهم جزءًا من المجتمع كما أسلفنا الحديث.

عندما بدأت المدن في الأندلس تتهاوى أمام جيوش الفاتحين المسلمين الواحدة تلو الأخرى، لم يكن موقف اليهود معاديًا لها حالهم في ذلك حال بقية السكان، الذين وجدوا في المسلمين المخلص لهم من ظلم القوط وبطشهم، لاسيما أنهم عانوا كثيرا يضطهدونهم، فأخذوا يترقبون باهتمام بالغ أخبار الجيش الإسلامي، الذي كان يخرج من نصر إلى نصر، وكلما تقدمت القوات الإسلامية في الأراضي الأندلسية، تجددت روح الأمل في نفس اليهود، واستعدوا لاستقبالها، فكانوا كلما دخلوا مدينة حرروا يهودها، وفي المقابل كان اليهود يعرضون على قائد الجيش الإسلامي خدماتهم، فكان يوكل إليهم حراسة المدن المفتوحة، وتأمينها تحت إمرة عدد قليل من الجنود المسلمين[1].

من الجدير بالذكر أن السياسة الجائرة التي اتبعها حكام إسبانيا تجاه اليهود من جهة وما آلت اليه أوضاع اليهود الاجتماعية والاقتصادية من سوء من جهة أخرى، هي ما كان يقف وراء سعي اليهود للتخلص منها، من خلال التآمر على هذه الحكومات، دون التفكير بما ستؤول اليه الأوضاع، وماهية الدولة الجديدة، التي يأملون بأن تكون مخلصًا لهم من الوضع المزري، وهذا ما جعلهم يميلون إلى العرب المسلمين، ويرحبون بقدومهم، وذلك ليس حبًا بهم ولا إيمانًا بجدارتهم، ولكن من أجل التخلص من ظلم الإسبان وبطشهم[2].

وعلى الرغم من عدم إشارة المصادر الإسلامية إلى قيام اليهود بالتصدي للفاتحين أو معاداتهم، إلا أنها لم تشير في ذات الوقت إلى أي دعم يهودي لتلك القوات سوى إسهامهم في حراسة تلك المدينة، وتحت قيادة إسلامية، وذلك وفق السياسة المتبعة من الفاتحين، التي تمثلت بترك حاميات إسلامية تتولى قيادة السكان المحليين وحماية مدنهم، وكان اليهود جزءًا منهم، وهذا ما أكدته

(1) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص20.

(2) زيود، اليهود في الأندلس والمغرب: ع57-58 / ص164.

المصادر الإسلامية من خلال النصوص الواردة ((صارت لهم سنة متبعة متى وجدوا بمدينة فتحوها يهودًا يضموهم إلى قصبتها، ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدونها))[1].

على الرغم مما أوردناه عن موقف اليهود من دور بسيط أثناء الفتح الاسلامي، إلا أن المستشرقين اليهود بالغوا بشكل كبير في مسألة دور اليهود في الفتح، وهولوا في حجم المساعدات التي قدموها، ولم يكتفوا في المبالغة بل وتضخيم الدور اليهودي، بل لجأوا أحيانًا إلى الاختلاق وقلب الحقائق، مدعين بوجود كتيبة يهودية كانت تقاتل في صفوف القوات الفاتحة[2].

في الحقيقة ما هذه إلا ادعاءات ومفتريات أطلقت من أجل إبراز دور اليهود، وهي عارية عن الصحة، وينكشف زيفها إذا ما أمعنا النظر في أعداد اليهود الموجودين ضمن المجتمع آنذاك من جهة، كما إنهم لم يكونوا متقنين لفنون الحرب من جهة أخرى، فضلاً عما أوردته المصادر الإسلامية التي أكدت على أن دورهم اقتصر على مهمة حراسة المدن إلى جانب حاميات إسلامية.

لقد كان يقف وراء التعاون اليهودي مع الفاتحين المسلمين دوافع عدة، منها سعيهم للتخلص من الحكم القوطي القاسي الذي أذاقهم المر والهوان، وبالتالي يتمكنوا من الانتقام منهم من جهة[3]، ووصول أخبار التعامل الإسلامي الحسن مع اتباع الديانات الأخرى إليهم من جهة أخرى، فضلاً عن سعيهم الحثيث للحصول على المكاسب، وهذا ما دأبوا عليه في كل زمان ومكان، إذ إن موقف اليهود عبر تاريخهم الطويل لم يكن على وتيرة واحدة بل كان يتغير وفق ما تقتضيه مصالحهم الشخصية، فكانوا حلفاء للمغاربة ضد الإسبان قبل الفتح الإسلامي، وعندما انطلقت عمليات الفتح الاسلامي أصبحوا حلفاء للمسلمين ضد المسيحيين، وما أن تغيرت موازين القوى، وبدأت كفة الإسبان ترجح، مقابل الضعف الذي بدأ يدب في جسم القوى الإسلامية، حتى مالوا إلى جانب الإسبان، فكانوا يستخدمون سياسة التفريق بين أعدائهم كي تسهل مهمة السيطرة عليهم[4].

---

(1) لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر (القاهرة: 1973م): ج1/ص17.

(2) سعدون، التسامح الاسلامي: مج 40/ع1/ص 128.

(3) أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب: ع 58 / ص 163.

(4) خير لله طلفاح، حضارة العرب في الأندلس، دار الحرية (بغداد:1977م)، ص 108-109.

لم تقتصر سياسة اليهود على التفريق بين العدو والصديق، بل قاموا بالتفريق بين الصديق وصديقه، وبين الأخ وأخيه، وخير مثال على ذلك ما حدث أثناء لجوء عبد الرحمن الداخل إلى ولاية عبد الرحمن بن حبيب على أفريقيا، فكان فيها رجل يهودي مقرب من ابن حبيب، وأدى دورًا كبيرًا في إقناعه بطردِ الداخل من المغرب مدعيًا أنه ينوي إقامة دولة أموية في المغرب[1].

لقد عاش اليهود خلال الحكم الإسلامي حقبة تعد نموذجًا عظيمًا للمعاملة الحسنة بين أصحاب الحكم ورعاياهم من أصحاب الديانات الأخرى، فانتعش الاقتصاد اليهودي، أيما انتعاش خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي للفتح الإسلامي، وبزغت نهضة فكرية وأدبية عبرية نتيجة لهذا الرخاء الذي تمتع به اليهود، حيث جمع اليهود خلال العصر الإسلامي أموالاً طائلة، حتى إنهم كانوا يرسلون الأموال لمساعدة اليهود خارج الأندلس، وأنشؤوا مراكز ثقافية خاصة في قرطبة وغيرها من مدن الأندلس، وانكبوا على دراسة العلوم العربية إلى جانب العبرية[2]، كي ينافسوا بها المراكز التقليدية في الشرق احتذاء بالعرب، وبدأوا يشجعون العلماء اليهود بالأموال لجذبهم من الشرق[3]، وهذا ما سنتناوله في المبحث الآتي.

ثانياً: المراكز الرئيسة لاستيطان اليهود في الأندلس

لقد توزع اليهود في مختلف أجزاء الأندلس خلال العصور الإسلامية، وكان هذا التوزيع يختلف من مكان إلى آخر من حيث العدد، وكثرة المدن التي تمركزوا فيها، لذلك سنقتصر على الإشارة إلى أبرز المدن الأندلسية التي ضمت تجمعات يهودية ضمن مجتمعها، وكان لها دور واضح في على مختلف الأصعدة.

1ـ قرطبة

لقد كانت قرطبة من أبرز المدن الواقعة في وسط الأندلس من حيث الشهرة والمكانة الجغرافية والاقتصادية، تم فتحها من قبل المسلمين في سنة 92هـ/711م، وبقيت تحت السيادة الإسلامية وعاصمة للأندلس، ومقرًّا لأمرائها وخلفائها قرابة خمسة قرون ونصف لتنتهي سيادتهم

---

(1) زيود، اليهود في الأندلس والمغرب: ع57-58 / ص 178.

(2) هدى درويش، اسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (القاهرة: 2008م)، ص 11.

(3) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 21.

عليها في سنة 633هـ/1236م[1]، وقد مثلت واحدًا من مراكز الوجود اليهودي المهمة في الأندلس، وكان لهم حيهم الخاص الذي عرف باسمهم، ويقع في الجهة الجنوبية الغربية منها بالقرب من قصر الخلافة والجامع الكبير[2]، وما يزال هذا الجزء من المدينة يعرف بالحي اليهودي الذي لا تزال آثاره باقية إلى يومنا هذا، فعلى الرغم من اندثار الدور القديمة لهذا الحي إلا أن الدور التي أقيمت محلها بعد القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، تم بناؤها على نفس التخطيط القديم، من حيث الساحات وشبكة الشوارع القديمة التي عرفت بضيقها، وأسمائها القديمة. أما مساحة الحي فكانت صغيرة مقارنة بالأحياء اليهودية الموجود في المراكز الأندلسية الأخرى التي استوطن بها اليهود، ونتيجة لصغر مساحة هذا الحي قياسًا بأعداد اليهود الكبيرة من جهة، وتدفق المهاجرين اليهود للاستيطان في قرطبة لما شهدته من تقدم وتطور حضاري وعلمي من جهة أخرى لاسيما في عهد الخلافة، فقد سمح لهم بإقامة حي خاص في شمال المدينة، ومما يدل على ذلك تسمية الباب الشمالي للمدينة بباب اليهود[3].

إن الدور الذي أداه اليهود في قرطبة في العصور الإسلامية، كان له أثره في أن تصبح هذه الطائفة من أهم الطوائف اليهودية المقيمة في المراكز الأندلسية الأخرى، وعلى المستويات كافة، لاسيما الاقتصادي وذلك لعملهم وخبرتهم في مجال التجارة والصناعة، وبرزت العديد من العائلات اليهودية في هذا المضمار[4].

2ـ طليطلة

أما مدينة طليطلة، فقد مثلت المركز الثاني للوجود اليهودي في الأندلس، وقد سبق تعريف هذه المدينة في الهوامش، وما يهمنا هنا هو الثقل اليهودي فيها ودورهم، لقد تم فتح المدينة في سنة 92هـ /711 هـ على يد طارق بن زياد، وتعامل الفاتحون المسلمون مع يهودها كتعاملهم مع يهود قرطبة عند فتحها، وبقيت في أيديهم حتى سنة 477هـ/1084م، عندما سقطت بيد الإسبان[5].

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج4 / ص195؛ محمد بن عبدالله القضاعي المعروف بالآبار، التكملة لكتاب الصلة، د.م. (القاهرة: 1956م)، ص120، 323.

(2) ياسين أحمد صالح الدليمي، التسامح الاسلامي مع يهود الأندلس من الفتح حتى السقوط، بحث منشور في مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (جامعة تكريت: 2013م): مج5/ع16/ص158

(3) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 90-93.

(4) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 30؛ زيود، اليهود في الأندلس والمغرب:ج57-58/ص164.

(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج4 / ص40؛ ابن عذاري، البيان المغرب:ج2/ص12.

لقد كان ليهود طليطلة حيٌّ خاصٌ بهم يقع في الجزء الغربي من المدينة، وبقوا يعيشون فيه حتى سنة نهاية الحكم الإسلامي لها، ولازال بعض شوارع الحي وساحاته تحمل الأسماء اليهودية القديمة[1]، أما حدود هذا الحي فإنها تمتد حتى الجهة الشمالية الغربية من المدينة حيث بابها المسمى (كامبرون) وغربا حتى وادي تاجة وجنوبًا حتى جبل (سان كريستوبال) وشرقًا حتى ساحة باسيوديل ترانسيتو، وأحيط هذا الحي بسور تم بناءه في سنة 205هـ/820م، فضلاً عن وجود قلعة في داخله، ولم يكن الحي اليهودي حيًا تجاريًا، ومما يدل على ذلك استاجار عدد من التجار اليهود لمحلات في مركز المدينة إلى الشمال من المسجد الكبير، إذ مثل هذا المكان المركز التجاري للمدينة[2]، وكان يهود طليطلة يدعون انتسابهم إلى النبي داود عليه السلام فضلاً عن ظهور العديد من المفكرين والأدباء والعلماء اليهود[3].

3ـ غرناطة

كما كانت غرناطة من المراكز اليهودية المهمة، التي تقع في جنوب الأندلس، حيث استقرت فيها أعداد كبيرة من اليهود، لما امتلكته من خصوبة أرض واعتدال مناخ، فضلاً عن وقوعها على الطرق التجارية التي تربط بين أجزاء الأندلس[4]، وقد تم فتح غرناطة في سنة 92هـ/711م، فوجد الفاتحون فيها أعدادًا من اليهود تم ضمهم إلى سلطتهم، وتعاملوا معهم بكل تسامح وعدل وإحسان، وفق المبادئ الإسلامية التي أقرها القرآن الكريم والسنة النبوية[5]، فكان للتسامح الإسلامي الذي حظي اليهود به في الأندلس أثره في هجرة أعداد كبيرة منهم إلى غرناطة، كان بعض منهم من خارج الأندلس، وبعضهم الآخر من داخلها، لكونها واحدة من مدن الأندلس الكبرى، مما أدى إلى إطلاق تسمية (أغرناطة اليهود) عليها[6]، وقد استوطنوا في الأحياء الواقعة في الجزء الجنوبي والغربي من المدينة عند سفح جبل مورور، الذي أقيمت قصور ملوكها على سفحه الجنوبي، ولم يقتصر انتشارهم على هذه المنطقة، بل انتشروا في المنطقة السهلية الواقعة جنوب جبل مورور[7].

---

(1) الدليمي، التسامح الاسلامي: مج5/ع16/ص157.

(2) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 103-105.

(3) الدليمي، التسامح الاسلامي: مج5/ع16/ص157.

(4) بوتشيش، المرابطون وسياسة التسامح، بحث منشور في مجلة دراسات أندلسية (تونس: 1984م): ع11/ص24.

(5) ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة: ج1/ص 101؛ ابن خلدون، العبر: ج4/ص160.

(6) الحميري، الروض المعطار، ص45.

(7) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص113.

أخذ عدد اليهود بالتزايد خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي نتيجة للهجرة المتزايدة اليها، لاسيما بعد أن وصل عدد منهم إلى مناصب مهمة في الدولة، إلا أن هذا العدد أخذ بالتناقص بشكل كبير بعد ثورة المسلمين ضدهم، لما ارتكبوه من ظلم وتجاوزات، فتم قتل أعداد منهم وشرد عدد كبير بين مدن الأندلس الأخرى[1]، وعلى الرغم من ذلك بقي قسم منهم فيها، ثم أخذوا بالعودة اليها في العصور اللاحقة التي حكم فيها المرابطين، وعاشوا فيها حتى سنة 897هـ/1492م، وهي السنة التي سقطت بيد الإسبان، فقام فرديناند ملك قشتالة بطردهم منها، وهدم الحي الخاص بهم، وبنى محلة كنيسة مريم العذراء، وقدر عدد اليهود في طليطلة عند سقوطها بخمسمئة يهودي، وذلك بسبب تخيير الإسبان لهم ما بين الرحيل أو التنصر، فهاجروا إلى بلاد المغرب، واستقروا فيها، بعد أن رفضوا تغيير معتقدهم[2].

4ـ أشبيلية

كما كانت مدينة أشبيلية من المراكز الأندلسية المهمة التي استوطن فيها اليهود، وهي تقع إلى الغرب من قرطبة على بعد ثلاثين فرسخ(90 ميل)، وقد أسهم موقعها على الوادي الكبير الذي ربطها بالمحيط الأطلسي في أن تكون مركزًا تجاريًا استراتيجيًا مهمًا، فتحها المسلمون في سنة 93هـ/712م، فتم جمعهم في مكان واحد بعد أن كانوا متفرقين فيها[3]، وقد أقام قسم من اليهود في الجزء الجنوبي الغربي من أشبيلية، خلال حقبة الحكم الإسلامي لها واستقر القسم الآخر منهم في الجزء الشمالي الغربي منها، وأخذ عدد اليهود بالازدياد في إشبيلية بسبب الهجرة اليها في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وكان قسم كبير من هؤلاء المهاجرين قد هاجر إليها من قرطبة عقب انتهاء عصر الخلافة، كما تدفق اليها عدد كبير من الشمال الإفريقي، طمعًا في التسامح الإسلامي الذي سمعوا به، فضلاً عن الازدهار الاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته أشبيلية في عهد بني عباد[4].

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب: ج3/ص231؛ شهاب الدين أحمد التلمساني المعروف بالمقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر (بيروت: 1988م):ج4/ص322.

(2) فرحات، غرناطة في ظل بني الاحمر؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 40.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج1/ص 195؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ج2/ ص12؛ ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ص101.

(4) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص129-130؛ زيود، اليهود في الأندلس والمغرب: ج57-58/ص164.

لم يقتصر الوجود اليهودي في الأندلس على هذه المراكز الأربعة، بل انتشروا في مختلف مدنها، ومن أشهرها مدينة أليسانة ومالقة وبجانة وماردة وسرقسطة وبرشلونة وطركونة وطرطوشة وقلعة أيوب وروطة، فضلاً عن مناطق أخرى في البلدات الصغيرة والأرياف، وبقوا يعيشون في ربوع الأندلس بكل حرية، ودون أي مضايقات حتى في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، إذ قرر كل من فرديناند ملك أرغون (856-922هـ/1452-1516م) وإيزابيلا ملكة قشتالة نفي اليهود من إسبانيا بموجب المرسوم الذي أصدراه، فتوجه معظمهم إلى فلسطين[1]، ومناطق أخرى من بلاد الشام كحلب التي استقرت فيها أسر يهودية غنية، وبعضهم الآخر منها أسر علمية لها مكانتها وسمعتها الذائعة الشهرة[2].

ثالثاً: التسامح الإسلامي مع اليهود في الأندلس

بعد الفتح العربي الإسلامي لبلاد الأندلس دخل اليهود ضمن سلطة الدولة العربية الإسلامية، وأصبحوا في ذمتها، وتحتم على الدولة حمايتهم بموجب مبادئ التسامح الاسلامي من جهة والتزام اليهود بدفع الجزية السنوية من جهة أخرى، وهكذا بقيت العلاقات بين اليهود والسلطات الإسلامية حسنة يسودها الهدوء، ومما يدل على ذلك عدم قيام اليهود بأي حركة تمرد وعصيان ضد الدولة العربية طيلة الحكم الإسلامي للأندلس، على الرغم مما عرف عنهم من حب التمرد والعصيان عبر العصور التاريخية، بل إنهم أبدوا التعاون مع السلطة في كثير من الأحيان للقضاء على التمردات التي خرجت عليها، كما حدث أثناء تمرد سنة 155هـ /772م في أشبيلية[3] وتمرد المولدين بقيادة عمر بن حفصون في سنة 278هـ/891م[4] وغيرها من التمرادات الأخرى.

في الحقيقة، إن هذا التعاون مع الجانب الاسلامي من قبل اليهود لم يكن من أجل السلطات الحاكمة بقدر ما هو خدمة لمصالحهم الخاصة، فكلما كانت السلطة قوية كان الوضع السياسي أكثر استقرارًا، فينعكس بالتالي على حياة الرعية وأوضاعهم الاقتصادية بما فيهم اليهود كجزء من المجتمع.

(1) الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، ص296؛ درويش،اسرار اليهود المتنصرين، ص41.

(2) حريتاني، تاريخ اليهود في حلب، ص 39.

(3) ابن العذري، ترصيع الاخبار، ص 100-102.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب: ج2/ص 106-108.

لقد شجع التعامل الإسلامي الحسن مع أهل الذمة بما فيهم اليهود من جهة، واستقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية في الأندلس من جهة أخرى على هجرة اليهود إليها والاستقرار فيها، فأخذ عددهم بالتزايد بشكل كبير، وقدرت المصادر التاريخية أعداد اليهود في الأندلس خلال عصر الخلافة بنصف مليون أو يزيد قليلا[1]، بينما قدرتها أخرى بمئات الآلاف رغم عدم تحديد العدد[2]، وقد تكون هذه الأرقام مبالغ فيها نوعًا ما، إلا أن وجود مثل هكذا روايات يدل على أن هذه اعداد كبيرة وبشكل ملحوظ في المجتمع الأندلسي، كما أنه يدل على أمر آخر وهو رضى اليهود بالحكم الإسلامي أكثر من غيرهم لما حققه لهم أمنًا وضمانًا لحقوقهم الاجتماعية والاقتصادية آنذاك.

لم يتخذ أمراء الأندلس المسلمين وخلفاؤها وولاتها أي إجراء أو قانون إجباري بحقهم كما كان يحدث في المشرق وغيرها، كارتداء أزياء محددة، أو مركب أو مسكن، وهذا إن دل على شي فإنما يدل على التعامل الحسن أولاً، والتزام اليهود بما عليهم من حقوق وواجبات وعدم وجود ما يلزم فرضها عليهم ثانيًا[3]، ومن الأدلة الأخرى على التعامل الحسن مع اليهود وأخذهم نصيبهم من العدل الإسلامي، ورد المظالم عنهم حتى وإن كان خصومهم من ذوي السلطان، وما حدث من اختصام بين أحد يهود مادرة وواليها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط الذي اشترى منه جارية ولم يدفع ثمنها، فقدم اليهودي شكواه لقاضي ماردة، الذي هدد الأمير محمد برفع الشكوى لوالده الأمير عبد الرحمن الأوسط، مما اضطر الأمير محمد إلى دفع ثمن الجارية لصاحبها اليهودي[4].

أما فيما يتعلق بجمع الجزية السنوية المفروضة على اليهود، فلم تقم السلطات الإسلامية بجمعها مباشرة، وإنما أوكلت هذه المهمة في كل مدينة إلى أحد أبناء جلدتهم لجمعها[5]، فإن دل هذا على شي، فإنما يدل على أمرين الأول يبين مدى الثقة التي منحتها السلطات الإسلامية لليهود في الأندلس، وذلك نتيجة عدم تقصيرهم في أي من واجباتهم تجاه الدولة، وثانيهما معرفة الأشخاص اليهود المكلفين بجمع الجزية بأحوال أبناء جلدتهم القادرين من غير القادرين.

---

(1) عبدالله التل، خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر (بيروت: 1979م)، ص117؛ الكواتي، اليهود في المغرب، ص 212.

(2) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص173 -174.

(3) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص229.

(4) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، (مصر: 1964م): ج1/ص151.

(5) ابن سعيد، المصدر نفسه: ج1/ص151.

في الحقيقة لم تتم أي عملية اضطهاد ومصادرة لحقوق وممتلكات اليهود في الأندلس خلال العصر الإسلامي، كما لم يتم إجبارهم على اعتناق الإسلام، ولم يقف الأمر عند حرية العبادة، بل تعداه إلى حرية العمل والتملك والحياة الحرة الكريمة، مما مكنهم من تحقيق ثروات كبيرة، نتيجة لاسترجاع أراضيهم وممتلكاتهم التي صادرتها الحكومات المسيحية السابقة، كما نالوا أعلى المراكز والمناصب التي منحها لهم المسلمون من وظائف مالية وإدارية مهمة في الدولة[1].

لقد تولى اليهود مناصب إدارية مهمة في الأندلس في عصر الإمارة والخلافة، وهذا ما سنوضح في المباحث اللاحقة وبشكل مفصل، أثناء الحديث عن أبرز الشخصيات اليهودية في هذا المضمار. أما فيما يتعلق في الحقبة التي أعقبت سقوط الخلافة، وقيام دويلات الطوائف في الأندلس، وظهرت العديد من الشخصيات الإدارية والعديد من الدول المستقلة، التي جمعها قاسم التناحر والتقاتل فيما بينها، الأمر الذي أدى إلى استخدام عناصر غير عربية كان اليهود أحدها، ليس في مجال الإدارة فحسب، بل في جميع المجالات، إذ تمكنوا من النفاذ إلى مفاصل الدولة المهمة في كيانات دول الطوائف، الذين تغافلوا عن حقوق الأمة والوطن، من أجل تحقيق مصالحهم الشخصية ومآربهم السياسية[2].

لقد ازداد الضعف الذي دب في جسم الدولة العربية الإسلامية في الأندلس أثناء عصر ملوك الطوائف، فعظمت شوكة اليهود بعد المكاسب الكبيرة التي حققوها، والمناصب التي تولوها، لاسيما بعد أن أخذ ملوك الطوائف يعتمدون عليهم بشكل كبير، فبدؤوا بالإساءة إلى العرب المسلمين، وقد ساقت المصادر الإسلامية العديد من الأمثلة على ذلك، كتولية إسماعيل بن النغريله وولده من بعده وزراء من قبل باديس بن حبوس ملك غرناطة[3]، وسيتم التفصيل في ذلك أثناء الحديث عن هذه الشخصية.

عندما تعاظم خطر الممالك الإسبانية التي بدأت بمهاجمة مناطق النفوذ الإسلامي في الأندلس، حتى عاد اليهود إلى طبعهم الماكر الغادر القائم على تفضيل المصلحة الخاصة على الالتزام بالعهود والمواثيق، فقدموا العون للإسبان، وساندوهم في إنهاء الحكم الإسلامي في الأندلس، كما فعلوا عندما قدموا الولاء للمسلمين عند الفتح متناسين افضال العرب المسلمين وما منحوه لهم من حقوق من

---

(1) درويش، أسرار اليهود المتنصرين، ص 14.

(2) زيود، اليهود في الأندلس والمغرب: ع57-58 / ص 169.

(3) المرجع نفسه: ع57-58 / ص 170.

جهة، والاضطهادات التي ارتكبها بحقهم المسيحيين من قبل من جهة أخرى، فاستخدمهم الإسبان كدرعٍ حامٍ أمام غارات المسلمين، فضلاً عن استغلال جهودهم في استثمار الأراضي المستعادة من حكم المسلمين من خلال توطينهم فيها، وما أن وطدت الممالك المسيحية حكمها في الأندلس حتى عادت إلى استخدام سياسة الاضطهاد تجاه اليهود من جديد[1].

رابعاً: أبرز الشخصيات اليهودية على صعيد الادارة في الأندلس

لقد سبق وأن تحدثنا عن اعتماد السلطات الإسلامية في الأندلس على رجال من اليهود في عملية جمع الجزية من أبناء جلدتهم، كما تم استخدامهم في مهام إدارية مختلفة، لاسيما في عصر الخلافة، وبرز عدد آخر منهم، ممن كان لهم دور كبير على الصعيد السياسي والاقتصادي والعلمي، مما أسهم في انتعاش آمال اليهود وزاد من مكانتهم المجتمعية على مختلف الجوانب، نتيجة لدعمهم من لدن هذه الشخصيات.

1ـ الطبيب حسداي بن شبروط

يعد طبيب الخلافة حسداي بن شبروط، الذي برز في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث (300-350هـ/912-961م) في قرطبة من أشهر هذه الشخصيات اليهودية، إذ كان بارعًا في مجال اختراع الأدوية وتركيبها[2]، فكان الخليفة يستشيره في أمور الدولة والتجارة، ونتيجة لمهارته في مختلف المجالات، أصبح محل ثقة الخليفة عبد الرحمن الثالث[3]، فأوكل إليه إدارة الأمور المالية لدولته، والإشراف على جباية الأموال الواردة عن الضرائب المفروضة على البضائع الأجنبية التي تأتي بها السفن إلى الأندلس، إذ إنها كانت تشكل من أهم المصادر المالية للدولة[4]، رغم أهمية المهمة التي أوكلها إليه الخليفة، والمهارة التي أثبتها من خلال تأدية مهامه بجدارة كبيرة، لم يمنح أي لقب رسمي كالوزارة وغيرها، وعلى ما يبدو فإن عبد الرحمن الثالث هدف من ذلك إلى عدم تعريض حكومته لأي انتقاد أو معارضة من قبل رعيته سواء من العامة أو الخاصة، لاسيما الفقهاء والعلماء[5].

---

(1) درويش، أسرار اليهود المتنصرين، ص 15.

(2) سليمان بن حسان بن جلجل، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، المعهد الفرنسي (القاهرة: 1955م)، ص23؛ ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء: ج3/ ص494.

(3) درويش، أسرار اليهود المتنصرين، ص 12؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص23.

(4) هشام ابو رميلة، نظم الحكم في عصر الخلافة الاموية في الأندلس، د.م. (د.م.: 1980م)، ص140.

(5) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 23؛ 182.

إلى جانب الأعمال التي قام بها حسداي كطبيب للخلافة من جانب، والإشراف على رئاسة أموال الواردات من ناحية أخرى، أوكل إليه الخليفة عبد الرحمن الثالث مهمة القيام ببعض السفارات الدبلوماسية إلى القوى المعاصرة، لاسيما الممالك الإسبانية، وذلك لإتقانه اللغة اللاتينية كما أشرنا آنفًا، كما حدث في سنة 328هـ/939م عندما أوفده الخليفة إلى صاحب برشلونة لعقد الصلح معه والاتفاق على بنوده، كما أنه دعى ملوك الإسبان إلى طاعة عبد الرحمن الثالث، فأجابه بعضهم إلى ذلك[1]، كما أرسله في السنة ذاتها إلى جليقة لعقد الصلح مع ملكها رذمير (318-340هـ/930 -951م)، من أجل إطلاق الأمير التجيبي المأسور لدى الإسبان، فنجح في القيام بمهمته على أتم وجه[2]، كما أنه كان ضمن الوفد الذي أرسله الخليفة الناصر في سنة 345هـ/956م، لإتمام عقد الصلح الذي طلبه الملك أوردونيو الثالث ملك ليون[3]، وكذلك الحال في سنة 347هـ/959م، إذ أرسله الناصر لتبليغ شروطه لملك ليون الجديد، فبقي عنده في بلاط ليون، ولم يقتصر على دوره على هذه بل عالج هذا الملك من المرض الذي كان يعاني منه[4].

انتعشت آمال اليهود في الأندلس بما حققه حسداي من مكانة كبيرة في بلاط الخلافة الأموية، نتيجة للمهام التي نجح بالقيام فيها، بفضل إتقانه لعدة لغات كاللاتينية العربية والإسبانية والعبرية والإغريقية[5]، وقد أبدى حسداي اهتمامًا كبيرًا بأحوال اليهود ليس في الأندلس فقط، بل وصل هذا الاهتمام إلى متابعة أحوال اليهود في خارجها والاهتمام بشؤونهم الخاصة، وحل مشكلاتهم مع السلطات الحاكمة في البلاد التي يعيشون فيها[6]، ومما يدل على ما أشرنا إليه قيام يهود العراق بمراسلته لعدة مرات يستغيثون به لتقديم المساعدات المالية لهم، وإعانتهم على نفقات مدارسهم، التي كانت تمثل أهم مراكزهم الدينية والثقافية في العراق وجميع يهود البلدان الأخرى آنذاك، لاسيما بعد انقطاع المؤنات والأموال التي كانت تصلهم من يهود البلاد الأخرى، ونتيجة لما قدمه من دعم لهذه المدارس، فقد تم تكريمه من قبل أحبار اليهود في العراق بلقب (ريش كالا) أي رأس العرش، وهو من الألقاب التي لا يتم منحها إلا لذوي الشأن والفضل الكبير[7].

---

(1) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 183-184.

(2) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: ف. كورنيطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة (مدريد: 1979م): ج5 / ص454، 467.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب:ج2/ص221.

(4) ابن خلدون، العبر: ج4/ص143.

(5) الكواتي، اليهود في المغرب، 207؛ الخالدي،اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص187.

(6) للمزيد من التفاصيل ينظر: الخالدي، المرجع نفسه، ص 188-190.

(7) الخالدي، المصدر نفسه، ص 190-191.

في الحقيقة إن المهام التي قام بها حسداي في خدمة الخلافة حققت له مكانة كبيرة وجعلته محط ثقتها، مما سهل عليه القيام بكل ما قام به، لاسيما تقديم الخدمات لأبناء جلدته من اليهود الذين طمعوا في تحقيق المزيد من المكاسب، وهذا ما حدث بالفعل، فبعد النجاحات التي المهمة والمناصب التي تبوأها حسداي بن شبروط صار شخصية مهمة ذات شأن كبير مستغلاً نفوذه الذي مكنه من أن يجهر بيهوديته في الأندلس، وظل محتفظًا بلقبه العبري (ناسي) أي الأمير، وهذا اللقب يدل على وظيفة اجتماعية رسمية تهتم بوضع اليهود وشؤونهم في البلاد، لذلك استغل مكانته المتنفذة في رعاية المجتمع اليهودي في الأندلس[1].

لم ينته دور حسداي بوفاة الخليفة الناصر في سنة 350هـ/961م، بل بقيت الخلافة في عهد ولده المستنصر (350-360هـ/961-971م) تعتمد عليه للقيام بالمهام التي أوكلت إليه سابقًا، لاسيما الدبلوماسية منها، واستمر في ذلك حتى وفاته في نهاية عهد المستنصر[2].

2ـ الوزير إسماعيل بن النغريله

هو الوزير صموئيل اللاوي بن يوسف بن النغريله المعروف بـ(شموئيل)، وعرفه العرب بـإسماعيل بن يوسف بن النغريله[3]، ويعد من أبرز الشخصيات اليهودية التي عملت واشتهرت في مجال السياسة في الأندلس في عصر الطوائف، ولد في قرطبة سنة 383هـ/993م، ودرس التلمود على يد الحبر خنوخ بن موسى، كما اهتم بدراسة الأدب العبري العربي وبرع فيهما بشكل كبير، فنظم كثير من الأشعار في كلا اللغتين[4]، كما درس الفلك والهندسة والمنطق، وقد كان لتعلمه وثقافته دورٌ كبيرٌ في وصوله إلى ما وصل اليه من مكانة كبيرة في غرناطة، فعندما كان يعمل صبيًا في دكان صغير لبيع التوابل طلبت منه إحدى الجواري منه أن يكتب لها رسالة إلى حبوس بن زيري أمير غرناطة (410-429هـ/1019-1037م)[5]، في حين أشارت روايات أخرى

---

(1) سعدون، التسامح الاسلامي: مج40/ ج1/ ص130.

(2) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء: ج3 /ص 498.

(3) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 39.

(4) سعدون، التسامح الاسلامي:مج40/ج1/ص131.

(5) أبو أحمد بن أحمد بن سعيد بن حزم، رسائل بن حزم، تحقيق: إحسان عباس ط2، الموسسة العربية للدراسات والنشر (د.م: 1987م): ج2/ص 9.

إلى أن من طلب منه كتابة الرسالة، هو مولى أبي القاسم بن العارف والي ملقا[1]، وعندما وصلت الرسالة بين يديه أعجب الوزير بخطها الجميل وأسلوبها الراقي فأرسل في طلبه وعرض عليه أن يعمل مساعدًا له في خدمة الأمير حبوس، فوافق إسماعيل على طلبه لتبدأ حياته العملية في مجال السياسة وخدمة بني زيري، وحاز على إعجاب ابن حبوس كثيرًا، لما امتاز به من أمانة ودقة في العمل وتفانٍ في الخدمة، فأوكل إليه جباية الأموال، ومنحه صلاحية تعيين الموظفين للعمل تحت يديه، فحصل على مكانة كبيرة في بلاط غرناطة، لاسيما بعد وفاة الوزير أبي العباس وتولي ولده الأكبر، وفي ذات الوقت تم تعيين إسماعيل بن نغريلة وزيرًا للمالية من قبل الأمير باديس، ليكون أول ذمي يتولى الوزارة في الأندلس في العصر الإسلامي بشكل رسمي[2]، ليس ذلك فحسب بل ولاه الأمير باديس الأمور المتعلقة بالجيش، فقاد ابن نغريله عدة حملات ضد أعداء غرناطة[3].

لقب إسماعيل بـ (الناغيد) وهي تعني الزعيم باللغة العبرية[4]، وذلك لما احتل من مكانة كبيرة في الأساط اليهودية الأندلسية، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على التسامح الإسلامي مع اليهود في الأندلس، وعلى الرغم من ذلك لم يتردد عن القيام بما يسيء للمسلمين مستغلاً المكانة التي تمتع بها من جهة[5]، والتسامح من جهة أخرى، فجاهر في الطعن بالإسلام ومقدساته[6]، واضطهد فقهاء المسلمين، مما اضطرهم على مغادرة كثير منهم لغرناطة هربًا بدينهم[7]، كما أنه أخذ بتقليد الأمراء في اجتذاب الشعراء، وكون لنفسه حاشية جمع فيها عددًا كبيرًا من الشعراء، كان من بينهم نفر من شعراء المسلمين، منهم عبد العزيز بن ذخيرة المعروف بالمنفتل[8].

---

(1) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 39.

(2) ابن حزم، رسائل بن حزم: ج2/ص 9.

(3) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 40.

(4) الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ق3/مج1/ص767.

(5) زيود، اليهود في الأندلس والمغرب: ع57-58 / ص 168.

(6) الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ق3/مج1/ص766؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب: ج2/ ص114-115.

(7) ابن سعيد، المصدر نفسه: ج2/ص133.

(8) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 41.

إن السمعة الكبيرة والمكانة السياسية التي حققها إسماعيل لم تكن على مستوى غرناطة فقط، بل تعدتها إلى خارج نطاق الأندلس، ومات في سنة 448هـ/1056م، إثر مرض شديد ألم به[9]، فحزن اليهود لموته كثيراً، لأن ذلك شكل خسارة كبيرة لهم، على الرغم من تولي ولده يوسف الذي أعده ليحل محله، إلا أنه تمادى كثيراً في تصرفاته المشينة، التي لم تقتصر على المسلمين فقط، بل تعدته إلى أبناء جلدته من اليهود، مما أدى إلى مقتله على يد المسلمين، الذين ثاروا عليه لسوء تصرفاته[10].

خامساً: دور اليهود في الحركة العلمية في الأندلس

ومع أن الأندلس انفصلت عن الخلافة العباسية منذ سنة (138هـ/755م) إلا أن مدارس اليهود فيها كانت تتبع مدرستا (سورا وفومباديتا) لمدة طويلة في العراق، فقد كان يهود الأندلس يقصدونها لإتمام دراستهم الدينية، وإليهما ترسل استفساراتهم الدينية، وحينما وضع الجاؤون عمران الأندلسي أساس القداس اليهودي وتعاليم الصلاة أرسل بذلك إليهم، ولم تنفصل الأندلس دينيًا عن بغداد إلا في أواخر القرن (5هـ/11م)[11].

بقي اليهود يتمتعون بحرية دينية في ممارسة حياتهم الدينية طيلة العصر العباسي باستثناء بعض الأوقات التي مرت بها الخلافة في العصر البويهي والسلجوقي، حيث تعرضت مدارسهم الدينية في بغداد والأنبار التي مثلت المرجع الديني لجميع اليهود في مختلف أصقاع الدولة لأضرار كبيرة حالها حال مفاصل الدولة الاخرى، فهي لم تستثنِ مسلمًا أو ذميًا، فأغلق اليهود مدارسهم الكبرى بسبب قلة الواردات المالية التي تدعم نشاطاتها، ولاسيما في عهد الخليفة القادر بالله (381-422هـ/991-1030م)، وأدى إلى انتقال مركز اليهود العلمي والثقافي إلى الأندلس[12].

عندما انتقل مركز اليهود الديني والثقافي إلى الأندلس خلال عصر الخلافة، كان اليهود قد حصلوا فيها على حرية تامة في دراسة جميع العلوم وتعلمها، فشاركوا في الحركة العلمية والفكرية في الأندلس بشكل كبير، فركزوا الاهتمام على تعليم أبنائهم الصغار، فاتخذوا من بيعهم مدارسًا لتعليمهم، وتعهدت الطائفة اليهودية بالانفاق على عملية تعليمهم من حيث الإنفاق على التلاميذ

(9) المصدر نفسه: ج2/ص115.

(10) ابن حزم، رسائل ابن حزم: ج2/ص8؛ الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ق3/مج1/769.

(11) مصطفى، المدن في الإسلام، ج2، ص329-336.

(12) التطيلي، رحلة بنيامين، ص199-200.

أو على مدرسيهم، فضلاً عن توفير مستلزمات الدراسة لهم من ورق ومحابر وغيرها، ولم يقتصر الأمر على أبناء الأثرياء القادرين على دفع أجور التعليم بل تعداه إلى أبناء العامة منهم[1]، ثم ينتقلون بعدها وهم في سن العاشرة من العمر إلى تعليمهم الشريعة الشفوية لهم، فضلاً عن تدريسهم للغتين العبرية والعربيـــة من خلال تعليمهم للأشـــعار اليهودية، وكان

سبب اهتمامهم بدراسة اللغة العربية إلى جانب العبرية من الأمور المهمة بالنسبة لليهود، وذلك كونها تمثل لغة الحضارة والثقافة الإسلامية في بلاد الأندلس، وبعدها تأتي دارسة التلمود وتعلمه، وهي مختصة بالطبقة عالية الثقافة لأنها من الأمور المهمة والدقيقة بالنسبة لليهود وشريعتهم، ويكون تعليمها لمن يبلغ سن الثالثة عشر، وتستمر لثلاث سنوات، ثم ينقل بعدها إلى دراسة الأمور الفقهية الأكثر تعقيدًا، مما زاد في ثقافتهم الدينية بشكل كبير[2].

لم يقتصر دور اليهود على الاهتمام بالجانب الديني والثقافي، بل دخلوا في ميدان العلوم اللسانية العقلية أيضًا من أجل تعلمها، فعلى صعيد اللغة والأدب والفكر بدأت اهتماماتهم تظهر بشكل كبير، فكان للشخصيات اليهودية البارزة ذات النفوذ السياسي والديني دورها في تشجيعهم ودعمهم في هذا المضمار، ليبرز أثرهم في مضمار الحضارة العربية الإسلامية، وكان من ابرزهم حسداي اليهودي، الذي استغل علاقته بالخلفاء الأُمويين ورجال البلاط في الأندلس كما ذكرنا آنفاً، إذ أصبح من كبار رجال الطائفة اليهودية فيها، فعمل جاهدًا على توظيف كل ما حصل عليه من أموال وجاه في خدمة الثقافة اليهودية، مقلدًا بذلك الخلفاء والأمراء المسلمين في دعوتهم للشعراء والعلماء، واستقبالهم في البلاط والإسراف في إنفاق الاموال عليهم، مما أسهم في نمو وتطور الثقافة اليهودية كثيرًا، فأطلق عليها العصر الذهبي للثقافة اليهودية[3]، إذ حوت مكتبته على عدد كبير من الكتب العبرية، كما أنشأ مدرسة خاصة للدراسات العبرية، كما أكرمه عبد الرحمن بأن عينه حاخامًا أكبر ليهود الأندلس، فكان يقصده شعراء اليهود وأدباؤهم لمدحه[4]، كما كان شغوفًا باقتناء الكتب المختصة بمختلف أنواع العلوم والفنون، فأنفق الكثير من الأموال على شرائها، منافسًا بذلك أمراء المسلمين[5].

---

(1) الكواتي، اليهود في المغرب، ص 157.

(2) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص387 -388.

(3) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء: ج3/ص 498؛ الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 192.

(4) درويش، أسرار اليهود المتنصرين، ص 12.

(5) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 23-24.

لم يقتصر الأمر في الأندلس على حسداي اليهودي في دعم الحركة العلمية، بل برزت شخصيات يهودية أخرى كان لها دورها المؤثر في هذا المجال، ومنهم إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي الذي مارس عدة مهام دبلوماسية في خدمة الخلافة، فضلاً عن قيامه برحلات علمية كان أحداها الرحلة التي كلفه بها الخليفة المستنصر في سنة 362هـ/972 م إلى وسط أوربا وشرقيها لدراسة أحوال البلاد وسكانها، فتكللت هذه المهمة بنجاح كبيرة[1]، إذ جمع معلومات مفصلة قيمة عن تلك والبلاد وسكانها وحكوماتها، وهذا ما أكدته المصادر التاريخية التي تخصصت بدراسة تاريخ تلك البلاد كالبكري وابن العذري وغيرهما[2].

لقد برز الكثير من اليهود ممن اهتموا بدراسة اللغة العربية وآدابها، لأنهم أدركوا أن اللغة العربية هي الطريق إلى وظائف الدولة، والسبيل إلى التقرب إلى الحكام[3]، وكان إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي من الشخصيات اليهودية البارزة، إذ تلقى تعليمه على أيدي العديد من أساتذة اللغة العربية، فأصبح شاعرًا أجاد في الكثير من الأشعار العربية، فضلاً عن يهود آخرين ممن كانوا يدرسون اللغة العربية إلى جانب الطلاب المسلمين في حلقاتهم الدراسية[4]، وكان من بين أبرز شعراء اليهود الذين أسهموا في النهضة الأدبية والعلمية في الأندلس في القرن الرابع والخامس الهجري / العاشر والحادي عشر الميلادي إبراهيم بن نغدله[5]، وسليمان بن جابيرول المالقي الذي ولد يتيمًا ومن رحم أسرة يهودية قرطبية فقيرة[6].

أما في القرن السادس الهجري/الثالث عشر الميلادي، فكان موسى بن عزرا أبرز شعراء اللغة العبرية في هذا القرن من اليهود[7]، يهوذا بن صاموئيل اللاوي الذي ترك ثروة أدبية كبيرة في المجال الديني والفلسفي والأدبي، كما تمت ترجمة كتاب كليلة ودمنة إلى العبرية على يد يهودي يدعى

---

(1) الكواتي، اليهود في المغرب، ص 208.

(2) ابو عبيد عبدالله عبد العزيز، المسالك والممالك، الجزء المختص بالأندلس، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، دار الارشاد (بيروت: 1968م)، ص 178؛ ترصيع الاخبار، ص7.

(3) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص22.

(4) المقري، نفح الطيب: ج2/ص307.

(5) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 46.

(6) للمزيد من التفاصيل ينظر: الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص20-23.

(7) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 68.

عليزار بن يعقوب[1]، هذا ما يتعلق بدورهم في مجال النهضة الأدبية والفكرية في الأندلس في العصور الإسلامية.

كما كانت الفلسفة واحدة من العلوم التي اهتم بها اليهود في الأندلس نتيجة تأثرهم بالفلسفة الإسلامية التي نشط علمائها، وذلك على الرغم من عدم وجود جذور لهذا الاهتمام في العصور السابقة للإسلام، فقد انتعشت الفلسفة اليهودية في العصور الإسلامية الوسطى، فكان سليمان بن جابيرول الذي أسلفنا ذكره، أول وأبرز من عمل في مجال الفلسفة، فصنف كتابًا فلسفيًا أسماه (ينبوع الحياة) الذي تحدث فيه عن الصورة والمادة والوجود[2]، وتمت ترجمة هذا الكتاب إلى كل مـن اللغتين العربيـة واللاتينيـة [3]، ويعد يحيى بن يوسـف بن باقودا السرقسطي من أشهر الفلاسفة اليهود في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، إذ صنف كتابًا في الفلسفة أسماه (الهداية إلى فرائض القلوب)[4]، ويعد يهوذا اللاوي الأنف الذكر من أشهر فلاسفة اليهود في الأندلس، وصنف كتابًا فلسفيًا مهمًا باللغة العربية أسماه (كتاب الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل)، فتمت ترجمته إلى اللغة العبرية فيما بعد، وقد دافع خلاله عن الدين اليهودي متصديا فيه لجميع محاولات الفلاسفة لربط الدين بالفلسفة، فضلاً عن فلاسفة آخرين كإبراهيم بن داود وموسى بن ميمون[5].

أما على صعيد العلوم الصرفة، فقد برع اليهود فيها بشكل كبير، لاسيما الطب في عصر الخلافة، إذ درسوا الطب وتعلموه على أيدي الأطباء العرب المسلمين في الأندلس، وقد تعلموه من أجل التكسب للتقرب من الأمراء والخلفاء، وأكثروا من التأليف في مجال الطب[6] وكان حسداي بن شبروط أشهر من برز في هذا المجال، وله دور كبير في اكتشاف الكثير من الأدوية التي استفاد منها المجتمع الأندلسي آنذاك، كما برع في مجال الترجمة للكتب الطبية ويرجع ذلك إلى إتقانه للغة اللاتينية، ومن الكتب المهمة التي قام بترجمتها الكتاب الإغريقي المتخصص بالطب،

---

(1) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 75.

(2) علي سامي النشار وآخر، الفكر اليهودي وتأثيره بالفلسفة الإسلامية، منشأة المعارف (الاسكندرية: 1972م)، ص 4.

(3) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 72.

(4) الكواتي، اليهود في المغرب، ص 175.

(5) الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص448-449.

(6) المرجع نفسه، ص452.

والذي قُدِّمَ هدية للخليفة عبد الرحمن الثالث من لدن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع (334-348هـ/945-959م)، فكان أساسًا لتطور العلوم الطبية في الأندلس[1]، فضلاً عن ظهور عدد من الأطباء اليهود الآخرين منهم وزير الخليفة عبد الرحمن الناصر وطبيبه يحيى بن إسحاق، الذي كان له باع طويل في الطب، ومصنف مختص في هذا المجال ذكرته المصادر الأندلسية[2]، كذلك الطيب اسحاق بن قسطار، وابن بكلارش الطبيب الخاص لبني هود، الذي صنف كتابًا في الأدوية أسماه (المجدولة)، والفضل بن حسداي[3]، كما اشتهر من بين علماء الغرناطي اليهود صموئيل بن ناجديلا، وإبراهيم بن عزرا الطليطلي، وشلومو بن جبيرول[4].

اهتم أطباء اليهود في الأندلس بشكل كبير في مجال تأليف الكتب المختصة بالطب والصيدلة خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، فكان لهذه الكتب دور كبير في تقدم الطب الأندلسي وتطوره، ومن أشهر هذه المؤلفات كتاب (التلخيص) للطبيب مروان بن

جناح، الذي خصصه في الأدوية وكيفية صناعتها ومقادير المواد المستخدمة في صناعة كل دواء[5]، كما كان لكتاب (المختصر) لموسى بن ميمون الذي لخص خلاله مقالات جالينوس وكتاب (شرح أسماء العقار)، إلا أن أشهر كتبه في مجال الطب كتاب (فصول موسى) الذي تحدثنا عنه سابقًا[6].

---

(1) ابن جلجل، طبقات الاطباء والحكماء، ص 23؛ الكواتي، اليهود في المغرب، ص 207.

(2) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء: ج3/ ص 488 -489، 501.

(3) المصدر نفسه، ص 488.

(4) درويش، أسرار اليهود المتنصرين، ص 12.

(5) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء: ج3/ص 498.

(6) للمزيد من التفاصيل ينظر: الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 454-455.

الفصل

8

الصهيونية والوطن القومي لليهود في العصر العثماني

- المبحث الأول : اليهود والسياسة العثمانية
- المبحث الثاني : الصهيونية ماهيتها وأهدافها
- المبحث الثالث:التحركات الصهيونية قامة وطن قومي لليهود في فلسطين

الفصل

8

الصهيونية والوطن القومي لليهود في العصر العثماني

لقد تطرقنا في الفصول السابقة وبشكل مفصل لتاريخ اليهود المبكر وصولاً إلى العصر الحديث، لاسيما العصور الإسلامية، فضلاً عن أهم الفرق والمذاهب التي انقسموا اليها والمسميات التي أطلقت عليهم عبر هذا التاريخ الطويل، وبما أن اليهود والصهيونية وجهان لعملة واحدة، لابد من تناول الصهيونية من حيث ماهيتها ونشوئِها في مبحث مستقل، وسنبدأ الحديث في تناول كيفية وصول اليهود إلى الدولة العثمانية وأوضاعهم فيها قبيل ظهور الصهيونية.

المبحث الأول: اليهود والسياسة العثمانية

أولاً: أوضاع اليهود في الدولة العثمانية قبيل ظهور الصهيونية

بعد سقوط الأندلس في يد الإسبان ازدادت الممارسات الانتقامية ضد اليهود وبشتى أنواع البطش والقسوة، مما أدى إلى هجرة أعداد كبيرة منهم إلى الأراضي الخاضعة للدولة العثمانية في المشرق، فأخذت هذه الأعداد بالتزايد نتيجة لسماح العثمانيين لهم بالاستقرار فيها، وكانت هذه هي المرة الأولى التي أصبحت فيها الدولة العثمانية منذ قيامها وجهًا لوجه مع الجماعات اليهودية، وكجزء من التسامح الاسلامي سمحت لهم بحرية ممارسة طقوسهم الدينية، فأنشأ اليهود معبد بورصة بعد أن حصلوا على إذن من السلطان العثماني، وعندما انتقلت العاصمة العثمانية من مدينة بورصة إلى أدرنة، أصبح جميع اليهود في هذه المدينة والمناطق المجاورة لها تحت حماية العثمانيين، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أخذ اليهود بالهجرة إلى أدرنة والاستيطان فيها، للعيش في كنف العثمانيين والتمتع بسماحتهم، وما أن تمكن السلطان محمد الفاتح من دخول مدينة إسطنبول، حتى قام اليهود بالدخول إليها والعيش فيها، إن التسامح الإسلامي في العصر العثماني مع اليهود، ووصول أخبار التعامل الحسن إلى اليهود المضطهدين في البلاد المجاورة، شجعهم على الهجرة إلى أراضي الدولة العثمانية على عدة موجات[1]، وكانت هجرة سنة 898

(1) ستانفورد ج شو، يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، ترجمة: الصفصافي أحمد القطوري، دار البشير للثقافة والعلوم (مصر: 2015م)، ص 16.

هـ/1492م من أشهر هذه الهجرات، إذ انطلق هؤلاء اليهود مهاجرين من الأندلس كما أسلفنا، ومن ثم هجرة 902هـ/1496م من البرتغال، وذلك بعد أن أصدرت محاكم التفتيش الإسبانية أمرًا بطرد المسلمين واليهود ونفيهم من أسبانيا، وبعد نجاة اليهود من الحرق بالأفران، أخذوا بالفرار إلى الدولة العثمانية على شكل تجمعات ومن جميع الدول الأوربية، وليس إسبانيا فقط[1].

لا يمكن نكران دور السلطان بايزيد الثاني(886هـ - 918هـ/1481-1512م) في إنقاذ يهود جزيرة إيبريا من الإفناء الكامل في أفران محاكم التفتيش الإسبانية المسيحية، حيث كلف القبطان كمال رئيس بالتوجه بالأسطول العثماني في سنة 898هـ/1492م في محاولة لإنقاذ المسلمين واليهود في الأندلس على الرغم من الخلاف الذي كان بينه وبين سلطنة المماليك في مصر والشام، فإذا كانت هذه القوة لم تتمكن إنقاذ غرناطة من السقوط بيد الإسبان، إلا أنها نجحت في إنقاذ أكثر من ثلاثمئة ألف يهودي من الذين تركوا منازلهم، وهاموا على وجوهم إلى المغرب والجزائر فرارًا من محاكم التفتيش الإسبانية، بعد أن وجهت ثلاثة وعشرين هجومًا ضد الإسبان. أما اليهود الثلاثمئة ألف، فقد خيروا من قبل الإسبان بين الموت أو التحول إلى المسيحية، وذلك بعد مقتل قرابة المليون مسلم، كما نقلت هذه السفن العديد من اليهود إلى الموانئ العربية والعثمانية جنبًا إلى جنب مع المسلمين الذين كانوا معرضين للمذابح، وأسكنتهم في أماكن آمنة كسلانيك وأدنة وأزمير ومصر والشام وفلسطين وفي موانئ المغرب وتونس والجزائر، كل ذلك استنادًا إلى عقد الذمة المعترف به في الشريعة الإسلامية [2].

وصف الشاعر التركي نامق كمال مأساة سقوط الأندلس قائلاً: ((قام الإسبان بعد استيلائهم على غرناطة بحرق الأهالي الذين لم يبدلوا دينهم، بينما عندما فتحنا إستانبول أعطينا ووهبنا الحرية الدينية لجميع الطوائف والأديان... في العام نفسه وصل الإسبان بواسطة كولومبس إلى أمريكا، وكان انتصارهم في الأندلس قد أسكرهم، لذا قاموا بقتل ما يقارب من مليون من الأهالي)) [3].

إن التسامح العثماني تجاه اليهود المبعدين من الأندلس، شجع اليهود في جميع أنحاء أوربا وروسيا القيصرية والخزر على الهجرة إلى أراضي الدولة العثمانية، وهناك العديد من الرسائل

---

(1) صالح زهر الدين، سياسة الحكومة العثمانية في أرمينيا الغربية وموقف القوى الدولية منها، دار الندوة الجديدة (بيروت: 1996م)، ص 151.

(2) شو، يهود الدولة العثمانية، ص17.

(3) أحمد آق كوندوس وآخر، الدولة العثمانية المجهولة، وقف الخيرات العثمانية(استانبول:2008م)،ص 203.

التي تعود إلى القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي وما قبله، والتي أرسل بها يهود الأندلس وفرنسا وإيطاليا إلى يهود الدولة العثمانية، يسألون عن كل ما يعن لهم عن حياة اليهود، وكانت هذه الرسائل وما يتلقونه من أجوبة عن تساؤلاتهم من أهم ما دفع يهود الدول المجاورة بالهجرة إلى الأراضي العثمانية، وقد تمتعوا فيها بامتيازات ومناصب عليا جعلت غيرهم من أهل الذمة، لاسيما الروم يحقدون عليهم، ويتنافسون معهم، ويكيدون لهم المكائد، ولم تتدخل الدولة العثمانية في حياتهم الاجتماعية والدينية، فضلاً عن التعليم، بل تركت ذلك لزعمائهم الدينيين والدنيويين، وقد أفسح هذا المجال الساحة لمن راودتهم أنفسهم ليخرجوا على الدولة ويدعون مثل سبتاي سيفي، الذي ادعى النبوة في أزمير، وادعى ظهور المسيح في سنة 1058هـ/1648م، اعتمادًا على حساب الجمل في بعض آيات التوراة[1].

ترك سبتاي أزمير وتوجه إلى استانبول في سنة 1060هـ/1650م، وتحت ضغوط من الحاخام الأعظم سافر إلى سلانيك، ومن ثمة توجه إلى آتينا، وهناك تزوج بامرأة تدعى سارة فادعت النبوة أيضًا، ثم رتب أموره بالسفر إلى فلسطين في سنة 1074هـ/1663م، إلا أنه لم يلبث أن غير خططه، وتوجه إلى القاهرة، حيث نال عطف ورعاية الثري اليهودي رفائيل يوسف جلبي، ومنها توجه إلى فلسطين، وبينما هو في طريقة إليها أثناء مروره في غزة أعلن نبوته، وما أن دخل فلسطين حتى التف حوله الكثير من اليهود الذين فيها، ونال شهرة كبيرة دفعته إلى العودة لمسقط رأسه، وحاول هناك أن ينشر دعوته ومبادئها وتقاليدها وعاداتها، فتم إلقاء القبض عليه ومحاكمته، فأعلن توبته، ودخل في الإسلام، وطلب السماح له بالتوجه إلى استانبول، فروج لدعوته وحاول نشرها هناك، فصدر بحقه أمرٌ بالإعدام، إلا أنه أعلن توبته للمرة الثانية أمام السلطان محمد الرابع(1058-1099هـ/1648-1687م) ومصطفى باشا قائمقام الصدر الأعظم، وشيخ الإسلام يحيى أفندي منقاري زاده في قصر أدرنه، وعين بوابًا للقصر براتب 150 آقجة، بعد أن استنطق بالشهادة، وأرسل خطابًا لحاخام غزة يشرح فيه سبب

تركه لليهودية واعتناق الإسلام، وقال أنه سيعود مرة أخرى لينقذ العالم، فأطلق عليه اسم (دونمة) أي (العائد)، ومن ثم أطلق على أشياعه اسم (الدونمة لر) أي المرتدين، وتعيش هذه الطائفة إلى يومنا هذا في تركيا، وتحت أسماء إسلامية تركية ظاهريًا، ولكنهم يهود في الخفاء وهم يعيشون التقاليد الصَبَطَائية، وهذه الطائفة هم من يسيطر على الاقتصاد والإعلام، فوجهوا الإهانة

(1) شو، يهود الدولة العثمانية، ص17.

تلو الأخرى للدولة العثمانية، لاسيما الأتراك أثناء صراعهم مع الروس ومسيحيي شبه جزيرة البلقان أثناء حروبهم مع الدولة العثمانية[1].

واستمرت أحوال اليهود على ما هي عليه حتى نهاية العصر العثماني، عندما آل الحكم إلى السلطان عبد الحميد الثاني (1293 - 1338 هـ/ 1876 - 1919 م)، كان المد الماسوني والتحركات الصهيونية في داخل الدولة العثمانية على أوجه، إلا أن السلطان عبد الحميد تمكن من التصدي لها وإيقاف الأطماع الاستعمارية في العالم الإسلامي، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في المبحث اللاحق.

ثانياً: تصدي السلطان عبد الحميد للصهيونية

بعد أن تولى السلطان عبد الحميد الثاني الحكم في الدولة العثمانية، أدرك خطورة التوجه الصهيوني نحو فلسطين، ولهذا أبدى اهتمامًا كبيرًا بالولايات العربية عامة وفلسطين خاصة، فأخذ بمحاربة الهجرة اليهودية إليها، وكان أولها رفضه عرض حاييم غوديلا في سنة 1293هـ/1876م لشراء مساحات من الأراضي في فلسطين لإسكان اليهود المهاجرين فيها وعلى الرغم من الموقف العثماني الرافض للهجرة اليهودية، إلا أن المحاولات الصهيونية استمرت لإقناع السلطان عبد الحميد بضرورة رفع القيود عن الهجرة، والموافقة الرسمية على إنشاء المستعمرات اليهودية في فلسطين، لاسيما بعد أن شهدت موجة من المهاجرين إليها في سنة 1300 هـ / 1882 م، فقامت جمعية أحبـاء صهيون اليهودية بنشاط ملحوظ لدى السلطات العثمانية، وتقدمت في نفس السنة بطلب إلى القنصل العثماني في أوديسا للحصول على إذن بالهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها، إلا أن الحكومة العثمانية أوعزت في نيسان سنة 1300هـ/1882م إلى قنصلها برفض هذا الطلب، فضلاً عن إشعار جميع اليهود الراغبين بالهجرة إلى الدولة العثمانية، بأنه لن يسمح لهم بالاستقرار في فلسطين، غير أن هذا لا يعني السماح لهم بالهجرة إلى بقية ولايات الدولة العثمانية، والاستقرار فيها كيفما شاؤوا بل عليهم أن يصبحوا رعايا عثمانيين، وأن تطبق عليهم قوانين الدولة المعمول بها[2].

أدت بعض القوى الصهيونية دورًا كبيرًا أثناء هذه الحقبة، إذ مارست دور الوسيط لدى الحكومة العثمانية، فتوجه ممثلوها إلى استانبول، وكان أبرزهم لورنس أليفانت، الذي طلب تدخل السفير الأمريكي كوسيط، وعلى الرغم من ذلك فإن الحكومة العثمانية لم تغير موقفها

(1) المرجع نفسه، ص18.

(2) *N. Mandel. Turks. Arab and Jewish immigration into Palestine (1882-1914). No.p. (Oxford:1965). p. 80.*

من قانون الهجرة اليهودية، وأصرت على عدم التنازل عن فلسطين[1]، وعندما التقى المبعوث الأمريكي أوليفانت بالسلطان عبد الحميد أبلغه الأخير بأن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أي جزء من الأراضي العثمانية باستثناء فلسطين، وأن الدولة العثمانية ترحب بجميع المضطهدين اليهود، إلا أنها لا ترحب بإقامة مملكة يهودية على أرض فلسطين، وعلى أساس ديني عنصري[2]، فكان هذا الموقف صادمًا للمبعوث الأمريكي أوليفانت، فأخذ ينشر الإشاعات ضد السلطان، فأمر الأخير بطرده من استانبول، إلا أنه كرر المحاولة وأرسل استراوس الوزير الامريكي المفوض في أستانبول، الذي اجتمع بالسلطان عبد الحميد لإقناعه بالموافقة على هجرة اليهود إلى فلسطين، ولكن السلطان أبلغه برفضه التام، وأن لا أمل لبقاء اليهود في فلسطين وعلى الرغم من ذلك فإن الهجرة اليهودية إلى فلسطين استمرت بشكل سري يدعمها في ذلك القناصل الأوربية، لاسيما الأمريكان والروس والألمان والإنكليز، الذين أخذوا بتقديم الرشاوى للحكومة العثمانية المحلية في فلسطين، التي كان موقفها مخالفًا للموقف العثماني الرسمي المتمثل بالسلطان وحكومته [3].

بعد فشل جميع المساعي الأوربية بإقناع السلطان عبد الحميد، قرر ثيودور هرتزل السفر بنفسه إلى الإستانة للقاء السلطان عبد الحميد وعرض المساعدات المالية عليه، فوصلها في 18 حزيران سنة 1896م، واجتمع هرتزل مع كاراسو زعيم الجالية اليهودية في أزمير في السنة ذاتها، وقابلا السلطان العثماني عبد الحميد الثاني من أجل إقناعه بالمشروع الاستيطاني في فلسطين، مستغلين العجز المالي الكبير الذي كانت تعاني منه خزينة الدولة، نتيجة للأوضاع السياسية المتدهورة التي سادتها، إلا إن طلبهم قوبل بالرفض من لدن السلطان عبد الحميد، الذي أدرك بأن الصهاينة عدوها فرصة، فحاول هرتزل التسلل من خلالها للسيطرة على أرض فلسطين بأي شكل من الأشكال[4].

في الحقيقة كان رفض السلطان عبد الحميد نابعًا من كون فلسطين جزءًا من أراضي الدولة العثمانية من جهة، ومن مقدسات المسلمين، إذ يقع فيها ثاني القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من جهة أخرى.

---

(1) *Ibid. p. 80.*

(2) فرانك مانويل، بين أمريكا وفلسطين، تعريب: يوسف حنا، د.م. (عمان: 1967م)، ص25.

(3) حسان علي حلاق، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (1908-1909)، الدار الجامعية (بيروت: د.ت.)، ص 8.

(4) حلاق، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني، ص 8.

حاول هرتزل إغراء السلطان عبد الحميد بشتى الطرق، فأجرى معه عدة مفاوضات أبدى خلالها الكثير من الآراء، مستغلاً التطورات السياسية التي كانت تعيشها الولايات العثمانية آنذاك، لاسيما العربية منها بسبب تنامي المقاومة العربية فيها، كما عرض على السلطان عبد الحميد تقديم مبلغ خمسين مليون جنيه ذهبًا مساعدة له في التغلب على المصاعب المادية التي كانت تعاني منها الخزينة العثمانية، وعرض في الوقت ذاته على السلطان عبد الحميد تشكيل فرقة عسكرية يهودية للدفاع عن فلسطين، فضلاً عن تقديم الدعم العسكري للقوات العثمانية في تصديها للمقاومة العربية التي اندلعت في الشام والجزيرة العربية[1].

لم ييأس ثيودور هرتزل على الرغم من رفض السلطان عبد الحميد الثاني لمحاولاته المتكررة، واستمر في إرسال الوسطاء إليه واحد تلو الآخر من أجل حمله على التخلي عن موقفه، إلا أن السلطان كان مدركًا تمامًا لمآرب هرتزل التي يسعى لتحقيقها، فأجاب الوسطاء قائلاً:((انصحوا الدكتور هرتزل بألّا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع، إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني، بل ملك شعبي، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الارض، ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإن مزقت إمبراطوريتي فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولاً في جثثنا، فإني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة))[2].

على الرغم من العروض المغرية التي قدمها هرتزل للسلطان عبد الحميد، إلا إن موقف الأخير كان ثابتًا، وفضل الاستعانة بالقروض الأجنبية رغم سيئاتها على ذلك، من أجل عدم الخضوع للضغوطات الصهيونية، فلما وصل الخبر إلى هرتزل بإتمام العقود الخاصة بالقروض الأوربية للدولة العثمانية، قال معلقًا: ((لم أصدق الخبر في البدء، واتصلت هاتفيًا بنيولنسكي، الذي اكتفى بالتأكيد: إنه أمر سيء لنا))[3].

اتصل هرتزل بأباطرة وقياصرة أوربا عقب المؤتمر الصهيوني الأول في بازل من أجل إقناعهم بالمشروع الصهيوني في فلسطين، كما اتصل في ذات الوقت بالسلطات العثمانية، وفي 1316هـ/

(1) زهر الدين، سياسة الحكومة العثمانية، ص 151.

(2) قسطنطين خمار، الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، ط2، المكتب التجاري للطباعة والنشر (بيروت:1966م)، ص 38-39؛ ثيودور هرتزل، يوميات هرتزل، 19 حزيران، 1896م، ص378، الترجمة العربية، ص 35.

(3) ثيودور هرتزل، المرجع نفسه، 25 آب، 1896م، ص457، الترجمة العربية، ص 45.

شباط 1898م اجتمع هرتزل بالسفير العثماني، وطلب منه التوسط لإقامة المشروع الصهيوني مقابل تقديم القروض المالية، إلا أن السفير العثماني أجابه بصعوبة التنازل عن فلسطين، وردًا على ذلك ازداد السلطان عبد الحميد بالتشديد في قوانين منع الهجرة، والإقامة اليهودية في فلسطين وحددها بالزيارة والحج إلى الأماكن المقدسة بثلاثين يومًا على أن يدفع تأمينًا ماليًا، ولم يستثن حتى سفراء الدول الأوربية من ذوي الأصول اليهودية كسفير بريطانيا ولم يكن هرتزل مع مشروع الهجرة بالتسلل، لأنه كان يدرك خطر ذلك، وما ستتخذه الدولة العثمانية من إجراءات بحقهم، فرأى أنه لابد من وجود اعتراف رسمي بهذه الهجرة، أو توفر حماية دولية لليهود المهاجرين على الأقل، وجدد هرتزل المحاولة في سنة1317هـ/1899م فأرسل رسالة بهذا الشأن إلى السلطان عبد الحميد، إلا أن الأخير تجاهلها ولم يجب عليها، ومع حلول1319هـ / 1901م قام هرتزل بزيارته الثالثة للاستانة، ولكن زيارته في هذه المرة لم تكن بصفة زعيم صهيوني، وإنما كصحفي صهيوني، ولكنه حُذِرَ من طرح المشروع على السلطان عبد الحميد، كما أنه التقى بالأخير في 18 آيار من السنة ذاتها بمعية حاخام اليهود، ولكنه عاد دون أي نتيجة، وفي شباط سنة1320هـ/1902م سافر هرتزل إلى إستانبول في زيارة رابعة ولكن دون جدوى، واستمر هرتزل ينشط على الصعيد العثماني والأوربي لتحقيق المشروع الصهيوني، فتمكن من كسب التأييد الأوروبي فقط[1]، بعد أن تزعم ستة مؤتمرات صهيونية خلال الســــنوات 1315هـ / 1897 و1321هـ/1903م[2]، ولكن وفاته، أفقد الحركة الصهيونية زعيمًا نشيطًا لها، فطويت بوفاته صفحة نشطة من التحرك الصهيوني، ولم يشهد بعدها نشاطًا حتى الحقبة1323-1326هـ/1905-1908م، حيث تزعم الحركة اليهودي ماكس نوردو وحاييم وايزمن، اللذان نشطا على الصعيدين الدولي والعثماني، وفي المقابل بقي الموقف العثماني على حاله من المشروع الصهيوني، ولهذا فان مؤتمر كامبل بانرمان الاستعماري الذي عقد سنة1325هـ/1907م، إنما كان الهدف منه تفتيت الدولة العثمانية وتقويض أركانها، وذلك بالموافقة على إيجاد الدولة اليهودية في فلسطين، والعمل على تغيير الحكم العثماني، وكان التعاون الأوربي- الصهيوني يتضح تدريجيًا لتحقيق هذه المشروعات[3].

---

(1) حلاق، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني، ص 11-18.

(2) توفيق سلطان اليوزبكي وآخرون، دراسات في الوطن العربي الحركات الثورية والسياسية، ط4، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل: 1975م)، ص234-235.

(3) حلاق، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني، ص 11-18.

المبحث الثاني: الصهيونية ماهيتها وأهدافها

أولاً: التعددية لمفهوم مصطلح الصهيونية

إن الصهيونية حركة عنصرية تهدف إلى لم شمل اليهود من جميع بلدان العالم في وطن واحد، واشتق اسمها من لفظة صهيون من رابية صهيون في القدس، التي أقام أبناء عمومة الكنعانيين حصنًا عليها، ثم أطلقت هذه التسمية على منظمة أسسها يهود روسيا بعد منتصف القرن التاسع عشر، فسمي أعضاؤها باسم أحباء صهيون، وانتمى إليها معظم يهود روسيا البارزين[1]، ولمصطلح الصهيونية دلالات عديدة، وقد ظهر كل منها بشكل متتالي، وعلى الرغم من تتالي هذه الدلالات زمنيًا، فإن هذا لا يعني أن ظهور دلالة جديدة هو إلغاء للدلالة التي سبقها، بل إنها تضاف اليها، مما يزيد من اتساع الدلالة، وقد أورد المسيري هذه الدلالات في موسوعته عن اليهود واليهودية، وفصل في شرحها، ورتبها على أنواع، لذا فإننا سنوردها كما سلسلها.

1. الصهيونية الدينية

لقد أشارت كتب التراث اليهودي إلى أن تسمية (صهيون) ترجع في أصلها إلى جبل صهيون والقدس، بل إنها تتسع لتشمل كل الأرض المقدَّسة، ويُشير اليهود إلى أنفسهم باعتبارهم (أبناء صهيون)، وفي الوقت ذاته استخدم هذا المصطلح للإشارة إلى اليهود كجماعة دينية، لاسيما أن مسألة العودة إلى صهيون كانت مترسخة في الفكرة الديني اليهودي، وكان أتباع هذه العقيدة يؤمنون بأن المخلِّص سيأتي في آخر الزمان ليقود شعبه إلى صهيون، التي يعدونها (أرض المعاد)، ويتمكن من حكم العالم ويعم العدل والرخاء[2]، كما كان كلمة (صهيون) إيحاءات شعرية دينية في الوجدان الديني اليهودي على لسان جماعة بني إسرائيل بعد تهجيرهم إلى بابل: «جلسنا على ضفاف أنهار بابل وذرفنا الدمع حينما تذكرنا صهيون» [3]، كما وردت عدة إشارات في التوراة إلى ارتباط اليهود بصهيـــون، ومنـــها (حب صهيون)، وهو حب يعبِّر عن نفسه من خلال الصلاة والتجارب والطقوس الدينية المختلفة، وفي بعض الأحيـان ترد الإشارت على شكل الهجرة إلى أرض فلسطين للعيش فيها من أجل العبادة، لذلك فإن المهاجرين اليهود إلى فلسطين يستقرون فيها ولا يعملون، بل إنهم يعيشون على الصدقات التي ترسلها إليهم الجماعات اليهودية من شتى

---

(1) سوسه، العرب واليهود في التاريخ، ص347.

(2) موسوعة اليهود: ج6/ص13-14.

(3) في المزمور رقم137/1 .

أنحاء العالم، فهم يعدونه نوعًا من أنواع التقوى وليس من الأعمال الدنيوية، ونتيجة لهذا لا تربطهم رابطة قوية بالاستيطان الصهيوني، لاسيما أن اليهودية الأرثوذكسية تُحرِّم على اليهود العودة الجماعية إلى فلسطين، وتعدها هرطقة ومن قبيل التعجيل بالنهاية، فاليهودية تؤمن بأن العودة إلى أرض الميعاد ستتم في الوقت الذي يحدده الرب وحسب طريقته، ولا تتم على يد البشر، وهذه النزعة الصهيونية الدينية لا علاقة لها بالاستيطان الصهيوني في فلسطين، أو ما يعرف اليوم بالصهيونية الدينية[1].

2.الصهيونية البروتستانتية

من المعاني التي قصدت من وراء مصطلح (الصهيونية) للدلالة على النظرة المحددة ليهود أوربا، وتعد الأوساط البروتستانتية البريطانية من أبرز من تبنى هذا المعنى في نهايات القرن القرن السادس عشر الميلادي، فترى هذه الأوساط أن اليهود ليسوا جزءًا عضويًّا من المجتمع الأوربي، لذا فهم يقولون بعدم أحقيتهم في التمتع بالحقوق التي يتمتع بها سائر المواطنين الأوربيين، وفي ذات الوقت لا يترتب عليهم واجبات متساوية، بل إن البروتستانتية البريطانية تعدهم شعبًا عضويًّا مختارًا، وإن فلسطين هي موطنهم المقدَّس، ويجب تهجيرهم إليها، وبقيت هذه الأوساط تنادي بتوطين اليهود في فلسطين، على الرغم من ضعف الحماس الديني الذي صاحب حركة الإصلاح الديني آنذاك[2]، أما اليوم فان الولايات المتحدة هي أبرز من يتبنى هذا الرأي، ويطلق على هذه النزعة اسم (الصهيونية المسيحية)[3].

3.صهيونية غير اليهود

لقد كان مفهوم الصهيونية مفهومًا منتشرًا على نطاق واسع في المجتمعات الأوربية، لاسيما بين الفلاسفة والمفكرين والشعراء والمهووسين الدينيين، الذين أخذوا ينادون بضرورة توطين اليهود في فلسطين، لكونهم برتبطون بها بعلاقة عضوية مستندين في رأيهم على أسباب تاريخية وسياسية

---

(1) المسيري، موسوعة اليهود: ج6/ ص14.

(2) عطا الله بخيت حماد المعايطة، اثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الدعوة واصول الدين (جامعة أم القرى: 1409هـ)، ص187.

(3) للمزيد من التفاصيل ينظر: صلاح الدين حافظ، كراهية تحت الجلد إسرائيل عقدة العلاقات العربية الأمريكية، دار الشروق (القاهرة: 2003م)، ص 50 -54.

مزعومة، ويُطلَق على هذا النوع من الصهيونية (صهيونية غير اليهود) أو (صهيونية الأغيار)[1]، ومع ازدياد الهجمة الإمبريالية الأوربية على الشرق عامة والمشرق العربي الإسلامي، بدأ الفكر المعادي لليهود في أوربا بالازدياد، نتيجة لظهور الدولة العلمانية المركزية، وتعاظم دورها في هذا الجانب، لذلك بدأ مفهوم الصهيونية نفسه يتبلور شيئًا فشيئًا، كما بدأ بالتخلص من العديد من الأبعاد الغيبية الدينية أو الرومانسية، والاتجاه في ذات الوقت إلى عالم السياسة، والمنافع المادية والمصالح الدولية[2]، ويعد نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية على مصر في سنة 1213هـ/1798م من أبرز دعاة العلمانية الشاملة والمعادين الأوربيين لليهود، كما أنه كان صاحب أول مشروع صهيوني حقيقي، ويتضح ذلك من خلال دعوة الصهاينة للاستيطان في فلسطين التي وصفها بأنها (بلاد أجدادهم)[3].

4.الصهيونية السياسية

أصبح مفهوم الصهيونية مفهومًا أساسيًا في الخطاب السياسي الأوربي في سنة 1257هـ/1841م، لاسيما بعد الاستعمار الأوربي للبلدان الإسلامية بشكل عام والعربية بشكل خاص، إثر نجاح الأوربيين في القضاء على مشروع محمد علي باشا في تحديث مصر والدولة العثمانية، فضلاً عن التقاء المسألة الشرقية بالمسألة اليهودية التي أخذت بالتفاقم، وانتشر الاعتقاد بحل المسألتين من خلال دمجهما معًا[4]، كما أخذت المفاهيم الصهيونية وملامح المشروع الصهيوني تتبلور خلال الحقبة (1267-1298هـ/1850-1880م) على يد المفكرين الصهاينة غير اليهود مثل اللورد شافتسبري ولورانس أوليفانت، فقد لخص الأول التعريف الأوربي لمفهوم الصهيونية في عبارة (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)، أما الثاني فقد حاول جاهدًا أن يضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ[5].

ثانياً: مراحل تطور مفهوم الصهيونية

في الحقيقة إن المفكرين والمؤرخين في الشرق يضعون تاريخ تطوُّر مفهوم الصهيونية في سياق التاريخ الفكري والسياسي الأوربي، ولا يرجعونه إلى ما يُسمَّى (التاريخ اليهودي)، إلا من خلال

---

(1) المسري، موسوعة اليهود: ج6/ ص15.

(2) ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون (الكويت: 1406هـ)، ص 51.

(3) طعيمة، التاريخ اليهودي العام:ج2/ص194-195.

(4) ابراهيم خليل أحمد، قضايا عربية معاصرة، مطبعة ابن الأثير (الموصل:1988م)، ص 20.

(5) طعيمة، التاريخ اليهودي العام:ج 2/ ص187.

محاولة دراسة الديباجات الصهيونية، كما أنهم لم يربطوا اليهودية بالصهيونية بشكل كبير، سوى كونها فكرة أو مفهوم أو مشروع سياسي واقتصادي وعسكري متناسين أن أرض فلسطين - التي تنادي الصهيونية باستعمارها - والعودة إليها هي أقدس ما موجود في التوراة[1] وكان هذا الرأي سائدًا في الأوساط الصهيونية إلى وقت قريب جدًا، ويعد ناحوم سوكولوف أول من كتب التاريخ الرسمي للصهيونية بتكليف من المنظمة الصهيونية، ويتكون هذا التاريخ من جزئين تناول معظمها تاريخ الصهيونية بين غير اليهود[2].

مع نهايات القرن التاسع عشر أخذت المسألة اليهودية، لاسيما بعد بدأت النزعات الصهيونية تظهر بين اليهود أنفسهم، واتضحت بشكل جلي إثر بدء إرسال المساعدات من لدن الأثرياء اليهود في أوربا، التي كانوا يدفعونها إلى مختلف الجمعيات التوطينية اليهودية، خاصة الجمعيات التي اهتمت بتوطين يهود أوربا الشرقية في أي بلد بما فيها فلسطين، وذلك من أجل ضمان عدم هجرتهم إلى جهة أوربا الغربية، أما في أوربا الشرقية، فقد مثلت منظمة (أحباء صهيون) عن يهودها، وسعت جاهدة من أجل التسلل إلى فلسطين والاستيطان فيها، وقد وصفت هذه النزعة بأنها (صهيونية) على الرغم من اختلاف دوافعها عن الصهاينة الآخرين[3].

يعد المفكر اليهودي المفكر اليهودي النمساوي نيثان بيرنباوم[4] هو من صاغ هذا المصطلح في أبريل 1890م [5]، من خلال مقاله الذي نشر في مجلة الانعتاق الذاتي، الذي شرح فيه معنى الصهيونية، كما قال في خطابه الذي ألقاه في 6 نوفمبر 1891م إن الصهيونية هي إقامة منظمة

---

(1) المعايطة، أثر الإنحراف العقدي، ص210.

(2) المسيري، موسوعة اليهود: ج6 / ص17.

(3) خليل أحمد، قضايا عربية معاصرة، ص 19 -20.

(4) بيرنباوم: كاتب سياسي نمساوي يهودي الأصل وُلد في فيينا لعائلة حسيدية، تعرّف على مُثُل حركة الاستنارة، فتخلّى عن العقيدة اليهودية، فتبنّى الحلول الصهيونية، كما اشترك في تأسيس منظمة شبابية هي منظمة قديما في سنة 1882م، وفي سنة 1884م، كما أنه أصدر أول أعداد مجلته المسماة بالانعتاق الذاتي، وفتولى مهمة ناشر المجلة ومحررها وطابعها. وقد بلور بيرنباوم الفكرة الصهيونية قبل ظهور ثيودور هرتزل، إذ أنه نشر كتابًا عن المسألة اليهودية في سنة 1893م بعنوان (البعث القومي للشعب اليهودي)، تعاون بيرنباوم في بداية الأمر مع المنظمة الصهيونية العالمية، وكان واحدًا ممن حضروا المؤتمر الصهيوني الأول، وهو أول من استخدم كلمة (صهيونية) بمعناها الحديث. ينظر المسيري، موسوعة اليهود:ج 6 / ص 336.

(5) خليل أحمد، قضايا عربية معاصرة، ص 19 -20.

تضم الحزب القومي السياسي، فضلاً عن الحزب ذي التوجه العملي، ويقصد بالحزب الأخير (أحباء صهيون)، وأعاد بيرنباوم الكرة في المؤتمر الصهيوني الأول 1897م، إذ صرَّح بأن الصهيونية ترى أن القومية والعرْق والشعب شيء واحد، وبهذا الشكل أعاد تعريف مفهوم مصطلح (الشعب اليهودي) الذي قصد به في الماضي بأن اليهود عبارة عن جماعة دينية إثنية، فأصبح يشير إلى جماعة عرْقية، وهو الأمر السائد حاليًا، وقد تم استبعاد الجانب الديني منه بشكل تام، وأصبحت الصهيونية الدعوة إلى القومية اليهودية، ثم الأثنية في مرحلة لاحقة، قيمة نهائية مطلقة بدلاً من الدين اليهودي، وبذلك تخلصت اليهودية من المعتقدات البروتستانتية، التي تحاول أن تحقق أهدافها من خلال العمل السياسي المنظم، لا من خلال الصدقات، وعلى الرغم من أن بيرنباوم هدف إلى نوع جديد من التنظيم السياسي مقابل جهود أحباء صهيون التسللية، إلا أن المصطلح استُخدم للإشارة إلى كلا الفريقين[1].

ثالثاً: حقيقة الصهيونية وأهدافها

الصهيونية هي حركة سياسية عنصرية توسعية عدوانية استيطانية[2] تعبر عن الاهداف والأماني وأسلوب العمل المنظم من أجل استعمار فلسطين واستيطانها[3] وهدفها الرئيس إقامة وطن قومي لليهود فيها، وترجع بدايات ظهورها إلى نهايات القرن التاسع عشر الميلادي، وهي ترتبط بالإمبريالية[4] ارتباطًا وثيقًا على الصعيد الاقتصادي والسياسي والثقافي، فقد كان مؤسسوها من الإمبرياليين والصهاينة، كما انتمى إليها معظم رجال روسيا البارزين من اليهود منهم والد وايزمان وآبن غوريون، وقامت الصهيونية بحركات سرية ضد روسيا القيصرية[5]، وازداد أتباع هذه الحركة بعد هروب يهود الأندلس من محاكم التفتيش الإسبانية ولجوء عدد كبير منهم إلى أراضي الدولة العثمانية في سنة 898هـ/1492م، فدخـــل قسم منهم في الإســـلام، كما تكـونت

---

(1) المسيري، موسوعة اليهود: ج6/ص18.

(2) زهر الدين، سياسة الحكومة العثمانية، ص 148.

(3) طعيمة، التاريخ اليهودي العام:ج2/ص185.

(4) الإمبريالية: الحركة الإمبريالية التي حوَّلت الصهيونية إلى كيان استيطاني هي حركة عالمية رغم أصولها الغربية، فقد جعلت العالم كله مجالاً لحركتها والتهامها وافتراسها. والإمبريالية عالمية لا لأنها حركة نشأت بين كل البشر وإنما لأنها حوَّلت البشر كلهم إلى مستعمر أو مستعمَر. وتكتسب الصهيونية صفة العالمية من ارتباطها بالإمبريالية الغربية العالمية. ينظر: المسيري، موسوعة اليهود: ج 6 / ص 25.

(5) اليوزبكي، دراسات في الوطن العربي، ص 233.

منهم فئة اجتماعية في مقدونيا، فأصبحت هذه الفئة الأساس للصهيونية واحتياطها عن طريق المحافل الماسونية[1]، وبدأت تعمل جاهدة من أجل إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وكان زعيم الصهيونية اليهودي المحامي والصحفي ثيودير هرتزل على رأس الساعين إلى تحقيق هذا الهدف[2].

انطلق المشروع الصهيوني لتأسيس الدولة الصهيونية، من أجل تحقيق فكرة القومية اليهودية البعيدة عن الواقعية، ولا تستند إلى واقع تاريخي، لاسيما أن اليهود كانوا عبارة عن خليط غير متجانس خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ويتكون من يهود الغرب، ويهود العالم العربي، ويهود العالم الإسلامي، واليهود المستعربة، فضلاً عن المذاهب والفرق الدينية المختلفة كالقرّائين والحاخاميين الذين انقسموا بدورهم إلى أرثوذكس ومحافظين وإصلاحيين، هذا إلى جانب عشرات الانقسامات الدينية والعرْقية الأخرى، وقد أطلق الصهاينة على هذه الجماعات اسم (الشعب الواحد) حسب تعبير هرتزل، الذي نجح في تهجير نسبة محدودة إلى فلسطين، كما إن هذه الهجرة لم تكن من أجل تحقيق أهداف قومية، بل انطلقت من أجل تحقيق مصالح شخصية محضة، مما جعل الصهاينة يواجهون أزمة كبيرة، لأن سلوك أعضاء الجماعات اليهودية في العالم لا يَصدُر عن إيمانهم بمقولة (القومية اليهودية)، والدليل على ذلك أن الهجرة اليهودية ما زالت تتجه إلى الولايات المتحدة وسائر البلدان الأوروبية، ويرفض هؤلاء العودة إلى وطنهم القومي الذي يدعونه، مما يكشف زيف مقولة (القومية اليهودية)، أو ما يُسمَّى (الهوية اليهودية).

تبذل الصهيونية جهودًا كبيرة من أجل دمج المهاجرين اليهود الوافدين إلى دولتهم المزعومة، بسبب عدم تجانسهم وانقسامهم الحاد، وحتى لو قُدِّر النجاح لمحاولة الصهاينة في مَزْج أعضاء الجماعات اليهودية، فإن ثمرة هذه المحاولة لن تكون(الشعب اليهودي)، وتحقيق (القومية

---

(1) الماسونية: الماسونية هي القنطرة التي عبرت عن طريقها الصهيونية العالمية، إذا أسسها تسعة من اليهود بغية الوصول إلى تحقيق الحلم الصهيوني المتمثل في انشاء حكومة يهودية عالمية تسيطر على العالم، فأعدت خططها وبرامجها المحققة لأهدافها وأطلقت على نفسها اسم: (القوة الخفية) واتخذت في ذلك السرية والعهود والمواثيق التي كانت تأخذها على العضو المنضم إليها وسيلة ضغط عليه بحيث يصبح آلة توجهه كما تريد. وقد استشرى فساد الماسونية في المجتمعات الغربية واستطاعت أن تجذب الكثيرين من الأعضاء عن طريق شعارها الظاهري: (الحرية، الإخاء، المساواة). للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب الانهيار، ص452، الكتاب منشور على شبكة الانترنيت على الموقع: http://www.slaaby.com

(2) زهر الدين، سياسة الحكومة العثمانية، ص 151.

اليهودية)، إذ إن الكثير من مفكـري اليهود يرفضون فكرة القومية اليهودية وارتباطها بفلسطين، إما من منظور ديني أو من منظور ليبرالي أو اشتراكي، فيرون أن اليهود ليسوا شعبًا وإنما أقلية دينية، كما يرون أنهم ينتمون إلى الشعوب التي يعيشــون بين ظهرانيــها، وقد وردت

تسمية (الشعب) في الكتابات الدينية عند اليهود، إلا أن المقصود بهذه التسمية هي جماعة دينية ذات عقيدة دينية وانتماء ديني واحد، كما نجد مصطلحات دينية مماثلة لها، مثل (الشعب المختار) و(أمة الروح) و(الشعب المقدَّس)، وهي مصطلحات يقصد بها التجمُّع الديني أو الأخلاقي فقط[1].

مما سبق نجد أن اليهود لم تقم لهم قائمة، ولا دولة ولا كيان في فلسطين، إلا في عصرنا المؤلم، حينما تحالفت اليهودية الماكرة مع الصليبية الحاقدة التي احتلت الأراضي العربية بجيوشها، وأسهمت في تشريد المسلمين وسلب أراضيهم في فلسطين وخاصة بيت المقدس ومنحها أو بيعها لليهود، وتشجيع هجرتهم إليها من شتى بقاع الأرض، لإقامة دولة غاصبة لهم في فلسطين، وقد مرّت إقامة تلك الدولة المشؤمة بالمراحل عدة، كان أولها دعوة علنية لإنشاء وطن قومي لليهود كانت في كتاب (نداء اليهود) الذي أصدره السير هنري فنش في بريطانيا سنة 1616م[2]، وعندما قاد الجنرال الفرنسي نابليون بونابرت حملته على مصر في سنة1213هـ/1798م دعا اليهود إلى إقامة وطن لهم في فلسطين، ووجه إلى اليهود بيانًا سماهم فيه (ورثة فلسطين الشرعيين)، إلا إن هزيمته حالت دون اكتمال هذه المؤامرة[3].

توالت نداءات الزعماء والكتابات والمفكرين اليهود إلى اتخاذ فلسطين وطنًا قوميًا لليهود وإقامة دولة لهم فيها بشتى الوسائل ومن أبرز هؤلاء الحاخام (زفي هيرش كاليشر 1795-1874م) في كتابه (البحث عن صهيون)، والحاخام (موسى هيس 1821-1875م) في كتابه (من روما إلى القدس)، والمفكر اليهودي (بيريتز سمولنسكن 1842-1885م) في كتابه (فلنبحث عن الطريق)[4]، والطبيب اليهودي الروسي ليوبنسكر سنة1881م الذي نادى بوجوب تهجير اليهود من المجتمعات

---

(1) المسيري، موسوعة اليهود:ج6/ص23.

(2) المعايطة، أثر الإنحراف العقدي، ص191؛ قدح، موجز تاريخ اليهود، ص 32.

(3) طعيمة، التاريخ اليهودي العام:ج 2/ ص 194-195.

(4) محمد محمد إبراهيم زغروت، دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية، دار التوزيع والنشر الإسلامية (القاهرة: د.ت.)، ص21؛ قدح، موجز تاريخ اليهود، ص33.

التي يعيشون فيها إلى إقليم يمتلكونه ليكوّن أمة يهودية[1] وقد تابعت الجهود الصهيونية فيما بعد من أجل تحقيق مشروعهم العدواني، وهذا ما سنوضحه في الصفحات اللاحقة.

المبحث الثالث: التحركات الصهيونية قامة وطن قومي لليهود في فلسطين

أولاً: ثيودور هرتزل الزعيم الأول للمنظمة الصهيونية

هو زعيم الحركة الصهيونية الأول ومؤسس الصهيونية السياسية، ولد هرتزل في المجر سنة 1860م، وكان الابن الوحيد لتاجر يهودي ثري، وقد ظهرت عليه منذ بداية عمره شدة تعلقه بوالدته التي مارست بدورها أثرًا قويًا عليه طيلة حياته، وجعلته ينشأ على تصور من ينتدب نفسه لتحقيق عظائم الأمور، ويحلم بأنه صاحب رسالة عليا في الحياة، وقد تلقى هرتزل تعليمه في مدرسة ابتدائية يهودية، ثم التحق بمدرسة ثانوية، ثم انتقل إلى فينا مع أسرته ودرس القانون فيها[2]، وعلى رغم من دراسة هرتزل في مدرسة دينية يهودية، الا أنه تأثر كثيراً بالعلمانية، ومن أبرز الأسباب التي كانت تقف وراء توليته زعامة الحركة الصهيونية ومنظمتها هو الاختلاف عمن حوله من الشخصيات الصهيونية، إذ أنه أتى من الغرب وليس من الشرق المتخلف كما يرون، كما أن انبهار الجماهير به، لاسيما في شرق أوربا، وعدت عودته إليها هي إحدى علامات آخر الأيام[3].

عمل هرتزل في الإعلام وامتهن المحاماة والصحافة، كما أنه كتب عدد من القصص القصيرة والمسرحيات التي تعالج قضايا الصهيونية، مثل مسرحية الجيتو الجديد، وقد تزوج في سنة 1889م من جولي تشاور، التي أنجبت له ثلاثة أطفال، إلا أن الزواج لم يكن موفقًا إذ انفصلا، نتيجة عدم توافقهما بسبب تطلعات هرتزل الصهيونية[4]، وما أن حلت سنة 1904م حتى أصيب بانهيار جسدي، وفي أيامه الأخيرة كان يضرب بيده على اللحاف، كما كان يضرب على طاولة الاجتماعات، معتقدًا أنه لا يزال يتكلم أمام المؤتمر الصهيوني، وأحيانًا كان يظن أنه في الأرض المقدسة ليحقق

---

(1) دسوقي، انتفاء الحق الديني والتاريخي لليهود في أرض فلسطين، مجمع البحوث الاسلامية بالازهر (القاهرة: د.ت.)، ص52.

(2) المعايطة، أثر الإنحراف العقدي، ص212.

(3) المسيري، موسوعة اليهود: ج 6 / ص 416.

(4) المعايطة، أثر الإنحراف العقدي، ص214.

مشروعه القومي التجاري، فمما كان يهذي به قائلاً: ((يجب أن نشتري الثلاثة فدادين هذه، هل دونت ملحوظة بتلك الثلاثة فدادين هذه ؟))، وبقي كذلك حتى وفاته في 16 آيار سنة 1904م[1].

ثانياً: المؤتمر الصهيوني الأول (مؤتمر بازل)

عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا في آب سنة 1897م، وحضره عدد كبير من الصهاينة ممن يمثلون قرابة خمسين جمعية، وقد ترأس هذا المؤتمر هرتزل الذي أعلن في بداية الاجتماع قائلاً: ((إننا هنا لنضع حجر الأساس لبناء الملجأ الذي يأوي إليه الشعب اليهودي، فإن العالم زود عنا بما يسيء إلينا، وإن شعور التضامن الذي يسود بيننا، والذي كثيراً ما رمانا به العالم بسخط في طريقه إلى الزوال حينما تصدى له التيار المعادي للسامية، فهذا التيار المعادي للسامية قد أمدنا بالقوة مرة أخرى، والصهيونية هي عودة اليهود لليهودية حتى قبل عودتهم إلى الأرض اليهودية، وهي تحاول إيقاظ الشعب اليهودي في كل مكان لإنقاذ نفسه، فنحن يجب أن نخلق هنا ومنذ الآن أساسًا وأساسًا ثابتًا لم يتوفر للشعب اليهودي حتى اليوم))[2]، وانتهى المؤتمر بانتخاب هرتزل رئيسًا للمنظمة الصهيونية، وقد حدد مؤتمر بازل أهداف المنظمة بالعبارة التالية ((إن غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي بفلسطين يضمنه القانون العام))[3]، وحدد المؤتمر الوسائل التالية لتنفيذ ذلك:

1. العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال والزراعيين والصناعيين اليهود وفق أُسس مناسبة.
2. تنظيم اليهودية العالمية وربطها بوساطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد.
3. تقوية الوعي والشعور القومي اليهودي وتغذيتهما.
4. اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على موافقة الحكومات المحلية لتحقيق غايات الصهيونية[4].

(1) المسيري، موسوعة اليهود: ج6 / ص417.

(2) المعايطة، أثر الإنحراف العقدي، ص 218.

(3) فائز الصائغ، الاستعمار الصهيوني في فلسطين، د.م. (بيروت: 1965م)، ص 10.

(4) اليوزبكي، دراسات في الوطن العربي، ص 233.

وخلال المؤتمر وضع شعار العلم الصهيوني والنشيد القومي لليهود، وتأسست الهيئات الصهيونية، وبناءً على ذلك أصبح لفظ صهيوني يطلق على كل من يعتنق المبادئ الصهيونية التي وضعها المؤتمر[1]، كما اعتبر هذا المؤتمر اللغة العبرية لغة رسمية للتخاطب بين اليهود في جميع أنحاء العالم، وقد تمكن الحاخام يهودا من وضع لغة عبرية حديثة في سنة 1911م ليستخدمها اليهود الذين يبغون الذهاب إلى فلسطين، وبهذا يكون المؤتمر الصهيوني الأول قد وضع المخطط العام للصهيونية في حاضرها ومستقبلها متمثلاً بالمخطط الاستعماري القائم على ثلاث مراحل، وهي التنظيم... والاعتراف... والاستعمار[2].

لقد بذل هرتزل جهودًا كبيرة ومكثفة من أجل تحقيق هذا الحلم، واستقل وظيفته كونه محرّرًا ومراسلاً لأحد الصحف في فينا للتوصل إلى مقابلة كبار المسؤولين في الدول المختلفة مثل قيصر ألمانيا وملك إيطاليا والبابا ووزير خارجية روسيا، لاسيما بعد أن رفض قيصرها مقابلته، وركز جل جهده على مقابلة السلطان العثماني منطلقًا من مبدأ مكيافلي القائل بالغاية تبرر الوسيلة، ومستخدمًا شتى الأساليب الدنيئة كالرشوة والتجسس، واتخاذ الوكلاء المأجورين إلا أنه فشل في الحصول على تأييد أو وعد بمساعدته في تحقيق حلمه الذي ينشده[3].

ثالثًا: بروتوكولات حكماء صهيون وماهيتها

لقد تم تدوين هذه البروتوكولات في سنة 1897م في مدينة بازل السويسرية، بعد عقد المؤتمر الصهيوني الأول، ويبلغ عددها أربعة وعشرين بروتوكولاً، كتبها حاخامات اليهود أثناء اجتماعهم السري، الذي هدفوا من عقده إلى وضع خطة محكمة بالتعاون مع الماسونية الأحرار والليبراليين، من أجل إقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود، وتديرها حكومة يهودية يكون مقرها القدس، ويتم تنفيذ هذا عن طريق الغش والخداع من أجل تقويض دعائم الأسرة وكل صلاة القرابة، والإيقاع بالدول الأوربية، وتخريب المؤسسات المسيحية، وتدمير العواصم الأوربية، وإفساد أخلاق العالم المسيحي الأوربي.

عنيت بروتوكولات حكماء صهيون في المراحل الأولى من المخطط، بأن يسيطر اليهود على الصحافة ودور النشر وجميع وسائل الإعلام، حتى لا يتسرب إلى الرأي العام العالمي إلا ما يقول به

---

(1) المعايطة، أثر الإنحراف العقدي، ص 219.

(2) سوسه، العرب واليهود في التاريخ، ص 349؛ الصائغ، الاستعمار الصهيوني في فلسطين، ص 10-12.

(3) اليوزبكي، دراسات في الوطن العربي، ص234.

اليهود ويرددوه، كما أنها ترى أنه يجب على اليهود أن يحاولوا السيطرة على الدول الاستعمارية، وتسخيرها حسب أهوائهم ومخططاتهم، فالبروتوكولات تجعل اليهود مسؤولين عن كل شيء، عن الخير والشر وعن الثورة والرجعية والاشتراكية والرأسمالية، فالبروتوكول السادس

مثلا يقول: كي نخرب ((أي اليهود)) صناعة الأغيار سنزيد من أجور العمال، ولكننا في الوقت نفسه سنرفع أثمان الضروريات الأولية، فنسترد الأجور، ونعرض الصناعة للخراب والعمال للفوضى[1].

كما أن اليهود أيضًا هم المسؤلون أولاً وآخرًا عن انتشار كل الأفكار الحديثة اليمينية واليسارية، فالبروتوكول الثاني يقول: إن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل، وإن الأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم لدى غير اليهود سيكون واضحًا، ولكن ينبغي أن ندرس أثرها على أخلاق الأمم والجماعات، ويعد الرأي السائد الآن وهو أن البروتوكولات وثيقة استفاد كاتبها من كتيب فرنسي بعنوان (حوار في جهنم بين ماكيافلي ومونتسكيو) كتبه كاتب مسيحي يدعى موريس جولي، وتم نشره في بروكسل سنة 1864م، فتحول الحوار إلى مؤتمر وتحول الفيلسوفان إلى حكماء صهيون، وقد تم اكتشاف أوجه التشابه بين الكتيب والبروتوكولات[2].

تتكون البروتوكولات من مئة وعشرة صفحة، وكان أول نشر لها في سنة 1901م، كملحق للكاتب الروسي سيرجي نيلوس، وعندما عرض الكتاب على القيصر الروسي نيقولا الثاني أشر عليه بالكلمات التالية ((لا يدافع الإنسان عن مبادئ خيرة بوسائل فاسدة))، وقد لاقت البروتوكولات رواجًا كبيرًا، لاسيما بعد نشوب الثورة البلشيفية التي أطلق عليها البعض الثورة اليهودية، إذ عزا كثير نشوب الثورات التي اجتاحت البلدان الأوربية إلى اليهود، ثم انتقلت إلى غرب أوربا في سنة 1919م عن طريق بعض المهاجرين الروس، وبلغت البروتوكولات قمة رواجها خلال السنوات الواقعة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، عندما حاول الألمان تبرير هزيمتهم على إنها طعنة نجلاء من الخلف قام بها اليهود والمشتركون في المؤامرة العالمية.

وتعد فكرة الحكومة اليهودية العالمية هي الفكرة الرئيسة لبروتوكولات حكماء صهيون،إلا إن المعروف تاريخيًا أن بعض الحاخامات اليهود حاولوا إقامة سلطة مركزية تجمع كل يهود العالم، ولكنهم فشلوا في تحقيق ذلك، بسبب طبيعة الوجود اليهودي في العالم على هيئة أقليات

---

(1) غازي كامل السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل(عمان: 1994م)، ص120.

(2) المرجع نفسه، ص 121.

دينية متناثرة، لكل منها هيئاته ومحاكمه الخاصة التي تقوم برعاية شؤونها، وبذلك فهم لا يختلفون عن أي أقلية أخرى سواء كانت حرفية أو دينية، ولكن الصهيونية لا تقبل هذه الحقيقة التاريخية، وتروج بدلاً عنها إلى فكرة الشعب اليهودي الواحد، ولم تجد الصهيونية أفضل من المعادين للسامية لترويج مخططاتها، فهم ينطلقون أيضًا من فكرة أن اليهودي شيء فريد غير قابل للاندماج، وأن اليهود أينما وجدوا، فإنهم أفراد في شعب واحد يرمي إلى إقامة حكومة عالمية واحدة[1].

رابعاً: وعد بلفور والمخطط الصهيوني

أدرك قادة الحركة الصهيونية أن بريطانيا تعد من أكثر الدول الأوربية التي تبنت الاستعمار ومارسته في شتى أنحاء العالم، لذلك عملوا بكل ما في وسعهم من أجل استمالة رجالاتها للاستمرار في موالاتهم للحركة الصهيونية، وكان من الممكن أن تبقى أحلام الصهيونية حبرًا على ورق لو لم يلق قبولاً لدى الدول الاستعمارية، لاسيما بريطانيا، التي عملت بكل ما لديها من أساليب خبيثة من أجل تنفيذ المخطط الصهيوني، ابتداءً من سنة 1841م، حيث اتضح بشكل جلي اعتمادها على اليهود لتقوية نفوذها، والحفاظ على امتيازاتها في فلسطين، فوجد اليهود فرصتهم في ذلك، وتمكنوا من كسب ود وزير الخارجية البريطاني (آرثر جيمس بلفور)، عندما أيدوه في الانتخابات العامة، فضلاً عن شخصيات بريطانية أخرى مثل (سكوت) رئيس تحرير جريدة مانشستر جارديان و(لويد جورج) و(هربرت صموئيل) العضوين في الوزارة البريطانية[2].

أمام الاختلاف في وجهات النظر لرجال السياسة البريطانية، بذلت الصهيونية كل ما في وسعها للحصول على اعتراف دولي بها، ووعد قاطع من أجل إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وكانت بريطانيا وسيلتها في ذلك، لاسيما بعد الدور الذي أدته الصهيونية في جر الولايات المتحدة الامريكية للدخول في الحرب إلى جانب الحلفاء، إثر الخسائر الفادحة التي لحقت بهم أمام ألمانيا، إذ إن رجحان كفة الحرب لصالح الحلفاء سيساعد على تحقيـــق مطـالب

الصهيونية، وفي 18 تموز سنة 1917م قدم وايزمان نيابة عن اللجنة السياسية للمنظمة الصهيونية مشروعًا لتصريح يصدر عن الحكومة البريطانية بشأن إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وفي 16 تشرين الأول 1917م، أبرق الكولونيل هاوس نيابة عن الرئيس الامريكي ويلسون

(1) المرجع نفسه، ص 121.

(2) اليوزبكي، دراسات في الوطن العربي، ص236.

إلى الحكومة البريطانية، وقد أكد على تأييد حكومة الولايات المتحدة الامريكية للمشروع الصهيوني، فكانت هذه البرقية من أقوى العوامل التي حملت الحكومة البريطانية على الإسراع بإصدار وعد بلفور[1]، وفي 2 تشرين الثاني من السنة ذاتها أرسل بلفور رسالة إلى روتشيلد قال فيها : ((إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل وتحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليًا أنه لن يؤتي بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى)) [2].

وفي سنة 1917م احتلت الجيوش البريطانية فلسطين بعد هزيمة الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا في الحرب العالمية الأولى التي انطلقت في سنة 1914م، ثم وضعت فلسطين وما جاورها تحت الانتداب البريطاني بموافقة عصبة الأمم المتحدة (الدول الغربية) في 25إبريل[3].

وضع مشروع التصريح من قبل الصهاينة ثم وافقت كل من لندن وواشنطن وروما عليه قبل إعلانه رسميًا باسم الحكومة البريطانية نيابة عن حليفاتها، إلا أن فرنسا عارضت مشروع إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وذلك لإدراكها التام بأن بريطانيا تهدف من وراء ذلك إلى وضع المنطقة بأكملها تحت نفوذها، كما كانت فرنسا ترغب في تكوين إدارة تشارك فيها إلى جانب بريطانيا، وبهذا تم تنفيذ هذه المؤامرة على الوطن العربي بواسطة التحالف البريطاني الصهيوني الذي يهدف إلى الدفاع عن قناة السويس، والمحافظة على الامتيازات البريطانية والطرق المائية التي توصلها إلى الهند، فضلاً عن المحافظة على المطارات الجوية المختلفة والمواصلات الإمبراطورية الأخرى، ومصب أنابيب النفط في حيفا والإستراتيجية البريطانية في الشرق الأوسط كافة[4].

مع حلول سنة 1920م قررت بريطانيا إنهاء الحكم العسكري في فلسطين وإبداله بحكم مدني، وذلك من أجل أن تسمح للصهاينة التدخل المباشر في الأجهزة الإدارية للدولة، وعينت هربرت صموئيل اليهودي البريطاني مندوبًا ساميًا على فلسطين، لاسيما وهو المعروف بولائه للصهيونية،

---

(1) سليمان حاتم، الصهيونية العالمية وخطرها الكبير على البشرية، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر (دمشق: د.ت.)، ص 89.قدح

(2) ناظم سيالة، حوليات فلسطينية، منشورات وزارة الاعلام (بغداد: 1969م)، ص 15.

(3) قدح، موجز تاريخ اليهود، ص33.

(4) قاسم حسن، العرب والمشكلة اليهودية، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر (بيروت: 1969م)، ص135.

كما اتخذ الصهاينة من تصريح وعد بلفور وثيقة تاريخية، كما تمكنوا من فرضها على الدول الكبرى كشرط أساس لانتداب بريطانيا لفلسطين، إذ تضمنت المادة الثانية من صك الانتداب على فلسطين الذي أقرته الامم المتحدة بتاريخ 24 تموز سنة 1922م، أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية، وضامنة لإنشاء الوطن القومي لليهود، وهكذا نجحت الصهيونية في تحقيق مرحلتين من مراحلها التي خطط لها المؤتمر الصهيوني الأول، وهما التنظيم والاعتراف بالحركة[1].

خامساً: الهجرة الصهيونية ومرحلة الاستعمار

بعد تحقيق الصهيونية لمرحلتي التنظيم والاعتراف الدولي لم يبقَ أمامها إلا الانتقال إلى مرحلة استعمار الأرض، وتعد الهجرة اليهودية إلى فلسطين أول الأهداف المرحلية للحركة الصهيونية من أجل تجسيد الفكرة والوجود الصهيوني فيها، فمن غير الممكن قيام الكيان الصهيوني دون أن يتخذ موضوع الهجرة طابعًا يزداد أهمية وخطورة بالنسـبة للحركة الصهيونية ففي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كان الهدف من الهجرة الصهيونية هو خلق واقع وجود يهودي في أرض فلسطين، وبعد تزايد أعداد المهاجرين في عهد الانتداب البريطاني أوجدت صيغة الوطن القومي لليهود، وبعد الانتداب تم فعلاً وجود الدولة الصهيونية التي أطلقت كل القيود التي تحد من الهجرة، وأصدرت قانون العودة، وتحت شعار بناء الدولة تعاظمت الدعوة إلى الهجرة الواسعة، كما تم إنشاء لجنة الاستعمار والمصرف اليهودي والصندوق القومي اليهودي وشركة تطوير أراضي فلسطين، وكان الهدف المشترك لجميع هذه المؤسسات هو تعميم عملية الاستعمار وتمويلها والإشراف عليها لتوفير الظروف الملائمة للهجرة الصهيونية وقد تركزت الجهود في بداية الأمر على الدولة العثمانية[2]، كما أسلفنا الحديث.

لقد وضعت بريطانيا وعد بلفور قيد التنفيذ في سنة 1932م، فدعمت إلى الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتوطينها وحمايتها، فبلغت أعداد المهاجر إلى فلسطين خلال حقبة الانتداب البريطاني ما يقرب من11800 ألف يهودي، فشكلوا عصابات إرهابية مسلحة مثل عصابة الهاغانه[3] والرجون[4]،

---

(1) اليوزبكي، دراسات في الوطن العربي، ص239-240.

(2) عبد الحميد العلوجي، الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، مديرية الاعلام العامة (بغداد:1968م)،ص22.

(3) تعني الدفاع في اللغة العبرية.

(4) هو اختصار لاسم المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل.

وشتيرن[1] ،وقوات البالماخ[2] وغيرها من العصابات وذلك من أجل الاستيلاء على الأراضي العربية في فلسطين المحتلة وتشريد سكانها من خلال ممارسة الاعمال الارهابية ضدهم، وبمرور الوقت انخرطت تلك العصابات اليهودية في جيش الكيان الصهيوني، وفي 26 نوفمبر 1947م أصدرت عصبة الأمم المتحدة قرارها الجائر الذي يقضي بتقسيم فلسطين بين المسلمين واليهود، وانتهاء الانتداب على فلسطين، وفي 15مايو1948م أعلن بن غوريون قيام دولة يهودية في فلسطين، وذلك إثر إعلان بريطانيا انتهاء الانتداب، فما كان من الدول الأوربية إلا أن اعترفت باليهود كدولة، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا[3]، إلا أن الوضع اختلف بعد تزايد أعداد المهاجرين اليهود، إذ سجلت دوائر الهجرة عام 1948م قرابة (77) الف يهودي من أوربا وآسيا وأفريقيا، فبلغ عدد اليهود في فلسطين (540277) نسمة[4].

ازدادت معارضة العرب في فلسطين للهجرة اليهودية، وطالبت بإيقافها ومنع بيع الأراضي لليهود[5]، وعلى الرغم من ذلك لم يكن الفلسطينيون قادرين على الوقوف إزاء القوة الصهيونية، بسبب الظروف الدولية والعربية من جهة وانهزامية الأنظمة العربية من جهة أخرى نتيجة لدعم الصهيونية ماليًا وعسكريًا وسياسيًا من مختلف الأنظمة الاستعمارية، فضلاً عن دعم المنظمات الصهيونية المنتشرة في أوربا وأمريكا، مما مكن الحركة الصهيونية من تأسيس الدولة الصهيونية في سنة 1948م بعد سلسلة من المناورات والمعارك والمذابح المدبرة التي أسهمت في طرد نسبة كبيرة من سكان فلسطين ليتحولوا إلى لاجئين، ولتخلوا البلاد أمام الهجرة الصهيونية الواسعة، وفي السنوات العشرين التي أعقبت تأسيس الدولة الصهيونية فتحت الأبواب على مصراعيها أمام اليهود من شتى بقاع العالم للهجرة إليها، والسيطرة على أراضي سكانها الذين أكرهوا على الخروج منها بقوة السلاح، وهكذا أصبح اليهود يشكلون الأكثرية بعد أن كانوا أقلية قبل سنة 1948م[6].

---

(1) كلمة عبرية تعني المحاربون من أجل إسرائيل.

(2) كلمة عبرية تعني الصاعقة.

(3) قدح، موجز تاريخ اليهود، ص 35.

(4) العلوجي، الهجرة الصهيونية، ص 22.

(5) جورج لنشوفسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة: جعفر خياط، مكتبة دار المتنبي (بغداد: 1964م):ج2/ص113.

(6) اليوزبكي، دراسات في الوطن العربي، ص 244-245.

لقد تمكن الكيان الصهيوني من ترسيخ وجوده بتوسيع أراضيه المغتصبة في المنطقة العربية بدعم حلفائها الأوربيين، إذ قامت باحتلال القدس الغربية وجنوب النقب في سنة 1949م، ثم احتلت القدس الشرقية، فضلاً عن الضفة الغربية وقطاع غزه وصحراء سيناء وهضبة الجولان 1967م، وبناء المستوطنات الصهيونية على الأراضي المحتلة من أجل تحقيق الحلم الصهيوني في إقامة إسرائيل الكبرى، التي تمتد حدودها من النيل إلى الفرات، إلا أن الجيوش العربية تمكنت في أكتوبر 1973م من تحطيم أسطورة الجيش الصهيوني الذي لا يقهر – حسب زعمهم- ، إذ استعاد المصريون صحراء سيناء، فاضطر الصهاينة إلى تغيير إستراتيجياتهم في اختراق البلاد العربية، فسعت إلى توقيع معاهدة السلم في كامب ديفيد بأمريكا1978 م بين الرئيس المصري أنور السادات والرئيس الصهيوني مناحيم بيغن[1].

وعلى الرغم من هذه المعاهدة قام الكيان الصهيوني بغزو جنوب لبنان واحتلها في السنة ذاتها، وشرد أهلها الآمنين، واستمر الصهاينة في اعتدائهم واجتياح لبنان حتى وصلت قواتهم إلى بيروت سنة 1982 م ولا تزال اعتداءاتهم مستمرة، وبعد جهود حثيثة من الولايات المتحدة الأمريكية ومصر والاتحاد السوفيتي، فضلاً عن دول أخرى، تم عقد مؤتمر السلام في الشرق الأوسط في 30أكتوبر1991 م في مدريد، وذلك من أجل وضع حد للصراع العربي الصهيوني، وبحضور الطرفين الفلسطيني والصهيوني لإقامة سلام دائم وعادل بين شعوب الشرق الأوسط [2]، ومهما كان ومهما يكن من معاهدات وهدن وصلح يبقى الصهاينة أعداءَنا إذ إن الصهيونية حركة عنصرية معتدية كما أسلفنا الحديث، وهي تواصل اعتداءاتها إلى يومنا هذا.

(1) قدح، موجز تاريخ اليهود، ص 35.

(2) المرجع نفسه، ص 36.

المصادر والمراجع

- أولاً: المصادر الأولية.
- ثانيًا: المراجع العربية والمعربة.
- ثالثًا: الرسائل والاطاريح الجامعية.
- رابعًا: البحوث العلمية.
- المصادر والمراجع الأجنبية.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

- ابن الآبار، محمد بن عبدالله القضاعي.

1. التكملة لكتاب الصلة، د.م. (القاهرة: 1956م).

- الأزدي، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني.

2. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر (د.م.: د.ت.).

- ابن الأزرق، أبو عبد الله.

3. بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق:علي سامي، د.م. (بغداد:1977م).

- الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي.

4. دلائل النبوة، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة (الرياض: 1409هـ).

- الإصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارس.

5. مسالك الممالك، دار صادر (بيروت: 1937م).

- الأصفهاني، أبو الفرج.

6. الأغاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر (عمان:د.ت.).

- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي.

7. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة (بيروت: د.ت.)

- الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز.

8. معجم ما إستعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط2، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب (بيروت: 1403م).

- ابن إياس، محمد بن أحمد.
9. بدائع الزهور في وقائع الدهور، د.م. (بولاق: 1311هـ)
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل.
10. الجامع الصحيح المختصر، ط3، تحقيق: مصطفى ديب، دار ابن كثير (بيروت: 1987م).
- البستي، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم.
11. الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر (د.م.: 1975م)
- ابن البطريق، يحيى بن سعيد الأنطاكي.
12. التأريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين(بيروت:1954م).
- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق.
13. مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل (بيروت: 1991م).
- البكري، ابو عبيد عبد الله عبد العزيز.
14. المسالك والممالك، الجزء المختص بالأندلس، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، دار الارشاد (بيروت: 1968م).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود.
15. فتوح البلدان، تحقيق: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية (بيروت: 2008م)
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى.
16. سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز (مكة المكرمة: 1994م).
- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي.
17. الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د.ت.).
- التطيلي، بنيامين بن يونه.
18. رحلة بنيامين، دار الوراق (بغداد: 2011م)
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف.
19. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة كوستاستوماس (القاهرة: د.ت).

- التنوخي، المحسن بن علي.
20. الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، د.م. (بيروت: 1978م).
- ابن جلجل، سليمان بن حسان.
21. طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، المعهد الفرنسي (القاهرة: 1955م).
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد.
22. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر (بيروت: 1358هـ).
23. زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي (بيروت: 1404م).
- ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف قزاوغلي بن عبد الله.
24. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق: جنان جليل، الدار الوطنية للنشر (بغداد: 1990م).
- ابن حزم، أبو أحمد بن أحمد بن سعيد.
25. رسائل بن حزم، تحقيق: إحسان عباس ط2، الموسسة العربية للدراسات والنشر (د.م: 1987م).
- الحميري، محمد بن عبد المنعم.
26. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان (بيروت: 1984م).
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد.
27. مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة (مصر: د.ت)
- الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد.
28. شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: د.ت.).
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي.
29. صورة الأرض، منشورات المكتبة الحيدرية (قم: 1428هـ).
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف الأندلسي.
30. المقتبس، تحقيق: ف. كورنيطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة (مدريد: 1979م).
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله.
31. المسالك والممالك، د.م. (لندن: 1889م)

- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله.

32. الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر (القاهرة: 1973م).

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد.

33. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، د.م. (بيروت:1981م).

- ابن خلكان، شمس الدين أحمد.

34. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محيي الدين (القاهرة: 1948م).

- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد.

35. الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين، عالم الكتب (د.م.: 1985م).

36. الإنتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتب التجاري للطباعة والنشر (بيروت: د.ت.).

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان.

37. العبر في خبر من غبر، ط2، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت (الكويت: 1984م).

38. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت: 1987م).

39. تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية(بيروت: 1374هـ).

40. سير أعلام النبلاء، تحقيق: محب الدين ابي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت: 1997م).

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني.

41. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية (د.م.: د.ت.).

- ابن إبي زرع، ابن أبي زرع الفاسي.

42. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة (الرباط: 1972م).

- ابن زنجويه، ابو أحمد حميد بم مخلد.

43. كتاب الأموال، تحقيق: شاكر ذياب فياض، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية (الرياض: 1988م).

- ابن الساعي، علي بن أنجب المعروف.

44. الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تصحيح: مصطفى جواد (بغداد: 1943م).

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن.

45. التبر المسبوك في ذيل السلوك، المطبعة الأميرية (د.م.: 1896م).

- ابن سعد، محمد.

46. الطبقات الكبرى، دار بيروت (بيروت: 1957م).

- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك ابن الأندلسي.

47. المغرب في حلى المغرب، القسم المسمى النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب المصرية (القاهرة: 1970م)

- السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي.

48. الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر (بيروت: 1998م)

- السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد.

49. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية (بيروت: 1998م).

- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين.

50. الدر المنثور، دار الفكر (بيروت: 1993م).

- الشافعي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي.

51. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية (بيروت: 2000م).

- ابن شبة، عمر.

52. تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، د.م. (جده: 1399هـ).

- الشنتريني، أبي الحسن علي بن بسام.

53. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت: 1997م).

- الشوكاني، محمد بن علي.

54. إرشاد الثقات إلى إتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية (لبنان: 1998م).

55. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،دار الفكر(بيروت:د.ت.).

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك.

56. الوافي بالوفيات، إعتناء: هلمون ريتر (بفيبان: 1962م).

57. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت:2000م).

- الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان.

58. الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: عبد الواحد مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة: 1924م).

- ابن طاهر، المطهر بن طاهر المقدسي.

59. البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية (بور سعيد: د. ت.).

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب.

60. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد (الموصل: 1984م).

61. مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة (بيروت: 1984م).

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد.

62. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر (بيروت: 1405هـ).

63. تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية (بيروت: د. ت.).

- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد.

64. الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل (بيروت: 1412 م).

65. الدرر في إختصار المغازي والسير، دار الكتب العلمية (بيروت: 1999م).

- ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله.

66. عمر بن عبد العزيز، المطبعة الرحمانية (مصر: 1927م).

67. فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر (بيروت: 1996م)

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد عمر بن عبد العزيز.

68. العقد الفريد، تحقيق:عبد السلام هارون وآخرون (القاهرة: 1949م).

- ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس الملطي.

69. تاريخ مختصر الدول (بيروت: 1958).

- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة.

70. بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر (عمان: د.ت.).

- ابن عذاري، أبو عبدالله محمد المراكشي.

71. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وآخر، دار الثقافة (بيروت: د.ت.).

- ابن العذري، أحمد بن عمر.

72. ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية (مدريد: 1965م).

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله.

73. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر (بيروت: 1995م).

74. تهذيب تاريخ دمشق، هذبه: عبد القادر بدران (بيروت: 1979م).

- العسقلاني، ابن حجر.

75. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة (بيروت: د. ت.).

- العصامي، عبد الملك بن حسين.

76. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، د.م. (القاهرة: 1379هـ).

- العليمي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد.

77. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد الجليل نباته، مكتبة دنديس (عمان: د.ت.).

- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد.

78. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د. ت.)

- الغساني، الملك الأشرف.
79. العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق:شاكر محمود(بيروت:1975م).
- أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين.
80. المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد ديوب، دار الكتب العلمية (بيروت: 1997م).
- ابن أبي الفضائل، المفضل.
81. النهج السديد والعقد الفريد في تاريخ ما بعد ابن العميد، تحقيق: بلوشيت، د.م (باريس: 1932م).
- ابن الفقيه الهمذاني، أحمد بن محمد.
82. مختصر كتاب البلدان، د.م. (ليدن:1891م).
- ابن الفوطي، كمال الدين.
83. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، د.م.(بغداد:1932م).
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد.
84. القاموس المحيط، د.م. (بيروت: 1983م).
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم.
85. عيون الأخبار تحقيق: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب (د.م.:1960م).
- ابن قدامة، أبو يوسف قدامة بن جعفر.
86. الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين(بغداد:1981م)
- القرطبي، عريب بن سعد.
87. صلة تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.م. (القاهرة:1982م).
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود.
88. أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت: د.ت.)
- ابن القفطي، جمال الدين أبو الحسن يوسف.
89. تاريخ الحكماء، د.م (لايبزك: 1908م).

- ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة.

90. ذيل تاريخ دمشق، المطبعة الكاثوليكية (بيروت: 1908م).

- القلقشندي، محمد بن علي.

91. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية للتأليف(القاهرة: د.ت.).

- القيسراني، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن ابن الطوير.

92. نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: محمد فؤاد سيد، فرانس شتايز شتوتغارت (د.م.:1992م).

- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي.

93. زاد المعاد في هدي خير العباد، ط14، تحقيق: شعيب الأرناؤوط واخر، مؤسسة الرسالة (بيروت: 1986م).

94. أحكام أهل الذمة، تحقيق: صبحي الصالح، د.م. (دمشق:1961م)

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي.

95. قصص الأنبياء، د.م. (القاهرة: 1968م).

96. تفسير القرآن العظيم، دار الفكر (بيروت: 1401).

97. البداية والنهاية، مكتبة المعارف (بيروت: د.ت.).

- ابن الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي.

98. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ط4، دار الكتاب العربي (لبنان: 1983م).

- الماوردي، أبو يعلى محمد بن حسين.

99. الأحكام السلطانية، تصحيح: محمد حامد (مصر: 1938م).

100. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، د. م.(بغداد:1989م).

- المسعودي، علي بن الحسين.

101. التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله الصاوي، (القاهرة:1938).

102. مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه: محمد محيي الدين (مصر: د.ت.).

- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري.

103. صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د.ت.).

- المقدسي، محمد بن أحمد.

104. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، د.م. (ليدن: 1906م).

- المقري، شهاب الدين أحمد التلمساني.

105. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر (بيروت: 1988م):ج4/ص322.

- المقريزي، أحمد بن علي.

106. المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة بولاق، (القاهرة: 1270 هـ).

107. النقود الإسلامية، ط5، تحقيق: محمد السيد، د.م. (النجف: 1967م).

108. تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، تحقيق: عبد المجيد ذياب، دار الفضلية (القاهرة: 1997م).

- ابن مماتي، شرف الدين أسعد.

109. قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال، د. م. (القاهرة: 1943م).

- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري.

110. لسان العرب، دار صادر(بيروت: د.ت.).

- الناصري، أحمد بن خالد.

111. الإستقصا لأخبار المغرب الاقصى، تحقيق: جعفر الناصري، دار الكتب (الدار البيضاء: 1954م).

- ابن النديم، محمد أبن أبي يعقوب.

112. الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، د.م. (طهران: 1971م).

- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الله.

113. نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: يوسف الطويل وآخر، دار الكتب العلمية (بيروت: 2004م).

- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري.

114. السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد دار الجيل (بيروت: 1411هـ).

- الهمداني، محمد بن عبدالملك بن إبراهيم بن أحمد.

115. تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: البرت يوسف، المطبعة الكاثوليكية (بيروت: 1958م)

- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد.

116. المغازي، ط3، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب (بيروت: 1984م).

- وكيع، محمد بن خلف.

117. أخبار القضاة، تصحيح: عبد العزيز المراغي (القاهرة: 1947م).

- الونشريسي، أحمد بن يحيى.

118. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، دار الغرب الاسلامي (بيروت: 1981م).

- ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله.

119. معجم البلدان، دار الفكر(بيروت: د. ت.).

120. معجم الأدباء، د.م. (بيروت: د.ت.).

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح.

121. البلدان، د.م. (ليدن:1891م).

122. تاريخ اليعقوبي، دار صادر (بيروت: د.ت.).

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

- أحمد، إبراهيم خليل.

1. قضايا عربية معاصرة، مطبعة ابن الأثير (الموصل:1988م).

- الأحمد، سامي سعيد.

2. تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية (بغداد: 1979م).

- أحمد، علي.

3. تاريخ المغرب العربي الاسلامي، مطبعة جامعة دمشق (دمشق: 1992م).

- أحمد، مهدي رزق الله.

4. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مركز الملك فيصل (الرياض: 1992م).

- آرنولد، توماس.
5. الدعوة إلى الإسلام، ط3، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة: 1970م).
- الأعظمي، ظريف.
6. تاريخ الدول اليونانية والفارسية في العراق، مكتبة الثقافة الدينية (بور سعيد: د. ت.).
- إسكندر، ميخائيل مكس.
7. تاريخ كنيسة بنتابولس المدن الخمسة الغربية، دار الثقافة (القاهرة: 1987 م).
- أسود، عبد الرزاق محمد.
8. موسوعة الأديان والمذاهب، ط2، الدار العربية للموسوعات (بيروت: 2000م).
- أمين، فوزي.
9. المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول، د. م. (القاهرة: 1982م).
- أوروسيوس.
10. تاريخ العالم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت: 1982م).
- أيوب، إبراهيم.
11. التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب (لبنان:1996 م).
- باركر، آرنست.
12. الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني، دار النهضة العربية (بيروت: 1967م).
- باشا، ضياء.
13. الأندلس الذاهبة دول الطوائف ودولة المرابطين وبداية الموحدين، ترجمة: عبد الرحمن ارشيدات، تحقيق: صلاح ارشيدات، د.م. (عمان: 1989م).
- باشميل، محمد أحمد.
14. غزوة بني قريظة، دار الفتح (د.م.:1966م).
15. غزوة الأحزاب، ط5، دار الفكر (د.م.: 1977م).

- براور، يوشع.

16. عالم الصليبيين، ترجمة: قاسم عبده قاسم وآخر، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (القاهرة: 1999م).

17. الإستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة: عبد الحافظ البنا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة: 2001م).

- بروفنسال، ليفي.

18. الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: عبد العزيز سالم، مكتبة نهضة مصر (القاهرة: د. ت.).

- بروكلمان، كارل.

19. تاريخ الادب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، د.م. (القاهرة: 1961م).

20. تاريخ الشعوب الإسلامية، تاريخ الشعوب الإسلامية،، ط12، ترجمة: نبيه فارس وآخر، دار العلم للملايين) بيروت: 1993م).

- البشتاوي، عادل سعيد.

21. الأندلسيون والمواركة، د. م. (القاهرة: 1983 م).

- بلدوين، مارشال.

22. إضمحلال وسقوط بيت المقدس 1174-1189م، ضمن كتاب تأريخ الحروب الصليبية، تحرير: سعيد عبدالله البيشاوي وآخر، ترجمة وتعليق: سعيد عبدالله البيشاوي، دار الشروق (عمان: 2004م).

- بهنسي، عفيف.

23. تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الاثار، دار الثقافة (دمشق: 2009 م).

- البيشاوي، سعيد عبد الله.

24. الممتلكات الكنسية في مملكة بيت الصليبية، د.م. (الإسكندرية: 1990م).

- تامر، عارف.

25. الحاكم بأمر الله خليفة وإمام ومصلح، دار الآفاق الجديدة (بيروت: 1982م).

- ترتون.

26. أهل الذمة في الإسلام، ترجمة:حسن حبشي، دار المعارف(القاهرة:1967م).

- التل، عبد الله.
27. خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر (بيروت: 1979م).
- جلو، خضر إلياس.
28. اليهود في المشرق الإسلامي، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع (دمشق: 2017م).
- الجومرد، عبد الجبار.
29. هارون الرشيد، د.م. (بيروت: 1956م).
30. داهية العرب أبو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العباس(بيروت:1963م).
- حاتم، سليمان.
31. الصهيونية العالمية وخطرها الكبير على البشرية، دار اليقضة العربية للتأليف والترجمة والنشر (دمشق: د.ت.).
- حافظ، صلاح الدين.
32. كراهية تحت الجلد إسرائيل عقدة العلاقات العربية الأمريكية، دار الشروق (القاهرة: 2003م).
- حتي، فيليب.
33. تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وآخر، دار الثقافة (بيروت: 1958م).
- حريتاني، محمود.
34. تاريخ اليهود في حلب، دار شعاع (حلب: 2008م).
- حسن، علي إبراهيم.
35. النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة: د.ت.).
- حسن، قاسم.
36. العرب والمشكلة اليهودية، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر (بيروت: 1969م).
- الحلاق، حسان علي.
37. دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (1908-1909)، الدار الجامعية (بيروت: د.ت.).

- الحلواني، سعد بدير.
38. اليهود في الحروب الصليبية وموقف صلاح الدين منهم، د.م. (د.م.: د.ت.).
- حمادي، الطيب محمد.
39. اليهود ودعم الإستيطان البطليمي والروماني في اقليم برقة، منشورات جامعة قار يونس (بنغازي: 1994 م).
- حمدان، جمال.
40. اليهود أنثروبولوجيا، تقديم: عبد الوهاب المسيري، دار الهلال (القاهرة: 1996 م).
- الحميدي، عبد العزيز.
41. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، دار الدعوة (الإسكندرية: د.ت.).
- الخالدي، خالد يونس عبد العزيز.
42. اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، مطبعة دار الأرقم (غزة: 2011م).
43. اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، ط2، دار الثقافة والإعلام (الشارقة: 2002م).
- خان، ظفر الإسلام.
44. تاريخ فلسطين القديمة، ط 6 (دار النفائس: 1992 م).
- الخربطلي، علي حسني.
45. الإسلام وأهل الذمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (د.م.:1969م).
46. العرب واليهود في العصر الإسلامي، د.م. (القاهرة: د.ت.).
- الخفاجي، باسم خلف ناصر.
47. أثر بيزنطة الديني على المشرق الإسلامي، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع (دمشق: 2018م).
- خمار، قسطنطين.
48. الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، ط2، المكتب التجاري للطباعة والنشر (بيروت:1966م).
- دراذكه، صالح موسى.
49. العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع (عمان: 1992م).

- دروزة، محمد.
50. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية (بيروت: 1969 م).
- درويش، هدى.
51. أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس دراسة عن اليهود المارنواس، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة: 2008م).
- الدسوقي، محمد عبد العليم.
52. إنتفاء الحق الديني والتاريخي لليهود في أرض فلسطين بموجب ما جاء في التوراة والإنجيل وآي التنزيل، د.م. (جامعة الازهر: د.ت.).
- الدشراوي، فرحات.
53. الخلافة الفاطمية بالمغرب، تعريب: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي (بيروت: 1996م).
- الدقس، كامل سلامة.
54. دولة الرسول صلى الله عليه وسلم من التكوين إلى التمكين، دار عمار(عمان:1994م).
- دنلوب، د.م.
55. تاريخ يهود الخزر، ترجمة: سهيل زكار، ط2، دار حسان (دمشق:1990م).
- ديورانت، ول.
56. قصة الحضارة، ط3، د. م. (القاهرة: 1973 م).
- رزوق، محمد.
57. الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، أفريقيا الشرق (الدار البيضاء: 1991م).
- رمضان، هويدا عبد العظيم.
58. اليهود في مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي حتى العصر الإيوبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة: 2001م).
- أبو رميلة، هشام.
59. نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس، د.م. (د.م.: 1980م).

- رنسيمان، ستيفن.

60. تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، ط2، دار الثقافة (بيروت: 1981م).

- رو، جورج.

61. العراق القديم، ترجمة: حسين علوان، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد: 1986 م).

- الروبي، آمال محمد.

62. مظاهر الحياة في مصر في العصر الروماني إجتماعيًا واقتصاديًا وإداريًا، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة: 1975 م).

- ريشار.

63. تكوين مملكة القدس اللاتينية وبنيتها، تحرير: هادية شكل دجاني، د.م. (بيروت: 1994م).

- ريه، عطا علي محمد.

64. اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهدين المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة (دمشق: 1999م).

- زغروت، محمد محمد إبراهيم.

65. دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية، دار التوزيع والنشر الإسلامية (القاهرة: د.ت.).

- زهر الدين، صالح.

66. سياسة الحكومة العثمانية في أرمينيا الغربية وموقف القوى الدولية منها، دار الندوة الجديدة (بيروت: 1996م).

- زيود، محمد.

67. اليهود في الإندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، بحث منشورة ضمن مجلة دراسات تاريخية (جامعة دمشق: 1996م).

- السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون.

68. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة (بيروت: 2000 م).

- الساموك، سعدون محمد.

69. موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، دار المناهج (الأردن: 2002م).

- ساويرس.
70. سير الآباء، د.م. (القاهرة: 1948م).
- سعادة، عمر.
71. فلسطين في التاريخ الإسلامي، دار الفكر (دمشق: 2008م).
- السعدي، غازي كامل.
72. الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل(عمان:1994م).
- سلطان، عبد المنعم.
73. المجتمع المصري في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية، د.م. (القاهرة: 1985م).
- سمث، جوناثان ريلي.
74. الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة: محمد الشاعر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر: 1999م).
- سوسه، احمد.
75. العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ط2، العربي للإعلان، والطباعة والنشر (دمشق: 1972م).
76. ابحاث في اليهودية والصهيونية، دار الامل (أربد: 2003 م).
77. ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت: 2001م).
- سيالة، ناظم.
78. حوليات فلسطينية، منشورات وزارة الأعلام (بغداد: 1969م).
- السيد، علي أحمد محمد.
79. اليهود في شرق البحر المتوسط، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية (د.م.: 2006م).
- السيد، ناصر.
80. يهود يثرب وخيبر، المكتبة الثقافية (بيروت: 1992م).

- شارتري، فوشيه.
81. تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسلي، د.م. (عمان: 1990م).
- شاهاك، إسرائيل.
82. التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة: صالح علي سوداح، بيسان للنشر والتوزيع (بيروت: 1995م).
- شاهين، رياض مصطفى.
83. دور اليهود في الحلمة الصليبية، الجامعة الإسلامية (غزة: 2005م).
84. أوضاع اليهود وموقفهم في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، قسم الآثار والتاريخ (غزة: 2005م).
- شبيب، نايف محمد.
85. الوجيز في الفرق الدينية اليهودية، دار غيداء (عمان: 2016م).
- شحلان، أحمد.
86. اليهود المغاربة من منبت الأصول إلى رياح الفرقة، دار أبي قراق للنشر والتوزيع (الرباط: 2009 م).
- شريدة، محمد حافظ وآخر.
87. الطائفة السامرية مكتبة الرسالة (د.م.: 1994م).
- الشريف، أحمد إبراهيم.
88. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ط2، د.م. (القاهرة: 1965م).
- الشريف، ريجينا.
89. الصهيونية غير اليهودية، ترجمة: أحمد عبدالله عبد العزيز، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون (الكويت: 1406هـ).
- شعشوع، سليم.
90. العصر الذهبي صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس، د.م. (تل أبيب: 1979م).
- الشقاري، عبد الله.
91. اليهود في السنة المطهرة، دار طيبة (الرياض: 1996م).

- شلبي، أحمد.

92. مقارنة الأديان ط4، د.م. (القاهرة: 1973م).

- شو، ستانفورد ج.

93. يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، ترجمة: الصفصافي أحمد القطوري، دار البشير للثقافة والعلوم (مصر: 2015م).

- الشيال، جمال الدين.

94. تاريخ مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي، دار المعارف (القاهرة: 1967م).

- صالح، حسن محمد.

95. التشيع المصري الفاطمي، دار المحجة البيضاء (بيروت: 2007م).

- صائغ، فائز.

96. الاستعمار الصهيوني في فلسطين، د.م. (بيروت: 1965م).

- صبري، سناء عبد اللطيف حسين.

97. الجيتو اليهودي، دار القلم (دمشق:1999م).

- صدقة، عبد المعين.

98. السامريون موجز تاريخ وعادات وأعياد الطائفة، د.م. (نابلس: 1973م).

- الصلابي، محمد علي.

99. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، الشبكة الليبية (ليبيا: د.ت.).

100. الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب الإنهيار، الكتاب منشور على شبكة الانترنيت على الموقع: http://www.slaaby.com.

- ضياء الرحمن الأعظمي، محمد.

101. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد (الرياض: 2001 م).

- طعيمة، صابر.

102. التاريخ اليهودي العام، دار الجيل، ط 2 (بيروت: 1991 م).

- طلفاح، خير لله.

103. حضارة العرب في الأندلس، دار الحرية (بغداد:1977م).

- طنطاوي، محمد سيد.

104. بنو إسرائيل في القرآن والسنة، الزهراء للإعلام العربي (القاهرة: 1407هـ).

- طومسون، توماس ل..

105. التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: علي سواح، بيسان للنشر والتوزيع (بيروت: 1995م).

- الطويل، توفيق.

106. قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ط2، مكتبة مصر (مصر: 1958م).

- ظاظا، حسن.

107. أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم (دمشق: 1999م).

108. اليهود ليسوا تجار بالنشأة، د.م. (القاهرة: 1975م).

- العابد، محمد بكر.

109. حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ، دار الغرب الإسلامي (د. م.: د.ت.).

- العابدي، محمود.

110. قدسنا، معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة: 1972 م).

- عاشور، سعيد عبد الفتاح.

111. مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية (بيروت: د.ت.).

112. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، د. م. (القاهرة: 1962م).

- عامر، فاطمة مصطفى.

113. تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة: 1999م).

- العاني، زياد محمود وآخرون.

114. تاريخ الأديان، دار ابن الأثير للطباعة (الموصل: 2010 م).

- العبادي، أحمد مختار.

115. في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية (بيروت: د.ت.).

- عبد الرزاق، أحمد.

116. البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، د.م. (القاهرة: 1979م).

117. تاريخ وآثار مصر الإسلامية، د.م. (القاهرة: 1993م).

- عبد العليم، مصطفى كمال.

118. اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، مكتبة القاهرة الحديثة (القاهرة: 1968 م).

119. اليهود في العالم القديم، دار القلم (دمشق: 1995 م).

120. مصر الرومانية، مكتبة سعيد رأفت (عين شمس: 1972 م).

- عبد القوى، زينب عبد المجيد.

121. حضارة أوربا فى العصور الوسطى ، د.م (جامعة الزقازيق: 2007).

- عبد المجيد، محمد بحر.

122. اليهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (القاهرة: 1970م).

- عبد الناظر، محسن.

123. حوار الرسول مع اليهود، ط2 (د.م.: 1992م).

- عبده، علي إبراهيم وآخر.

124. يهود البلاد العربية، مركز الأبحاث الفلسطينية (بيروت: 1970 م).

- العقاد، عباس محمود.

125. أبو الأنبياء، د.م. (بيروت: 1967م).

- العلوجي، عبد الحميد.

126. الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، مديرية الإعلام العامة (بغداد:1968م).

- علي، جواد.

127. المفصل في تاريخ العرب، ط2، د.م. (بغداد: 1993 م).

- العلي، صالح أحمد.

128. الحجاز في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة (بيروت: 1990م).

- علي، عرفه عبده.

129. يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثاني، شركة الأمل للطباعة والنشر (القاهرة: 2010 م).

- علي، علي السيد.

130. القدس في العصر المملوكي، دار الفكر (القاهرة: 1986م).

- العمري، أكرم ضياء.

131. المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته، د. م. (د. م.:1984م).

132. السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم (المدينة المنورة: 1992م).

- عوض، محمد مؤنس.

133. الاضطهادات الصليبية لليهود في حوض الراين بألمانيا عام 1096م / 490هـ من خلال حولية الربي اليعازر بن ناثان، مركز بحوث الشرق الأوسط (القاهرة: د.ت.).

- غلاب، محمد.

134. الفلسفة الإسلامية في المغرب، جمعية الثقافة الإسلامية (القاهرة: 1948م).

- غنيمة، يوسف.

135. نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط 2، مكتبة الوراق (لندن: 1997 م)

- .ف. ب. هوبكنز.

136. النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب (ليبيا: 1980م).

- فارخ، فيليب وآخر.

137. المسيحيون واليهود في التاريخ الاإسلامي العربي والتركي، دار سيناء للنشر (القاهرة: 1994م).

- أبو فارس، محمد عبد القادر.

138. النظام السياسي في الإسلام، محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان (د.م.: 1986م).

139. الصراع مع اليهود، دار الفرقان (د.م.: 1990م).

- فرحات، يوسف.

140. غرناطة في ظل بني الأحمر، دار الجيل (د.م.: 1993م)، ص 97.

- الفرحان، راشد عبد الله

141. الأديان المعاصرة، ط2، دار الكتب الوطنية (بنغازي: 1985 م).

- فروخ، عمر.

142. العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، ط2، دار الكتاب العربي (بيروت: 1981 م).

- فضل الله، حسن.

143. المدرسة في الإسلام نشأتها إتجاهاتها ووظائفها، دار الهادي للطباعة والنشر (بيروت: 2009م).

- فلهاوزن، يوليوس.

144. تاريخ الدولة العربية، ترجمة: محمد عبد الهادي، د.م. (القاهرة: 1985م).

- فهد، بدري محمد.

145. تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير (بغداد: 1973م).

- فيشل، وولتر ج.

146. يهود في الحياة الإقتصادية والسياسية الإسلامية في العصور الوسطى، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر (بيروت: 1988م).

147. يهود في الحياة الإقتصادية والسياسية للدولة الإسلامية " العباسية -الفاطمية - الالخانية "، ترجمة: سهيل زكار، دار التكوين للنشر والتوزيع (دمشق: 2005م).

- قاسم، قاسم عبده.

148. رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية، مركز بحوث الشرق الأوسط سلسلة دراسات عن الشرق الأوسط، (القاهرة: 1983م).

149. اليهود في مصر من الفتح الاسلامي حتى الغزو العثماني، عين للدراسات الانسانية والإجتماعية (القاهرة: 2015 م).

- قاسم، محمود.

150. دراسات في الفلسفة الإسلامية، دار المعارف (مصر: 1972م).

- قلعجي، قدري.

151. صلاح الدين الأيوبي قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، ط5، دار الكتاب العربي (بيروت: 1979م).

- قنديل، عبد الرزاق احمد.

152. الأثر الاسلامي في الفكر الديني اليهودي، دار التراث (القاهرة: 1984 م).

- قواسمة، أحمد حسن وآخر.

153. موسوعة الفرق والأديان السماوية الثلاثة، دار الحامد (عمان: 2009 م).

- القوصي، عطية.

154. تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، د.م. (القاهرة: 1976م).

- القيسري، يوسبيوس.

155. تاريخ الكنيسة، ترجمة: القس مرقص داود، دار الكرنك للنشر والطباعة والتوزيع (بيروت: 1966م).

- كاشف، سيد.

156. أحمد بن طولون، سلسلة أعلام العرب (القاهرة 1965م).

157. مصر في عصر الإخشيديين، د.م. (القاهرة:1950م).

- كمال، يحيى.

158. دروس اللغة العبرية، عالم الكتب (بيروت، 1982 م).

- كورية، يعقوب يوسف.

159. يهود العراق تاريخهم وأحوالهم وهجرتهم، الأهلية للنشر والتوزيع (لبنان: 1998م).

- كوندوس، أحمد آق وآخر.

160. الدولة العثمانية المجهولة، وقف الخيرات العثمانية(استانبول:2008م).

- كيوان، مأمون.

161. اليهود في الشرق الأوسط، الأهلية للنشر والتوزيع (د. م.: 1996 م).

- لنشوفسكي، جورج.

162. الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة: جعفر خياط، مكتبة دار المتنبي (بغداد: 1964م).

- لوبون، جوستاف.

163. اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، مكتبة عيسى البابي الحلبي (القاهرة: 1970 م).

164. اليهود في تاريخ الحضارات الاولى، ترجمة: عادل زعيتر، دار طيبة للطباعة (الجيزة: 2009م).

- لومبار، موريس.

165. الإسلام في مجده الأول، ترجمة: إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر (الجزائر: 1979م).

- لين بول، ستانلي.

166. تاريخ مصر في العصور الوسطى، ط4، ترجمة: أحمد سالم، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة: 2016م).

- ماجد، عبد المنعم.

167. تاريخ الخلافة الفاطمية، دار الفكر (عمان: 2010م).

- مالمات، إبراهام وآخر.

168. العبرانيون وبني إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والإكتشافات الاثرية، ترجمة وتقديم: رشاد عبد الله الشامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات (القاهرة: 2001م).

- مانويل، فرانك.

169. بين أمريكا وفلسطين، تعريب: يوسف حنا، د.م. (عمان: 1967م).

- ماير، هانس إبرهارد.

170. تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: عماد الدين غانم، منشورات مجمع الفاتح للجامعات(د.م:1990م).

- متز، آدم.

171. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ط3، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده، مطبعة لجنة التاليف والنشر (القاهرة: 1957م).

- المجذوب، أحمد علي.

172. المستوطنات اليهودية على عهد الرسول ﷺ، الدار المصرية اللبنانية(القاهرة: 1992م).

- محمود، سلام شافعي.

173. أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب(د.ت.: 1995م).

- مسلم، مصطفى.

174. معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، دار المسلم (الرياض: 1994م)

175. مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم (دمشق: د.م.).

- المسيري، عبد الوهاب.

176. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق (القاهرة: 1999م).

177. موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية، د.م. (القاهرة: 1975م).

- مصطفى، شاكر.

178. المدن في الإسلام حتى العصر العباسي، دار السلاسل للطباعة (د.م.: 1988م).

- معطي، علي.

179. التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول ﷺ « استراتيجية الرسول السياسية والعسكرية «، مؤسسة المعارف (بيروت: د. ت.).

- مكاريوس، شاهين

180.. تاريخ الإسرائيليين، مطبعة المقتطف (مصر: 1904 م).

- الملاح، هاشم يحيى.

181. موقف اليهود من العروبة والإسلام في عصر الرسالة، دار الشؤون الثقافية (بغداد: 1988م).

182. الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، دار ابن الأثير (الموصل: 2004 م).

- المناوي، محمد حمدي.

183. الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف (القاهرة: 1970م).

- مهران، محمد بيومي

184. بنو إسرائيل، دار المعرفة الجامعية (الاسكندرية: 1999م).

- موسى، صالح.
185. العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع (عمان: 1992م).
- ميلاد، سلوى علي.
186. وثائق أهل الذمة في العصر العثماني وأهميتها التاريخية، د.م.(القاهرة: 1983م).
- النتشة، رفيق شاكر وآخرون.
187. تاريخ مدينة القدس، دار الكرملي (عمان: 1984م).
- الندوي، أبو الحسن.
188. تأملات في سورة الكهف، دار القلم (د.م: د. ت.).
- النشار، علي سامي وآخر.
189. الفكر اليهودي وتأثيره بالفلسفة الإسلامية، منشأة المعارف (الاسكندرية: 1972م).
- نصحي، إبراهيم.
190. تاريخ مصر في عصر البطالمة، ط2، مطبعة جزآن (القاهرة: 1960 م).
- نعيسة، يوسف.
191. يهود دمشق، دار المعرفة (دمشق: 1988م).
- النقاش، زكي.
192. العلاقات الإجتماعية والثقافية والإقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية د.م. (بيروت: 1958م).
- هالم، هاينز.
193. الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، ترجمة: سيف الدين القصير، منشورات المدى (دمشق: 1999م).
- همو، عبد المجيد.
194. الفرق والمذاهب اليهودية، المكتب المصري (القاهرة: 2001 م).
195. الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، ط2، الأوائل للنشر والتوزيع (دمشق: 2004م).

- هنتس، فالتر.

196. المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي (عمان: 1970م).

- وافي، علي عبد الواحد.

197. اليهودية واليهود، د. م، (القاهرة: 1970 م).

- الوقاد، محاسن محمد.

198. اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.م.: 1999م).

- ولفنسون، إسرائيل.

199. تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الإعتماد (مصر: 1927م).

- اليوزبكي، توفيق سلطان وآخرون.

200. دراسات في الوطن العربي الحركات الثورية والسياسية، ط4، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل: 1975م).

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

- أبراهام بن يعقوب.

1. موجز تاريخ يهود بابل من بدايتهم وحتى اليوم، ترجمة: علي عبد الحمزة لازم الناصري، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية اللغات (جامعة بغداد:2000م).

- الطيار، هيفاء عاصم محمد.

2. مدينة القاهرة خلال عصر الخلافة الفاطمية، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة للجامعة المستنصرية (بغداد: 2005م).

- عقاب، فتحية بنت حسين ابراهيم.

3. العلاقات السياسية بين الانباط واليهود في فلسطين وموقف الدولة الرومانية منها، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية بنات (جامعة الملك سعود: 2000م).

- الكواتي، مسعود.

4. اليهود في المغرب الاسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى معهد التاريخ (جامعة الجزائر: د.ت.).

- المعايطة، عطالله بخيت حماد ال.
5. اثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الدعوة واصول الدين (جامعة أم القرى: 1409هـ).
- النور، الامين الشيخ.
6. أهل الذمة في العصر العباسي الاول، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الاداب (جامعة أم درمان: 2001م).

رابعاً: البحوث العلمية

- أحمد، علي.
1. اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية (جامعة دمشق: 1996 م). بوتشيش، المرابطون وسياسة التسامح، بحث منشور في مجلة دراسات أندلسية (تونس: 1984م).
- حركات، ابراهيم.
2. أوضاع المغرب ومشاكله قبيل قيام الدولة السعدية، بحث منشور في مجلة البحث العلمي (المغرب: 1975م).
- حسين، محمد عواد.
3. الحرب السورية السادسة، بحث منشور في حوليات كلية الاداب (جامعة عين شمس: 1951 م).
- الدليمي، ياسين أحمد صالح.
4. التسامح الاسلامي مع يهود الأندلس من الفتح حتى السقوط، بحث منشور في مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (جامعة تكريت: 2013م).
- سالم، هاني عبد العزيز السيد.
5. الحركات اليهودية المسيحانية في ظل الإسلام، بحث منشور في مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية (جامعة الانبار 2012م).
- سعدون، قاسم عبد.
6. التسامح الاسلامي مع مكونات المجتمع الأندلسي اليهود إنموذجا، بحث منشور في مجلة ابحاث البصرة (جامعة البصرة: 2015م).

- الطيار، هيفاء عاصم محمد.
7. أهل الذمة ومكانتهم في المجتمع المصري، بحث منشور في مجلة الدراسات في التاريخ والاثار (د.م.: 2009م).
8. ظاظا، حسن.
9. اليهود في اسبانيا الاسلامية، بحث منشور في مجلة الفيصل (د.م.: 1994م).
- عبد الرزاق، علاء.
10. الدور السياسية والفكري ليهود المغرب الاقصى، بحث منشور في مجلة بحوث ودراسات التي يصدرها مركز الدراسات الفلسطينية (جامعة بغداد: د.ت).
- عبد الرزاق، وسام حسين وآخر.
11. الاصول التاريخية للوجود اليهودي في الخليج العربي في العصر الحديث، بحث منشور في مجلة مداد الاداب (الجامعة العراقية: د.ت.).
- قدح، محمود بن عبد الرحمن.
12. موجز تاريخ اليهود والرد بعض مزاعمهم الباطلة، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة: د.ت).
- القوصي، عطية.
13. صلاح الدين واليهود، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية (القاهرة: 1977م).
- محمد أمين، عميرات.
14. هجرة يهود الأندلس إلى المغرب الاوسط، مجلة مركز الدراسات الأندلسية (الجزائر: 2017م).
- المنوني، محمد .
15. ظاهرة تعريبية، مقال منشور في صحيفة الدراسات الإسلامية (مدريد:1964م).
- نايف، فائزة عبد الامير.
16. يهود العراق واماكن استيطانهم، بحث منشور في مجلة كلية الاداب (جامعة بغداد: د.ت.).
- إلهامي، محمد.
17. اليهود بين أمة الإسلام والأمم الأخرى، مقال منشور في مجلة المجتمع الالكترونية المنشورة على شبكة الانترنيت في الساعة 09:23 في يوم 07/يناير/2018.

- هرتزل، ثيودور.
18. يوميات هرتزل، 19 حزيران، 1896م، ص378، الترجمة العربية.
- يوسف، شريف.
19. تاريخ اليهود كما يلقنه الصهاينة لأبنائهم، بحث منشور في مجلة العربي الكويتية (الكويت: 1967م).

المصادر والمراجع الأجنبية

- Ashtor.
1. Saladin and Jews، HUCA، No XXVII، No. p.(Jerussalem:1956).
- Benbassa، Esther.
2. The Jews of France: Ahistory from Antiquity to the Present. Trans. Debevoise، M.B.، Princeton University Press(Princeton: 1999).
- Cohenc ، J..
3. The Decline of European Jewry، in The Middle Ages، ed. By Brian Tierney،(New York: 1962).
- Davis، H. W. C.
4. England under the Normans and Angevins، 1066-1272 ، Methuen & Co. (London: 1905).
- Hecht ، N.S..
5. An Introduction of The History of Jewish law، Oxford University Press.(Oxford: 1996).
- Jacobs.
6. "The Jews in England Langhwir، Thomas Of Monmouth Dectector Of Ritual Murder Speculum(No.p: 1984).
- Lewis، Bernard.
7. Semites and Ante- Semites: An Inquiry into Conflict and prejudice. W.W. Norton (No. p.: 1986).

- Mandel، N..

8. Turks، Arab and Jewish immigration into Palestine (1882-1914)، No.p. (Oxford:1965).

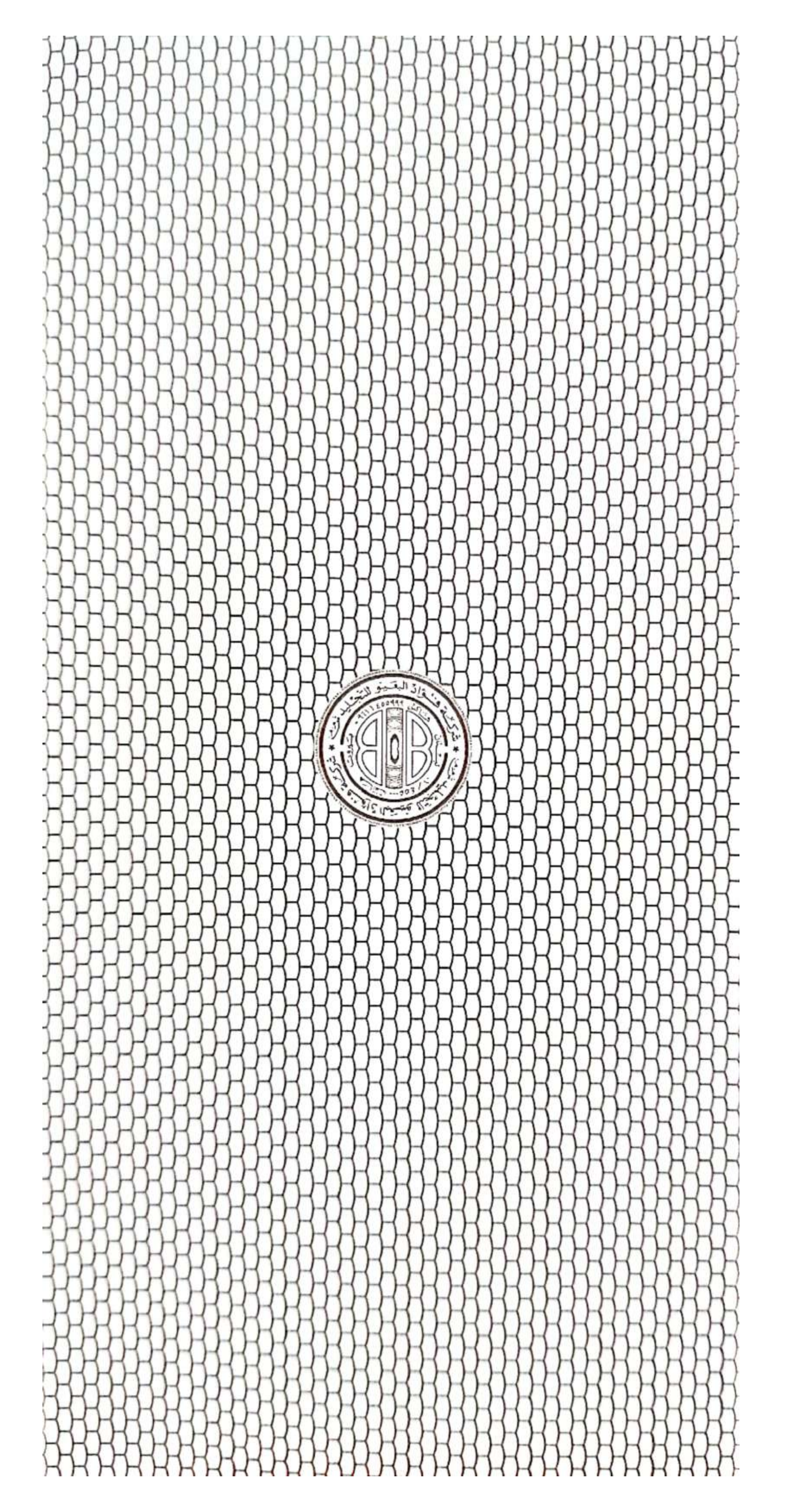
- Stillman، Norman.

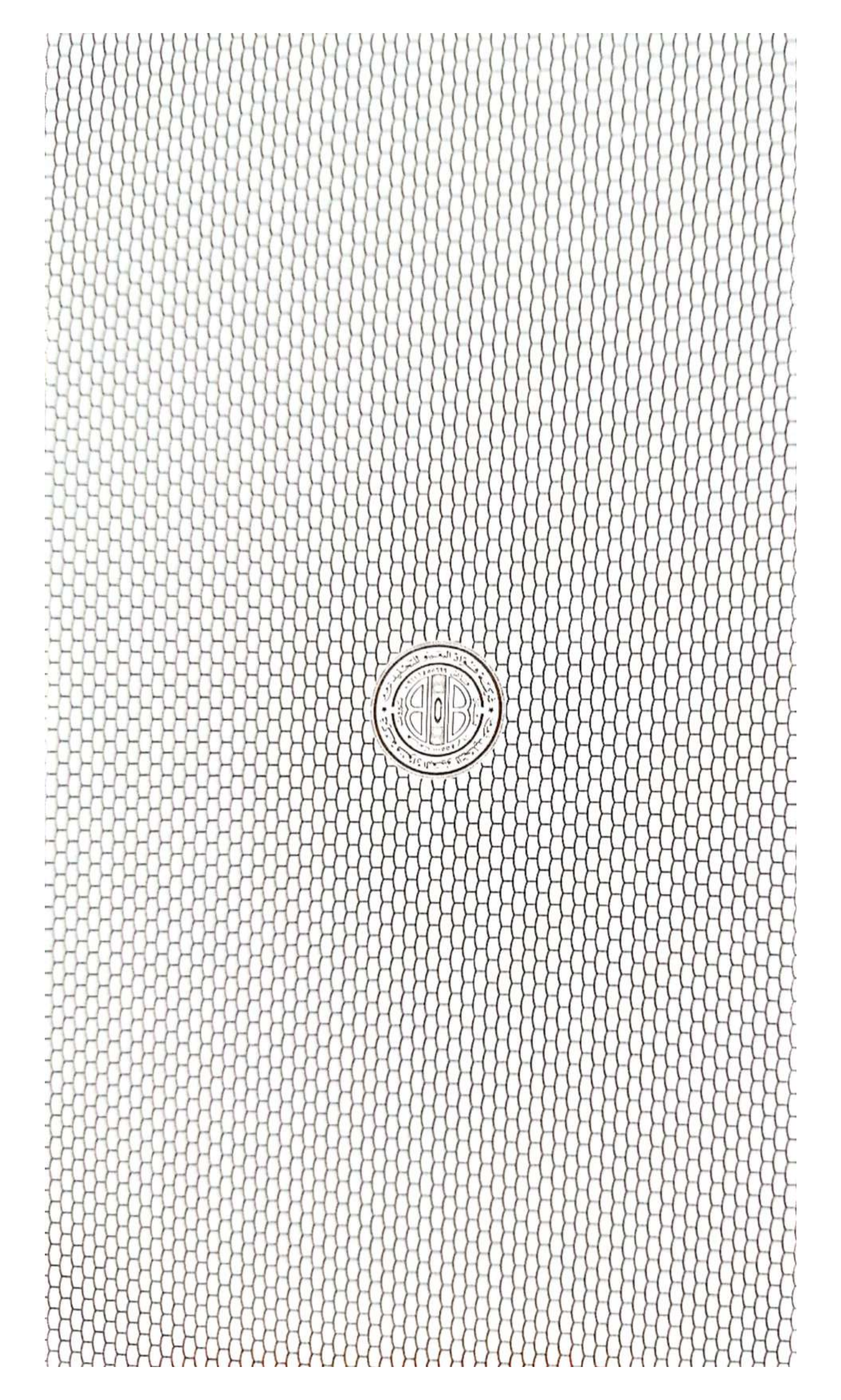
9. Jews of Arab Land in Modern Times، Jewish Publication Socity (Philadelhia: 2003).

- Thompson ، J. W..

10. Economic and Social Hist- of the Middle Ages (London:1959)







اليهود
في العصور الإسلامية









www.daralfiker.com